

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً



العربية في العالم

اللغة العربية في باكستان

أ.د. مظهر معين

أ.د. حبيب الرحمن عاصم

أ. عمر فاروق

أ.د. إنعام الحق غازي

د.مقيت جاويد

د.حارث مبين

أ.د. خالق داد ملك

أ.د. حامد أشرف همداني

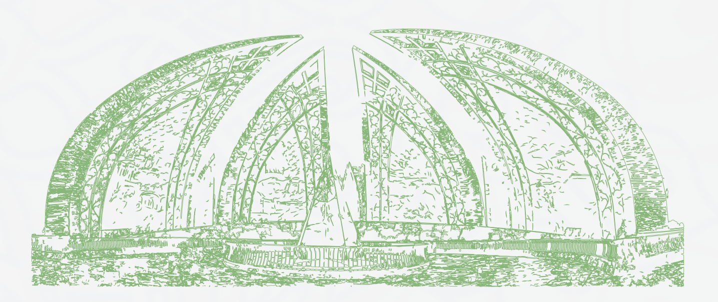
أ. السيد محمد زاهد

أ.د. ظهور أحمد أظهر

أ.د. محمد علي غوري

د.الحافظ عبد القدير

تحرير: أ.د. إنعام الحق غازي





العربية في العالم ٨

اللغة العربية في باكستان

المؤلفون:

أ.د. مظهر معين

أ. عمر فاروق

د.مقيت جاويد

أ.د. خالق داد ملك

أ. السيد محمد زاهد

أ.د. محمد علي غوري

أ.د. حبيب الرحمن عاصم

أ.د. إنعام الحق غازي

د.حارث مبين

أ.د. حامد أشرف همداني

أ.د. ظهور أحمد أظهر

د.الحافظ عبدالقدير

تحرير:

أ.د. إنعام الحق غازي

١٤٣٨هـ -٢٠١٧م



هذه الطبعة إهداء من المركز ولا
يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً



اللغة العربية في باكستان

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧م

المملكة العربية السعودية - الرياض
ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف:٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨ - ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
البريد الإلكتروني: nashr@kaica.org.sa

ح/ مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية، ١٤٣٨هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
غازي، إنعام الحق
اللغة العربية في باكستان./ إنعام الحق غازي.- الرياض،
١٤٣٨هـ
..ص؛ .. سم
ردمك: ٩-٩-٩٠٨٩٥-٦٠٣-٩٧٨
١- اللغة العربية - تعليم - باكستان أ. العنوان
ديوي ٤١٨,٢٤ ٧٨٤٨/ ١٤٣٨
رقم الإيداع: ٧٨٤٨/ ١٤٣٨
ردمك: ٩-٩-٩٠٨٩٥-٦٠٣-٩٧٨

التصميم والإخراج
دار وجوه للنشر والتوزيع
Wojooh Publishing & Distribution House
WOJOOOH
www.wojoooh.com
المملكة العربية السعودية - الرياض
الهاتف:4562410 الفاكس:4561675
للتواصل والنشر:
info@wojoooh.com



كلمة المركز

يعتني مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية برصد حضور العربية في أنحاء العالم غير العربي، ويهتم بتقديم المعلومات الموثقة لتاريخها وحاضرها، كما يهتم ببناء أدلةٍ للمعلومات تيسر التواصل على الباحثين والمؤسسات الثقافية داخل الوطن العربي وخارجه. كما يجتهد المركز في رصد مجالات العربية التي لم تحظَ بالدراسة الكافية، وقد وضع في خططه أطراً علمية يتعيّن عليه أن يوسّعها بحثاً ودرساً؛ لتكون منارة يستعين بها الأفراد والمؤسسات الذين يعملون في خدمة العربية في هذا النطاق، حيث نؤمن بأن خدمة اللغة تنبع من تصور واقعها، ومعرفة مجالات انتشارها وتقاطعها مع غيرها، وتتبع أوجه التأثر والتأثير في محيطها، لاسيما عندما نتحدث عن اللغة في بيئة خارج نطاقها الطبيعي.

وكلما توغل المركز في صقع من أصقاع المعمورة (مثل: الصين، وإندونيسيا، وتركيا، والهند، وإسبانيا، وماليزيا، والولايات المتحدة...) عجب من عمق الحضور التاريخي للعربية فيها، وسعد بذلك، وباستمرار توقّد الرغبة في زيادة نفوذ العربية وانتشارها، وتطلّع المختصّين إلى إتقانها والتبحر في البحث فيها. والعجب يزداد في بعض الدول غير الإسلامية، أما الدول الإسلامية – مثل باكستان – فلا غرو أن يكون للغة العربية حضورها العميق المؤثّر فيها، كيف لا وهي لغة القرآن، كما أنها الحاضن التاريخي الثقافي

الوثيق بين العرب وإخوانهم من سائر القوميات والأعراق.

ومن ضمن مشروعات المركز التي يعمل عليها في دعم العربية دولياً (برنامج النشر)، ويتضمن هذا البرنامج مجموعة من سبل التأليف وطرائق جمع المعلومات وتقديمها، ومنها (جمع الأبحاث التخصصية)، وهو مشروع ينهض له أحد المختصين في موضوع محدد بإشراف المركز ومتابعته، فيجمع كل ما تصل إليه يده من أبحاث في هذا الموضوع، ثم ينتخلها ويرتبها ويبوّبها، ويحرر ما يحتاج منها إلى تحرير، ثم يضمها كتاباً نسعد بتقديمه للقارئ الكريم، مثل هذا الكتاب بين يديك، الذي **وضع المركز رؤيته العامة**، وعمل الدكتور إنعام الحق غازي فيه على جمع الأبحاث المكتوبة في المؤسسات العلمية الباكستانية عن اللغة العربية في باكستان؛ بهدف تقديم تصور واضح عنها تاريخاً وواقعاً، مما سيكون جاذباً للباحثين وللمؤسسات الثقافية لمواصلة السبيل البحثي والتجسير العلمي والمعرفي بين الأطراف المتباعدة.

والمؤمّل أن يكون هذا الكتاب فاتحةً لكتبٍ أخرى، ولمشروعات عمليّة تتكامل في النهوض بها المؤسسات العلمية العربية والباكستانية، وأن يكون وسيلةً من وسائل التجسير والتواصل بين المختصين العرب والباكستانيين، وأن يكون نافذة يطّلع من خلالها المعنيون بالثقافة العربية على امتداداتها في باكستان، ويقدروها بما هي أهل له.

والدعوة قائمة لكافة المؤسسات اللغوية العربية في باكستان والوطن العربي لبذل مزيد من الجهود في التقارب؛ لدعم حضور العربية في باكستان، والوفاء ببعض حق هذه اللغة الشريفة، مع الإشارة إلى أن المركز قد عقد مجموعة من التفاهمات مع بعض المختصين الباكستانيين لتأليف الكتب عن حال اللغة العربية في باكستان، وإصدار الأدلة الخاصة بها، **وما زال يسعى إلى تحفيز القائمين عليها، وينتظر مبادرات المختصين**؛ نظراً لمحل الشعب الباكستاني الصديق من نفوس العرب بعامة والسعوديين بخاصة، ونظراً للثقل العلمي العربي في باكستان، والتاريخ العريق لها ولتواصلها مع العربية والعرب، وخدمة علمائها للغة العربية وعلومها، وكثرة المختصين الباكستانيين في اللغة العربية، وعناية المؤسسات العلمية الباكستانية بها.

أحتفي كثيراً بما قام به محرر الكتاب د.إنعام الحق غازي، وأشيد بالمجهود العلمي البارز للمشاركين في بحوثه وموضوعاته، وأتطلع إلى مزيد من الأعمال العلمية التي تتناول العربية في باكستان، وأن تتكامل الجهود العلمية مع الجهود التنفيذية المباشرة

في التعاون والتكامل بين المؤسسات ذات الأهداف المشتركة، وأدعو المختصين الباكستانيين إلى التواصل مع المركز لتأليف الكتب الخاصة بتاريخ العربية في باكستان وواقعها ومستقبلها، وجمع الأدلة التي تدل على المؤسسات العلمية المختصة في العربية والعلماء الكبار البارعين فيها، والرسائل العلمية والكتب المختصة فيها.

سدد الله الجهد والرأي.

الأمين العام

د.عبدالله بن صالح الوشمي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله صحبه أجمعين و بعد:

فإن جذور العلاقات بين العرب وشبه القارة الهندية تمتد إلى أزمان متوغلة في القدم، ومرت بمراحل كثيرة حتى تمخضت عن ظهور الأواصر ذات الأبعاد الكثيرة بين الطرفين. تشرفت هذه البقعة الباكستانية بنور الإسلام عن طريق التجار العرب في بداية القرن الأول الهجري، وكان ذلك قبل اقتحام الجيش الإسلامي فيها بكثير، ثم دخل المسلمون فيها من بوّابة ديبول (حالياً مدينة بنبور قرب كراتشي) فاتحين في زمن الحجاج تحت راية القائد الشاب محمد بن القاسم (سنة ٩٢هـ/ ٧١٢م).[1] وكان لهذا الفتح أثر ملموس في مجال نشر اللغة العربية في المنطقة؛ بسبب نفوذ المسلمين فيها سياسياً وعسكرياً، وجهودهم المبذولة في نشر الإسلام ولغته الرسمية، فحظيت اللغة العربية بمكانة خاصة بين أخواتها من اللغات الموجودة في مناطق كثيرة من السند و البنجاب

١- إحسان حقي، الدكتور، باكستان ماضيها وحاضرها، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م ص:٤٢.

التي دخل أهلها في الإسلام؛ بحيث أصبحت تُفهم و تُنطق في أسواق المنصورة والملتان، وذلك لكونها لغة الدين ولسان المنتصر في ذلك العصر. فبعد أن كان السكان المحليون يتعلمون اللغة العربية لأسباب اقتصادية فقط، بدأوا الآن يهتمون بها لأسباب دينية وسياسية أيضاً، وظلت لغة رسمية للحكومات الإسلامية لثلاثة قرون متتالية؛ بجانب كونها لغة علمية ودينية حتى بداية العهد الغزنوي في القرن الرابع الهجري،[1] فعندئذ بدأ نجمها في الأفول و أخذت اللغة الفارسية تناضلها وتحتل مكانتها. وهذه المنافسة بين اللغتين انتهت برجحان الكفة في نهاية المطاف للغة الفارسية، حيث انسحبت اللغة العربية بوصفها لغة رسمية أو مشتركة من الساحة رويداً رويداً، وبقيت اللغة الفارسية هي التي تُستخدم على الصعيد الرسمي من القرن الحادي عشر الميلادي إلى انتهاء العصر المغولي سنة ١٨٥٧م. ومع ذلك كله ما فقدت اللغة العربية قيمتها الروحية والدينية، وظلت تُدرس في المدارس الحكومية والأهلية طوالَ هذه المدة.

ثم بدأ عهد الاستعمار البريطاني الذي استمر قرابة مائة عام، من عام ١٨٥٧م إلى عام ١٩٤٧م، وفي هذه الفترة من الزمان حاولت الحكومة الإنجليزية كل المحاولة إضعاف اللغة العربية والقضاء على النظام السائد للتعليم والتربية، وترويج النظام الجديد الذي كانت تحتل فيه اللغة الإنجليزية المكان الأول على حساب اللغة العربية واللغات المحلية الأخرى. وزاد الطينَ بلة تقصيرُ المسلمين تجاهها و إهمالهم لها، و بالتالي ما وجدت ملاذاً إلا في أحضان علماء الدين؛ الذين تبنّوها درساً وتدريساً في المساجد والمدارس التي قاموا بإنشائها في جميع أنحاء البلاد لنشر العلوم الإسلامية والعربية. ولكن للأسف الشديد، فقدت اللغة العربية حيويتها ولم تعد لغة التخاطب والتواصل، بحيث انزوت في طيات الكتب المنهجية المدرسية وتلافيف المقررات الدراسية، تُقرأ ثم تُشرح باللغات المحلية، ومن ثم بعدت عن متناول عامة الشعب.

ذهب الاستعمار ولكن لم يتغير الوضع كثيراً عن ذي قبل فيما يتعلق باللغة العربية، بحيث تعوزها الرعاية الحكومية وعناية الجماهير؛ الذين يفضلون تعلّم الإنجليزية عليها لأسباب معظمها اقتصادية، إلى أن صدر قرار رئاسي في عهد الجنرال ضياء الحق بهذا

١- إسرائيل ولفنسون، الدكتور، تاريخ آداب المسلمين في باكستان والهند (باللغة الأردية)، مطبعة المكتبة العلمية، لاهور، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م، المجلد الثانى (الأدب العربي)، ص: ٦٣.

الشأن يقضي بإلزام الجهات المعنية بتدريسها إجبارياً في التعليم الثانوي،[1] ولكن لسوء الحظ نُفّذ القرار جزئياً، حيث تم إدراج مادة اللغة العربية في مناهج الصفوف المتوسطة فقط دون الصفوف الثانوية. أما على المستوى الجامعي فتوجد أقسام اللغة العربية و آدابها في كثير من الجامعات الباكستانية، إضافة إلى المدارس الدينية النموذجية والمراكز الإسلامية التي أنشأتها الحكومة الباكستانية. ولعبت هذه الجامعات والمؤسسات دوراً لا يمكن إغفاله أو تجاهله في مجال إحياء اللغة العربية في المجتمع الباكستاني، ونشرها بين جماهير الشعب، على الرغم من المشكلات والصعوبات الماثلة في هذا السبيل. فنرى في السنوات الأخيرة إقبالاً متزايداً من قبل عامة الناس على تعلم اللغة العربية لأغراض مختلفة: دينيّة واقتصادية وثقافيّة.

إن الكتاب الذي بين أيديكم، أي «**اللغة العربية في باكستان**»، يضم مجموعة من البحوث العلمية التي تتناول موضوعات متعلقة بوضع اللغة العربية في باكستان؛ من خلال سياقها التاريخي الطويل في هذه المنطقة، وتلقي نظرة شاملة على المشاكل والصعوبات التي تعرقل مسارها، وتتحدث عما تعانيه من الإهمال والتقصير من قبل الحكومة والشعب معاً، كما أنها تسلّط الضوء على مدى تأثير اللغة العربية على اللغات المحلية - ولاسيما الأردية - وتأثرها بها، وتقدم توصيات واقتراحات لتطوير عملية تعليم اللغة العربية في البلاد وتسهيلها للمواطنين. وإليكم تقديماً موجزاً لهذه البحوث العلمية بنفس الترتيب الذي وردت به في الكتاب:

البحث العلمي بعنوان «**تطور اللغة العربية في باكستان وحاضرها**» هو حصيلة دمج مقالين للأستاذ الدكتور مظهر معين، وهو يتحدث فيه عن مكانة اللغة العربية وتطورها في باكستان؛ ولاسيما بعد انفصال جزئها الشرقي عنها، ويؤكد على توافر كل الإمكانيات لجعل اللغة العربية لغة باكستان الرسمية والوطنية، كما أنه يدرس حاضر اللغة العربية في باكستان لغة وأبجدية وثقافة وتأثيراً. يقدم المؤلف نبذة عن الإجراءات التي اتخذت على المستوى الحكومي لتعزيز اللغة العربية في البلاد عن طريق تأسيس الكليات والجامعات في مختلف أنحاء البلاد. ويعرّفنا بالجهود المبذولة من قبل المدارس الدينية في سبيل نشر اللغة العربية وتدريسها، فالمدارس المنتسبة إلى المذاهب الفقهية

---

١ - القرار الرئاسي الفيدرالي بجعل العربية مادة إجبارية في مدارس باكستان الثانوية، الصادر في ١٩٨٢م.

المختلفة تقوم بنشر اللغة العربية في باكستان، ولتوضيح ما تحظى به اللغة العربية من الاعتناء؛ يذكر المؤلف الندوات والمؤتمرات التي عُقدت لتطوير تعليم اللغة العربية في الفترات المختلفة، وبعض التوصيات والقرارات التي تمّ الاتفاق عليها بهذا الشأن، ولاسيما مذكرة قانون اللغة العربية التي تتضمن محتويات جميع القرارات والتوصيات والندوات والمؤتمرات الماضية بالنسبة لنشر العربية في باكستان وإعطائها مكانة خاصة فيها، و قد وقّع عليها العلماء والمثقفون من جميع الأوساط.

«**جوانب مهمة من الصلات اللغوية والأدبية بين العربية والأردية**»: بحث قيّم أعده الأستاذ عمر فاروق، وهو يسلّط فيه الضوء على أهم الصلات اللغوية والأدبية بين اللغتين العربية والأردية، مع تقديم نبذة عن علاقات تاريخية متبادلة بين العرب والهند، وكيفية نشأة اللغة الأردية. يتحدث المؤلف عن تأثير اللغة العربية في اللغة والأدب الأرديين؛ مباشرة وبواسطة اللغة الفارسية، وتأثيرها في النقد الأردي. وفي صدد حديثه عن التأثير العربي في اللغة والأدب الأرديين، يقدّم، كنموذج، بعضاً من التعبيرات اللغوية العربية التي استخدمها العلماء المسلمون الأوائل بدون إحداث أي تغيير فيها، وهي بالتالي أدّت إلى تطوير اللغة الأردية، وأيضاً يذكر بعض التعبيرات والمصطلحات التي حصل فيها التداخل فتغيّر مدلولها بالأردية دون اللفظ. يؤكّد المؤلف على أن الشعراء والكُتّاب باللغة الأردية كانوا على معرفة تامة بالعربية والفارسية، حتى العهد المتأخر ما قبل المحدثين، غير أن معظم الشعراء المحدثين كانوا يعرفون الفارسية التي أدت في كثير من الأحيان دور الوسيط بين اللغتين. وقد ذكر المؤلف بعض الأمثلة للتدليل على توسّط اللغة الفارسية بين العربية والأردية، وتأثير اللغة العربية مباشرة على الأردية.

والمقال العلمي بعنوان «**تأثير الثقافة العربية في الثقافة الباكستانية**»: للدكتور مقيت جاويد، يتناول دراسة المظاهر التي تجلّت فيها الثقافة العربية في باكستان، مع ذكر المراحل التي مرت بها في طريقها إلى باكستان. يقسّم المؤلف تأثير الثقافة العربية في الثقافات المحلية الباكستانية إلى مرحلتين: الأولى هي مرحلة الحكم العربي المباشر الممتد لأكثر من ثلاثة قرون، وأثّرت فيها ثقافة العرب على جميع نواحي المجتمع المحلي، والمرحلة الثانية هي مرحلة ما بعد حكم العرب المباشر، وتبدأ بحلول الدولة الغزنوية

التي ضؤل فيها تأثير الثقافة العربية؛ رغم أنه لم ينتهِ كلياً. ثم يقدم المؤلف بعض مظاهر الثقافة العربية في باكستان، مثل: انتشار الإسلام وذيوع اللغة العربية وتأثير الأبجدية العربية على اللغات المحلية وإثراء مخزونها اللفظي بالمفردات والجمل والتعبيرات العربية، وأيضاً تأثير الأدب العربي في الآداب الباكستانية، ومن أبرز مظاهره التشابه بين العروض العربي والأردي، وتواجد أنواع الشعر العربي والبلاغة العربية والمعاني والمفاهيم العربية في الأدب الباكستاني، وأيضاً ترجمة القصص والقصائد العربية إلى اللغات الباكستانية، وتوظيف الشخصيات والأماكن العربية في الأدب الباكستاني، بالإضافة إلى تأثير الثقافة العربية في عادات الباكستانيين، مثل: تسمية الأولاد بأسماء عربية، وانطلاق الألسنة بمحاورات عربية يومية، وتأثيرها في الأعياد والمناسبات الخاصة، وفي الملابس والأطعمة والفنون الجميلة الباكستانية.

البحث الثاني في هذا الكتاب للأستاذ الدكتور مظهر معين بعنوان: «**اللغة العربية كلغة رسمية وقومية في باكستان**»: يسلّط الضوء على مسار اللغة العربية كلغة رسمية وقومية عبر التاريخ، بداية من عصر الخلافة الراشدة إلى وقتنا الراهن، و يؤكد على أهمية اختيارها كلغة باكستان الرسمية والوطنية مع اللغة الأردية لأسباب عدة، منها: كونها لغة الدين الرسمي ولغة الأمة الإسلامية ولغة أمهات المؤمنين. فالعربية أم اللغات الباكستانية، حيث تُكتب جميعها بالحروف العربية، وعدد كبير من مفرداتها ومصطلحاتها مأخوذ من العربية، وهي لغة القرآن ولغة نبينا عليه الصلاة والسلام، فتستحق هذه اللغة من كل ناحية أن تكون لغة باكستان الرسمية والوطنية إلى جانب اللغة الأردية، لأن مسلمي باكستان حكومة وشعباً يحبونها ويفضلونها على جميع اللغات واللهجات.

يقوم الأستاذ الدكتور خالق داد في بحثه: «**تعليم اللغة العربية في باكستان (مشكلات وحلول)**» بدراسة عن وضع اللغة العربية الراهن في باكستان وما تواجهه من المشكلات والعقبات في سبيل تدريسها. ومن أكبرها ازدواجية النظام التعليمي في باكستان، أي الرسمي والأهلي؛ أما النظام الرسمي فهو يشتمل على المدارس والجامعات الحكومية، ومستوى الطلاب فيها ضعيف جداً؛ لعدم وجود التنسيق الشامل بين مناهجها الدراسية، وتدريس اللغة العربية في نطاق محدود جداً، بينما النظام الأهلي الذي يتمثل في المدارس الدينية والجمعيات والهيئات الأهلية يعوزه بيئة التواصل باللغة العربية، والتمرين على

الكتابة والإنشاء، بالإضافة إلى المناهج المتبعة فيها التي تتصف بالتعقيد والجمود، وقلما تساعد الطالب على تعلّم العربية. وتعرّض المؤلف أيضاً لمشاكل وصعوبات في سبيل تعليم اللغة العربية التي تعمّ المعلمين والدارسين و المهتمين باللغة العربية على حد سواء، وفي نهاية البحث يؤكد على ضرورة تطبيق السياسة الجديدة في باكستان؛ من خلال جعل اللغة العربية مادة إجبارية حتى الصف الثاني عشر، وزيادة أساتذة العربية بحيث لا يقل عددهم عن أساتذة الإنجليزية والأردية في المدارس والكليات. ويقترح أيضاً أن تُجعل اللغة العربية مادة إجبارية كاللغة الإنجليزية والأردية في كافة امتحانات المنافسة للوظائف، وكذلك في النظام العسكري الباكستاني للضباط، وأن تُزوّد المعاهد التعليمية بجميع التسهيلات الضرورية والوسائل الحديثة لتعليم العربية، ويمكن أن تُطلب المساعدة في هذا الصدد من الدول العربية عن طريق إيفاد أساتذة اللغة العربية وتوفير المطبوعات والكتب المدرسية والمناهج التعليمية، ومن خلال تقديم منح كافية لطلاب اللغة العربية الممتازين في الكليات والجامعات الحكومية للدراسة في الجامعات العربية، ويقترح أن يُنشأ معهد للغة العربية في باكستان يشرف على أربع مدارس نموذجية، موزعة على الأقاليم الأربعة الباكستانية، ويكون على أحدث طراز مثل مدارس الإرساليات البريطانية والأمريكية والفرنسية والإيطالية، تحت رعاية المملكة العربية السعودية. وإلى جانب تدريس اللغة العربية، تهتم هذه المدارس بتدريب المعلمين المكلفين بتعليم اللغة العربية في باكستان.

و أما صاحب البحث بعنوان: «**مناهج تدريس اللغة العربية وآدابها في المدارس والجامعات الدينية في باكستان: تقويم واقتراح**»، الأستاذ زاهد، نائب رئيس الجامعة الإسلامية الإمدادية بفيصل آباد، وهي جامعة دينية أهلية، فهو يدرس الوضع التدريسي للغة العربية في المدارس والجامعات الدينية في باكستان من خلال عرض موجز للكتب التعليمية المقررة لتدريس اللغة العربية وقواعدها وآدابها، مع ذكر إيجابيات وسلبيات هذه المناهج والمقررات. فعلى الرغم من احتوائها على بعض أمهات كتب الأدب مثل المعلقات السبع وديوان المتنبي ومقامات الحريري، إلى جانب بعض الكتب الحديثة مثل مختارت الأدب العربي لأبي الحسن الندوي، لم يزل هناك مجال للتحسين والتطوير. وبهذه المناسبة يقدم الباحث بعض المقترحات لتطوير المقررات الدراسية وطرق التدريس؛ ففي اختيار الشعر العربي المقرر على الطلبة في المراحل التعليمية المختلفة؛ يؤكد على

ضرورة توسيع هذا الاختيار إلى جميع العصور الأدبية، وتضمينها بمعظم الأغراض الشعرية والاتجاهات الأدبية والقوالب الفنية، ويرى ألا يكون المعيار في هذا الاختيار هو مجرد شهرة الشاعر في الأوساط الأدبية، بل يكون أساس هذا الاختيار هو الجمال في التعبير وعذوبة اللفظ وصدق العاطفة وعمق التأثير والبعد عن التكلف. ويقترح أن يُكلّف الطالب بحفظ جزء كافٍ من هذه المادة، إلى جانب تشجيعه على القراءة الموسّعة في الكتب من اختيار نفسه. أما في مجال النثر، فتفتقر هذه المناهج إلى الأدب الصفحي والأسلوب العلمي والأدب الروائي والقصصي. و أما مادة البلاغة، فالحاجة ماسة إلى أن تُدرس هي ومادة النقد جنباً إلى جنب، مع التركيز على الجانب التطبيقي، ويمكن الاستفادة في هذا الصدد من مقررات بعض البلاد العربية في المرحلة الثانوية. وإضافة إلى ذلك، تحتاج المناهج المدرسية أن تصمم على أساس المهارات اللغوية الأساسية الأربع، وتكون مزودة بالتمارين، الأمر الذي ينقص الكتب المنهجية في المدارس الدينية. وفي الختام؛ يحث المؤلف على التخلي عن طريقة الترجمة المتبعة لتدريس اللغة العربية واستبدال الطريقة المباشرة بها، وذلك باستخدام المعاونات المسموعة والمبصرة. ويذكر الباحث بعض الصعوبات والعوائق التي تحول دون قيام هذه المدارس والجامعات بدورها في تحسين هذه المناهج وتطويرها، ويقدم بعض التوصيات للتغلب على هذه المشاكل.

يحاول الأستاذ الدكتور محمد علي غوري في مقاله: «**دور اللغة العربية في ارتقاء الوعي الدينى في باكستان**» أن يربط بين اللغة العربية والوعي الديني في باكستان، ويثبت أن العلاقة بينهما لا تقبل الفصام، فهما في الحقيقة وجهان لعملة واحدة، والعلاقة بينهما ثنائية؛ بمعنى أنه إذا زاد الوعي بالدين الإسلامي في مجتمع ما فإن الاهتمام باللغة العربية يزداد فيه، والعكس صحيح؛ أي إذا انتشرت اللغة العربية في مجتمع زاد فيه الوعي الديني. يتحدث الباحث عن قسمين لبرامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، برامج عامة للجمهور دون تمييز بين الدوافع التي من أجلها يتعلم الناس العربية، وبرامج لتعليم العربية لأغراض خاصة، وهي برامج نوعية ذات طبيعة خاصة ولأناس من ذوي الحاجات الخاصة، مثل من يتعلمها لفهم الدين وكتاب ربه، وهي تحتاج إلى عنايتنا أكثر من قسميها. وفي ختام البحث؛ يقدم الباحث بعض النتائج والتوصيات، ويؤكد على الاهتمام باللغة العربية في جميع المستويات، ولاسيما على المستوى الرسمي، وذلك من خلال حثّ كل فئات الشعب على تعلّمها، ويشدّد على ضرورة إعداد مناهج

وبرامج قوية، وإعداد معلمين أكفاء لهذا الغرض، ويمكن في هذا الصدد استغلال المدارس الدينية ومراكز تحفيظ القرآن المنتشرة في باكستان.

يتناول البحث بعنوان: «**اتجاهات حديثة في إعداد مواد تعليم اللغة العربية**»، **الذي كتبه الأستاذ الدكتور حبيب الرحمن عاصم**، قضية إعداد المواد لطلبة المدارس النظامية والأهلية والجامعات والكليات الحكومية في باكستان، ويناقش الأمور التي تعوز المقررات والمناهج الدراسية، ويلقي نظرة على الكتب المتداولة فيها، التي ينقصها أمور كثيرة لابد من مراعاتها، مثل: عدم وجود التدرج العلمي والتدريبات اللازمة، وعدم الاهتمام بمستوى الطالب ولغته الأم، وعدم تشكيل النصوص، وعدم مراعاة البيئة، وخلوّ هذه الكتب من المهارات الأساسية، وعدم استخدام التكنولوجيا الحديثة في التدريس، وعدم الاهتمام بشعور الطالب النفسي والمعرفي والثقافي. ويقدم الباحث أموراً بوصفها اقتراحات وتوصيات، أهمها: تحديد الأهداف العامة والخاصة لتأليف الكتاب، وتحديد مستوى الطلبة الذين يُكتب لهم، وتحديد الرصيد اللغوي من المفردات والتعبيرات والقواعد والتراكيب، وتحديد معرفة التربية الثقافية التي يتعلمها الطالب من خلال الكتاب، وتحديد نقل المعلومات عن الحياة المعاصرة، وتحديد الوسائل التعليمية لكل درس ومهارة، وتحديد طريقة التدريس، وتزويد الكتاب ببعض أنواع الاختبارات لتقويم الطالب وما درسه.

تهدف الورقة البحثية الثامنة بعنوان «**أغراض تعلّم اللغة العربية لدى الباكستانيين: طبقات مهنية نموذجاً**» إلى دراسة الأغراض والأهداف التي تحفز أعضاء طبقات مهنية في باكستان على تعلّم اللغة العربية. وقد قام المؤلف الأستاذ الدكتور إنعام الحق غازي بدراسة ميدانية؛ جمع معلوماتها عن طريق الاستبانة من طلبة الدورات القصيرة للغة العربية التي تقدمها الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد. وقد اختار في هذا البحث طبقات مهنية بوصفها نموذجاً. وبالنظر إلى مستوى التعليم للعينات المدروسة ومهنها وأسباب تعلمها للغة العربية والحوافز الدافعة إلى تعلمها، بالإضافة إلى سنها ولغاتها الأم، توصّل الباحث إلى أن أفراد الطبقات المهنية الباكستانية يميلون إلى تعلّم اللغة العربية لأغراض متعددة، مثل: فهم القرآن والحديث وإتقان المهارات اللغوية الأربعة والحصول على وظيفة في إحدى البلاد العربية وإجادة لغة الكلام، وما إلى ذلك من

أغراض، غير أن الغرض الديني يغلب نسبياً على جميع الأغراض الأخرى. وقد أثمر هذا البحث في جمع آراء المتعلمين لسبل تطوير طرق تدريس اللغة العربية لهم، مثل: الاستعانة بالتقنية الحديثة وتدريب المعلمين وإعداد مناهج وكتب تسدّ حاجاتهم في الفترات القصيرة.

يعرض الدكتور حارث مبين في مقاله بعنوان: «**المجلات العلمية العربية: نشأتها وتطورها في باكستان**» تاريخاً موجزاً لنشأة المجلات العلمية العربية وتطورها في العالم العربي عامة وفي باكستان خاصة، ويقدم نبذة عن المجلات العربية الحديثة الصادرة من الجهات المختلفة في باكستان، مثل: مجلة اليقين والوعي ومجلة الدراسات الإسلامية ومجلة الأحباء ومجلة أخبار العرب ومجلة التحقيق ومجلة الإيضاح ومجلة الأضواء ومجلة الثقافة الإسلامية ومجلة إقباليات ومجلة المنهل ومجلة معارف إسلامي ومجلة القسم العربي ومجلة حولية ومجلة التحقيق ومجلة قافلة الأدب الإسلامي ومجلة معارف أولياء ومجلة دريافت. وهذه المجلات تصدر باللغة العربية أو باللغة العربية والأردية والإنجليزية معاً، وكلها دورية تتراوح مدة صدورها بين نصف شهر وسنة.

يقوم الأستاذ الدكتور حامد أشرف همداني بعرض ما أسهم به الشعراء الباكستانيون في الشعر العربي، في بحثه بعنوان: «**إسهامات الشعراء الباكستانيين في الشعر العربي**»، وبناء على ما يتسم به شعرهم من الصفات يصنفهم الباحث إلى مدرستين: الأولى: المدرسة التقليدية، ومعظم المنتسبين إلى هذه المدرسة هم علماء الدين، ويغلب على شعرهم الأسلوب العلمي والتأثر بالقرآن والحديث النبوي وشعر القدامى، ومع أن شعرهم لا يضارع الشعر العربي الموروث ولكنه من حيث الأفكار والمعاني شعر قوي ذو أثر بالغ. والمدرسة الثانية هي مدرسة تجديدية، ومعظم المنتمين إلى هذه المدرسة هم الذين تسنّت لهم فرصة التعليم في الجامعات الحكومية، وحصل لهم الاحتكاك بالعرب بطريقة أو بأخرى، فمن ثم تعرفوا على التيارات الجديدة للشعر في العالم العربي، وقرضوا على منوالها. وأما موضوعات الشعر الباكستاني، فهي تدور حول المدح والوصف والنقد والاتجاه الديني والشعر التعليمي والتغزل والفخر والحماسة والترحيب والتهنئة والشكوى والاستعطاف والهجاء والمقاومة.

ألَّف المقال بعنوان: «**جوانب مجهولة من حياة عبدالعزيز الميمني الراجكوتي**» فضيلةُ الأستاذ الدكتور ظهور أحمد أظهر، أحد أعلام اللغة العربية في باكستان، وهو بدوره يسجّل ذكرياته مع أحد جهابذة اللغة العربية في هذه المنطقة. يقدم المؤلف جوانب مجهولة من حياة أستاذه، ويبدّد بعض الاتهامات التي وُجهت إليه من قبل الذين لا يعرفونه عن كثب، و يلقي ضوءاً على ما اتصف به من علم غزير وخلق كريم: قد حقق الأستاذ الميمني أكثر من ثلاثين كتاباً من التراث العلمي، منها كتاب سمط اللآلي، وكان عضواً مراسلاً بمجمعي دمشق والقاهرة، وله رحلات ثلاث إلى البلاد العربية زار خلالها عدداً من العواصم الثقافية، واطلع على خزائن كتبها واتصل برجالها الكثيرين. ويذكر المؤلف بعض النكت والطرائف الأدبية، إلى جانب ذكر بعض الأحداث التي تدل على غزارة علمه وسماحة شخصيته. كان العلامة الأستاذ ميمني قد حفظ الكثير من أدب العرب شعراً ونثراً، حتى إنه كان يحفظ بعضاً من دواوين الشعراء والمجموعات الشعرية بكاملها، كديوان المتنبي وديوان الحماسة لأبي تمام والمعلقات والمفضليات وغيرها، وكان مطلعاً على مفردات القرآن اللغوية وكثير الإتقان لها، إلى درجة أنه كان يستطيع جزم القول عن كل كلمة قرآنية هل وردت في الكتاب أم لم ترد؟ أو أين وكم مرة وفي أي سورة من السور؟

يتحدث الدكتور عبدالقدير عن عَلَم آخر من أعلام اللغة العربية وآدابها في باكستان، في مقال بعنوان: «**الدكتور خورشيد الحسن رضوي رائد الأدب العربي في باكستان**»، فبعد تقديم نبذة عن حياته العلمية والأدبية ومناصبه التي شغلها، يتحدث صاحب المقال عن إنتاجاته الأدبية في ثلاث لغات، وتحقيق الجزء السادس لـ «قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان»، وترجمة عربية لـ«حكم المحكمة الشرعية الاتحادية الباكستانية بشأن الفائدة (الرباء)»، والكتابين: «تأليف» و«أطراف»، اللذين يضمان مقالات عديدة حول قضايا مختلفة للأدب العربي القديم والحديث. وإضافة إلى ذلك يعرض الباحث بعض شعر خورشيد الحسن الرضوي العربي، والجدير بالذكر أنه تم تكريمه من قبل الحكومة الباكستانية بوسام نجمة الامتياز؛ تقديراً لجهوده العلمية واعترافاً بخدماته الجليلة في مجالي الأدب والثقافة. والدكتور خورشيد عضو لكثير من المؤسسات العلمية واللجان الأدبية داخل باكستان وخارجها، ومن بينها مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

ويتضح مما سبق أن هذه المجموعة من المقالات والبحوث تلقي ضوءاً على جوانب متعددة للغة العربية في باكستان؛ فسوف يجد القارئ مادة علمية حول تاريخ وصولها إلى هذه المنطقة، والمثاقفة الناتجة عن ذلك، وتطور اللغة العربية في هذه المنطقة عبر العصور، ووضعها الراهن وتأثيرها في الثقافات واللغات المحلية، والجهات المعنية على الصعيدين الرسمي والأهلي، بالإضافة إلى المشكلات والصعوبات التي تواجهها في سبيل نشرها ورفع مستواها، والتعريف ببعض أعلام اللغة العربية وآدابها في باكستان، إلى جانب مقترحات وتوصيات لتحسين وضع اللغة العربية بشتى الطرق.

ونرجو أن تسدّ هذه المحاولة ثغرة مهمة في منطقة جغرافية ذات قيمة ثقافية لغوية، ألا وهي جمهورية باكستان الإسلامية، كما أننا نرجو أن تثمر هذه المجموعة من المقالات في فتح أفكار بحثية أخرى بإذن الله تعالى. وندعو الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

الدكتور/ إنعام الحق غازي

تطوّر اللغة العربية في باكستان وحاضرها[1]

الدكتور مظهر معين

أستاذ اللغة العربية وعميد الكلية الشرقية السابق بجامعة بنجاب، لاهور

ظهرت باكستان على خارطة العالم كدولة مستقلة في منتصف الليلة السابعة والعشرين من رمضان عام ١٣٦١هـ، وكانت ليلة اليوم الرابع عشر من شهر أغسطس في عام ١٩٤٧م، و تعتبر هذه الليلة السابعة والعشرون من شهر رمضان ليلة القدر عند أغلبية العلماء والصالحين، وقد قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ① وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ② لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③ ﴾[2]

وقال أيضاً:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾[3]

ونعرف بذلك أن القرآن العربي يرتبط بليلة القدر ارتباطاً وثيقاً مباشراً، وهي خير من ألف شهر، كما نعرف الآن أن لدولة باكستان المسلمة علاقة وثيقة مباشرة بهذه الليلة المباركة؛ باعتبارها ليلة تأسيسها وميلادها. وإذا كانت هذه مصادفة فهي مصادفة مباركة، و كان أمر الله حتماً مقضياً.

---

١ – هذا البحث هو حصيلة دمج مقالين للأستاذ الدكتور مظهر معين نُشرا في مجلة الحولية الصادرة من الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، العدد الثاني، ١٩٩٤م ومجلة الكلية الشرقية، جامعة بنجاب، العدد:١ والمجلد ٨٣، ٢٠٠٧م.

٢ – القدر: ١–٣.

٣– يوسف: ٢.

ولاشك أن المناطق الباكستانية الممتدة من مكران إلى السند وملتان هي أقدم المناطق في شبه القارة الهندية التي سادت فيها اللغة العربية كلغة رسمية لأربعة قرون، بدأت من فتح مكران وقلات وغيرهما من مناطق بلوشستان في زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، فقد فتح المسلمون القسم الأكبر من إيران زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، و لم يتقدموا إلى أبعد من حدود مكران إلى زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان؛ حيث استولوا على القسم الشرقي من بلوشستان وعلى إمارة قلات التي كانت تابعة للسند وضمّوها إلى مكران، ثم تقدموا واستولوا على قندهار وعلى كابل ووقفوا عند هذا الحد.[١]

ثم هجم القائد العظيم محمد بن القاسم على أرض السند في عصر الخلافة الأموية سنة ٩٢هـ/ ٧١٢م واستولى على السند، وسار متقدماً في البلاد مدة ثلاث سنوات حتى بلغ حدود كشمير وإمارة قنوج.[٢]

وقال الدكتور إسرائيل ولفنسون مدرس اللغات السامية بالجامعات المصرية في العشرينات:

«وقد كان القرن الأول للهجرة عظيماً من كل وجه، فقد ارتفع شأن اللغة العربية ارتفاعاً لا نظير له، وامتدت الفتوح الإسلامية امتداداً كبيراً جداً حتى وصلت إلى الهند من ناحية، وإلى بحر الظلمات من ناحية أخرى».[٣]

وكانت اللغة العربية لغة الشؤون التجارية في ولاية المنصورة مع اللغة السندية، كما كانت شائعة معها في أسواق المنصورة وديبل وملتان كلغة التحدث، وذلك في القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي) حسب شهادة ابن حوقل والمقدسي.[٤]

أما المنطقة الممتدة من لاهور إلى بيشاور وكشمير ففتحها السلطان محمود الغزنوي، وصارت منطقة بنجاب هذه جزءاً من الدولة الإسلامية مباشرة بعد أن ضمها محمود إلى سلطنة غزني في أفغانستان، واستمر ذلك سنة ١٠٢٢م/ ٤١٣هـ، حيث بدأت

١- إحسان حقي، الدكتور، باكستان ماضيها وحاضرها، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص:٤٢.

٢- نفس المرجع ونفس الصفحة.

٣- إسرائيل ولفنسون، الدكتور، تاريخ آداب المسلمين في باكستان والهند (باللغة الأردية)، مطبعة المكتبة العلمية، لاهور، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م، المجلد الثاني (الأدب العربي)، ص: ٦٩.

٤- جامعة بنجاب بلاهور، تاريخ آداب المسلمين في باكستان والهند (باللغة الأردية)، مطبعة المكتبة العلمية، لاهور، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م، المجلد الثاني (الأدب العربي)، ص: ٦٩.

لاهور تزدهر كمدينة إسلامية مركزية في الهند الشمالية.[١] وبذلك صارت اللغة العربية لغة رسمية للمنطقة المذكورة آنفاً لحقبة من الزمان. ثم استبدلت بها الفارسية بعد مدة، وبقيت الفارسية اللغة الرسمية عدة قرون إلى أن سيطر الإنجليز سيطرة كاملة على شبه القارة الهندية بعد فشل ثورة ١٨٥٧م. وظلت العربية باقية معها كلغة المحاكم الشرعية الرسمية ولغة التعليم الإسلامي إلى ذلك الوقت. ولم يكن أحد من المثقفين المسلمين يجهل اللغة العربية طوال هذه القرون؛ لأنه لم يكن يعتبر عالماً ومثقفاً ما لم يكن يتقن اللغة العربية وعلومها الإسلامية. ولاتزال اللغة العربية باقية كلغة القرآن والإسلام في كل بيت من بيوت المسلمين في المناطق الباكستانية إلى عصرنا الحديث، مع تأثيرها العميق في اللغة الفارسية، لغة الهند الرسمية، لعدة قرون ماضية، التي لاتزال تُكتب بالحروف العربية، وتضم في معجمها أكثر من سبعين بالمائة من المفردات العربية.[٢]

وكذلك الحال في اللغة الأردية، التي كانت ولاتزال شائعة بين مسلمي شبه القارة في المناطق التي تشتمل عليها دولة باكستان الجديدة، والتي كانت لغة رسمية في أغلبية المناطق الباكستانية إلى حد ما مع اللغة الإنجليزية في العصر البريطاني، ثم صارت لغة باكستان الوطنية بعد استقلال البلاد. وأضف إلى ذلك أن جميع اللغات في باكستان الحديثة تُكتب بالحروف العربية منذ زمن قديم، وأكثر الكلمات والمصطلحات فيها مأخوذة من اللغة العربية مع كون اللغة العربية شائعة بين الشعب الباكستاني كلغة دينية قديماً وحديثاً.

هذه نبذة من تاريخ اللغة العربية في المناطق الباكستانية قديماً وحديثاً، ولها ارتباط مباشر بما حدث بعد الاستقلال في حق اللغة العربية، فبدأ الشعب الباكستاني وعلماؤهم وقادتهم يفكرون في جعل اللغة العربية لغة البلاد الرسمية بعد تأسيسها واستقلالها، ومن ذلك:

١. عقدت «جمعية حزب الله» مؤتمرها في مدينة (سلهت)[٣] من باكستان الشرقية (بنغلاديش الحديثة) في يناير عام ١٩٥١م برئاسة العالم الكبير فضيلة الشيخ محمد إدريس، ووافق المشاركون في المؤتمر على قرار يوصي بإعطاء اللغة العربية

١- نفس المرجع، ص: ٦٧.

٢- محيي الدين، الدكتور، قضايا نشر اللغة والثقافة العربية الإسلامية في الخارج، مجلة «اللسان العربي» الرباط، العدد العشرون، ١٩٨٣م، ص: ٩.

٣- إحدى المدن الرئيسة في شمال شرق بنغلاديش. (المحرر)

مكانة اللغة الرسمية في الدولة الباكستانية لكونها لغة القرآن والإسلام.[١]

٢. عقدت «جمعية علماء الإسلام» في باكستان الشرقية مؤتمرها الخاص في نفس المدينة (سلهت) وفي نفس الشهر (يناير عام ١٩٥١م) برئاسة العالم البارز ذي الشهرة العالمية فضيلة الشيخ سيد سليمان الندوي، وأجمع المشاركون في المؤتمر على قرار يوصي باختيار اللغة العربية كلغة باكستان الرسمية.[٢]

وكانت هذه الجمعية تمثّل آلاف العلماء والمشايخ الذين لعبوا دوراً هاماً في حركة استقلال باكستان بقيادة العلامة شبير أحمد العثماني، جنباً إلى جنب مع القائد الأعظم محمد علي جناح مؤسس باكستان ورئيس «رابطة المسلمين» (مسلم ليج) في شبه القارة.

٣. أيّد مجلس رابطة المسلمين (مسلم ليج) في باكستان الشرقية فكرة تعريب البلاد واتخذ بالإجماع قراراً في اجتماعه المنعقد في ٢١ يناير عام ١٩٥١م يوصي بإعطاء اللغة العربية مكانة اللغة الرسمية في دولة باكستان الإسلامية.[٣] والجدير بالذكر أن رابطة المسلمين هي نفس الجماعة التي فازت باستقلال البلاد بمساعدة ملايين من المسلمين وبقيادة رئيسها محمد علي جناح.

٤. وكان سمو الأمير السير سلطان محمد شاه آغا خان الثالث، رئيس رابطة المسلمين سابقاً وإمام الطائفة الإسماعيلية في العالم، قد ألقى كلمته في الجلسة الافتتاحية لاجتماع «مؤتمر العالم الإسلامي» المنعقد في كراتشي – عاصمة باكستان آنذاك – في الخامس عشر من فبراير عام ١٩٥١م، فحث في كلامه البليغ على اختيار اللغة العربية كلغة باكستان الرسمية؛ لأهميتها الدينية والثقافية، مع كونها لغة الدول الإسلامية الكثيرة ولغة الارتباط بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها،[٤] فأيّده في رأيه هذا السيد زاهد حسين – حاكم بنك دولة باكستان آنذاك – وغيره من العلماء والمثقفين البارزين.

١- راجع: مقال السيد عبدالله ملك: «اللغة الأردية والبنجابية والسرائيكية» (باللغة الأردية) في جريدة «باكستان» اليومية، لاهور، ٢١ نوفمبر ١٩٩٢م، ص: ٢.

٢- نفس المرجع ونفس الصفحة.

٣- نفس المرجع ونفس الصفحة.

٤- نفس المرجع ونفس الصفحة.

٥.قدّم رئيس الوزراء الباكستاني السيد محمد علي بوغرة تعديلاً في المجلس الدستوري الباكستاني بتاريخ ٧ مايو ١٩٥٤م؛ لإضافة باب جديد بعد الباب الثامن من تقرير لجنة المبادئ الإسلامية لوضع الدستور الباكستاني. وقد جاء في مادتيه الرابعة والخامسة ما يلي:

٤- ينبغى تدريس اللغات العربية والأردية والبنغالية في المدارس الثانوية.

٥- ينبغى للدولة أن تستخدم جميع وسائلها لتنمية لغة وطنية مشتركة.[١]

وأيّد هذه التوصيات والقرارات والاقتراحات عدد كبير من أعضاء المجلس الدستوري الباكستاني. وكان الأعضاء البنغاليون على رأسهم، كما أيّدها آلاف العلماء والمثقفين بتأييد من ملايين من المسلمين في باكستان الشرقية والغربية، ولكن مع الأسف لم تنجح محاولات هذه النخبة الممتازة التي كانت تمثّل أماني الشعب و آمال المسلمين المتحمسين للغة الأمة و الدين. و لذلك أسباب ظاهرة و سرّية لايمكن حصرها في هذا المقام ويحتاج تحليلها إلى مقال انتقادي مستقل، يقول الدكتور إحسان حقي في هذا الصدد:

«وقد جاء يوم على باكستان في أول عهد استقلالها كادت اللغة العربية تكون لغة البلاد الرسمية، لولا أن وقف في هذا السبيل بعض القصيري البصر والبصيرة، أو بعض أصحاب الأغراض، ولو تمت هذه الخطوة لما كانت وجدت القضية البنغالية، ولما كان أعداء الإسلام استطاعوا أن يقضوا على الوحدة الباكستانية بسبب اختلاف اللغة بين الأردية والبنغالية، ولكنها خطة مرسومة لم يتنبه لها الذين حاربوا فكرة تعريب البلاد».[٢]

ولاشك في أن النزاع بين اللغة الأردية السائدة في باكستان الغربية والبنغالية السائدة في باكستان الشرقية كان من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى تفضيل اللغة العربية على اللغات الأخرى كلغة البلاد الرسمية عند كثير من العلماء والمثقفين. ولكنه لم يكن دافعاً وحيداً؛ بل كان هناك كثير من الدوافع، ولاسيما الدينية والثقافية والعلمية والعالمية التي اهتدى بها العلماء والسياسيون المخلصون إلى لغة القرآن والرسول ﷺ في دولة أسّست باسم الإسلام.

١- نفس المرجع ونفس الصفحة.

٢- إحسان حقي، الدكتور، باكستان ماضيها وحاضرها، ص: ٣٣٤.

وكان من الممكن وبدون أي صعوبة أن تُختار اللغة العربية كلغة رسمية ووطنية مشتركة لجميع المناطق الباكستانية، مع جعل اللغتين الأردية والبنغالية لغتين رسميتين ثانيتين لباكستان الغربية والشرقية على الترتيب، ولكن لم تتم هذه الأمور فاشتد التمسّك بعد ذلك باللغة البنغالية وبقوميتها في باكستان الشرقية؛ التي كانت تضم أكثر من خمسين بالمئة من مجموع عدد السكان في باكستان، وأدّى ذلك، مع الأسباب الثانوية الأخرى، إلى انفصال المنطقة الشرقية عن دولة باكستان الإسلامية بعد حرب أهلية طويلة دامية، ثم المعركة الكبرى بين باكستان والهند التي صارت بعدها باكستان الشرقية دولة بنغلاديش المستقلة في ١٦ ديسمبر ١٩٧١م.

واللغة العربية منذ انقسام باكستان إلى شطرين مستقلين في ديسمبر ١٩٧١م لا مكانة لها كلغة تعليمية، إلا كونها مادة اختيارية في المدارس الثانوية والكليات والجامعات منذ العصر البريطاني. وكان ولا يزال الفضل لعلماء الدين ومدارسهم العربية الإسلامية لحماية اللغة العربية وعلومها الإسلامية؛ فقد قاموا منذ أول يوم ببناء آلاف المساجد والمدارس في جميع أنحاء باكستان الغربية والشرقية، رغم قلة الموارد المالية وفقدان المساعدة الرسمية، توكلاً على الله واعتماداً على عامة المسلمين من الطبقات السفلى و الوسطى، وقد نصرهم الله نصراً مؤزّراً، ولا تزال تضم هذه المدارس مئات الآلاف من طلاب العلوم العربية والإسلامية، وهيّأت لملايين المسلمين فرصة تعلّم الصلاة والقرآن والشعائر الدينية الأخرى على نطاق واسع.

وتغيرت الظروف اللغوية والثقافية بعد انفصال باكستان الشرقية عن دولة باكستان الإسلامية، بحيث لم تبقَ اللغة البنغالية لغة باكستان الرسمية أو الوطنية، وكانت تُكتب بالحروف السنسكريتية فلم يتأثر بها شعب المنطقة الغربية قليلاً ولا كثيراً منذ البداية. كانت لغة محلية فعلاً منحصرة في المنطقة الشرقية الباكستانية فقط، وصارت اللغة الأردية بعد ذلك اللغة الوطنية الوحيدة، كما اعترف بها الدستور الباكستاني الذي وُضع بعد انفصال المنطقة الشرقية عام ١٩٧٣م، بإجماع الأعضاء المنتمين إلى جميع الأحزاب السياسية في البرلمان الباكستاني.

وكانت هذه اللغة الأردية ولا تزال تُكتب بالحروف العربية، كما يرجع أكثر المفردات والمصطلحات فيها إلى أصل عربي. وكانت ولا تزال تُعتبر لغة إسلامية مشتركة لمسلمى شبه القارة، ولا تماثلها أية لغة أخرى من لغات شبه القارة في آدابها الإسلامية وعلومها

المتنوعة المحيطة بالقرون العديدة. وتعتبر لغة علمية ودينية هامة بعد اللغة العربية عند العلماء و الباحثين و المثقفين المسلمين في جميع أنحاء شبه القارة، بما فيها باكستان والهند وبنغلاديش. وهي اللغة الوحيدة من بين اللغات الكثيرة المتنوعة التي تفهمها أغلبية الشعب في جميع دول شبه القارة: الباكستانية الهندية البنغلاديشية.

فالمهم أنه انقطعت باكستان عن جنوب شرق آسيا وآسيا الجنوبية فعلاً من الناحية الجغرافية بعد انفصال جزئها الشرقي عنها، فصارت دولة من دول الشرق الأوسط وآسيا الوسطى. ولا يزال الاهتمام باللغة العربية يتزايد بعد ذلك يوماً فيوماً؛ على المستوى الرسمى والشعبى لأسباب مختلفة: دينية وثقافية وإقليمية وجغرافية وعالمية، و لذلك نرى تطوّر موقع اللغة العربية وانتشارها الواسع في المجتمع الباكستاني. ولعل في النقاط الآتية ما يدل على ذلك:

١ .نجد بياناً مفصلاً في بداية الدستور الباكستاني المشكّل في عام ١٩٧٣م بالنسبة للغة العربية والتعاليم الإسلامية تحت عنوان «الحياة الإسلامية»:

«يجب اتخاذ الخطوات التي تساعد مسلمى باكستان أفراداً وجماعات على تنظيم حياتهم في إطار مبادئ الإسلام الرئيسية وعقائده الأساسية، وأن يزوّدوا بكافة التسهيلات التي تساعدهم على فهم الحياة وفقاً للقرآن الكريم والسنة النبوية». [١]

٢ . إن على الدولة أن تبذل كل جهودها في سبيل تربية مسلمى باكستان؛ وذلك بـ:

أ. أن تجعل القرآن الكريم والعلوم الإسلامية إجبارية، وتشجّع تعلّم اللغة العربية وتسهلّها، وأن تساعد على طبع الكتب الدينية القيّمة وعلى نشر القرآن الكريم.

ب. وأن تعمل على تقوية الوحدة الإسلامية والمحافظة على مستوى الأخلاق الإسلامية.

ج. وأن تعيّن المنظمات الخاصة التي تعمل على جمع الزكاة وتُعنى بالأوقاف والمساجد. [٢]

أنشأت المراكز الوطنية الباكستانية في جميع أنحاء البلاد فصولاً لتعليم العربية بعد عام ١٩٧١م، كما جعلت الدراسات الإسلامية مادة إجبارية متضمنة تعليم القرآن بعد الصفوف الوسطى أيضاً (الصف التاسع والعاشر) في عصر حكومة السيد ذو

---

١ – المادة: ٣١ (أ–٢).

٢ – إحسان حقي، الدكتور، باكستان ماضيها وحاضرها، ص: ٣٦٥، (نقلاً عن الدستور الباكستاني).

الفقار علي بهوتو (ت/ ١٩٧٩م)، مع جعلها إجبارية ضمن المقررات لامتحان الخدمات العليا المركزية. ثم جعلت الدراسات الإسلامية مادة إجبارية إلى الثانوية العليا والبكالوريوس في عصر الجنرال ضياء الحق (١٩٧٧م -١٩٨٨م)، مع إصدار القرار الرئاسي الذي يأمر بتدريس العربية مادة إجبارية في التعليم الثانوي بدءاً من عام ١٩٨٢م. فأصبحت العربية مادة إجبارية في الصفوف الوسطى، لكنها لم تصل إلى الصفوف الثانوية إلى الآن.[١]

٣. توجد أقسام اللغة العربية وآدابها بالجامعات الباكستانية التي أُنشئت في مختلف أنحاء البلاد. وأقدم هذه الأقسام الجامعية هو «قسم اللغة العربية وآدابها» بجامعة بنجاب لاهور؛ الذي كان أُنشئ سنة ١٨٧٠م لما أُسست الكلية الشرقية بلاهور، ثم فُتحت فيه فصول الماجستير في عام ١٨٨٨م. ومضى على تأسيسه أكثر من قرن، وكانت تدرس فيه المقررات العربية دون درجة الماجستير ولشهادة «فاضل العربية» وغيرها قبل سنة ١٨٨٨م وبعدها، ولا يزال يقوم هذا القسم بخدمة العلوم العربية في مستوى البكالوريوس والماجستير والدكتوراه، وتخرّج فيه إلى الآن آلاف الطلاب من المواطنين والأجانب في مائة سنة وأكثر. ومنهم الطلبة و الطالبات من البلاد العربية والإسلامية والأجنبية المختلفة.

وكذلك توجد أقسام اللغة العربية بالجامعات الأخرى التي أُنشئت كلّها بعد تأسيس باكستان، ومنها: جامعة بيشاور وجامعة كراتشي وجامعة السند في جامشورو (حيدر آباد) والجامعة الإسلامية في بهاولبور وجامعة ملتان وجامعة جومل في ديرة إسماعيل خان و غيرها، فتدرّس فيها اللغة العربية وآدابها لنيل شهادة البكالوريوس والماجستير، وكذلك الدكتوراه في كثير منها.

ومع ذلك نجد أقسام الدراسات الإسلامية في الجامعات المذكورة وغيرها التي تقوم بتدريس العلوم الإسلامية لنيل شهادة الدكتوراه والماجستير والبكالوريوس تدرّس فيها آيات القرآن والأحاديث النبوية والعلوم العربية والإسلامية مع التراجم الأردية والإنجليزية، كما تدرّس فيها اللغة العربية كمادة إجبارية في درجة الماجستير. وكذلك نجد فيها كثيراً من الباحثين الذين يكتبون الرسائل باللغة العربية لنيل شهادتي

---

١ - راجع القرار الرئاسي الفيدرالي بجعل العربية مادة إجبارية في مدارس باكستان الثانوية، الصادر في ١٩٨٢م.

الماجستير والدكتوراه، وإن كانت الأردية والإنجليزية مستعملتين فيها كلغتي التدريس والبحث والامتحانات بالإضافة إلى اللغة العربية.

إضافة إلى ذلك، نجد الجامعات المختلفة تقوم بتدريس اللغة العربية الحديثة، وتعطي الشهادات والدبلومات للناجحين في امتحاناتها، ومنها: جامعة بنجاب بلاهور وجامعة الهندسة بلاهور وجامعة الزراعة في فيصل آباد والجامعة الإسلامية في بهاولبور، وغيرها من الجامعات والمعاهد الرسمية وغير الرسمية.

وكذلك نجد اللغة العربية مادة إجبارية في مقررات «أكاديمية الجيش الباكستاني» في كاكول بمدينة أيبت آباد، الذي يدرّب أبناء القوات المسلحة تدريباً عسكرياً.

٤. أُسّس «المعهد الوطني للغات الحديثة» بإسلام آباد في يوليو عام ١٩٧٠م [١] تحت إشراف «جامعة إسلام آباد الفيدرالية»، التي سُميت فيما بعد «جامعة القائد الأعظم»، ويوجد فيه قسم للغة العربية أيضاً يقوم بتدريس اللغة العربية الحديثة باستخدام أحدث الطرق السمعية والبصرية، وأصبح المعهد جامعة مستقلة سنة ٢٠٠٣م.

ويقدّم هذا القسم الدراسات المختلفة لنيل الشهادة الأساسية والدبلوم في العربية وفي الترجمة الفورية، وشهادة الماجستير والدكتوراه، وهو من أنجح الأقسام العربية في باكستان من حيث طرق تدريسه ومهارة طلابه في اللغة العربية نطقاً وكتابة وفهماً.

٥. أُسست «جامعة الشعب المفتوحة» في إسلام آباد سنة ١٩٧٤م، وسُميّت بـ«جامعة العلامة إقبال المفتوحة» في عام ١٩٧٧م. [٢] وتقوم بعرض البرامج المختلفة في مستوى الماجستير والبكالوريوس والدبلوم وما دون ذلك. ويعتبر نشر اللغة العربية من أهدافها الأساسية منذ يوم تأسيسها، ولذلك نجد قسم اللغة العربية من بين أقسامها الرئيسة منذ اليوم الأول.

وتشتمل مراحل التدريس في هذه الجامعة على ثلاثة أنواع:

أ. الفصول المفتوحة: عن طريق المراسلة والإذاعة والتلفاز.

ب. الفصول المنتظمة: التي نجد فيها الطلاب والأساتذة العرب والباكستانيين جنباً إلى جنب.

١- محمود محمد عبدالله، الدكتور، اللغة العربية في باكستان، وزارة التعليم الفيدرالية، إسلام آباد، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، ص: ١٢٥.

٢- محمود محمد عبدالله، الدكتور، اللغة العربية في باكستان، ص: ١٣٦.

ج. تدريب المعلمين. [1]

اتخذت «المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم» خطوات مؤثرة بدءاً من عام ١٩٧٥م للتعاون مع هذه الجامعة، وساعدتها على تربية آلاف من معلمي اللغة العربية.

ولا تزال تقوم هذه الجامعة بنشر اللغة العربية بين الشعب في جميع أنحاء البلاد عن طريق المراسلة والإذاعة والتلفاز، وكذلك لا تزال تقوم بتدريب آلاف المعلمين للغة العربية في مختلف أنحاء باكستان.

٦. أُسست «الجامعة الإسلامية العالمية» في إسلام آباد في نوفمبر عام ١٩٨٠م بمساعدة «جامعة الملك عبدالعزيز» بمكة المكرمة، وبإشراف «منظمة المؤتمر الإسلامي»، [2] وذلك للتعليم العالي في العلوم العربية والإسلامية والعامة، وجعلت اللغة العربية لغة التدريس في جميع أقسامها وكلياتها مع اللغة الإنجليزية. وإضافة إلى ذلك يوجد فيها «كلية اللغة العربية وآدابها»، إلى جانب معهد متخصص لتعليم اللغة العربية للوافدين والباكستانيين.[3] وتضم هذه الجامعة عدداً كبيراً من الطلبة الباكستانيين والوافدين من الأقطار العربية والإسلامية والأجنبية لنيل شهادة البكالوريوس والماجستير في اللغة العربية[4] والاقتصاد الإسلامي والشريعة الإسلامية والدعوة وأصول الدين وغير ذلك. كما يوجد فيها مقرّ مختص للبنات في بيئة إسلامية خالصة. وتتميز هذه الجامعة بمهارة جميع طلابها في اللغتين العربية والإنجليزية نطقاً وكتابة وفهماً. وهي تجربة رائدة في سبيل نشر اللغة العربية بين المواطنين و الأجانب الناطقين باللغات المختلفة ليست كمادة إجبارية فقط بل كلغة رائدة في سبيل نشر اللغة العربية بين المواطنين والأجانب الناطقين باللغات المختلفة، ليست كمادة إجبارية فقط، بل كلغة التدريس مع اللغة الإنجليزية في جميع أقسامها. وتلعب كلية اللغة العربية بهذه الجامعة دوراً هاماً أساسياً في تعليم اللغة العربية لطلاب جميع الكليات، إضافة إلى تقديم البرامج الدراسية الجامعية.

١- محمود محمد عبدالله، الدكتور، اللغة العربية في باكستان، ص: ١٣٦.

٢- محمود محمد عبدالله، الدكتور، اللغة العربية في باكستان، ص: ١١٣.

٣- يسمّى هذا المعهد الآن «مركز تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها». (المحرر).

٤- ويوجد الآن الدكتوراه فيها بالإضافة إلى قسم يهتم بتدريس الترجمة والترجمة الفورية بين العربية والإنجليزية والأردية. (المحرر)

٧. جُعلت اللغة العربية مادة إجبارية في المدارس الثانوية من الصف السادس إلى الصف الثاني عشر منذ عام ١٩٨٢م.

وقد أشرنا إلى أنه «صدر القرار الرئاسي القاضى بجعل اللغة العربية مادة أساسية في جميع مدارس الباكستان (الحكومية) ابتداء من الصف السادس إلى الصف الثانى عشر، وينفذ هذا القرار من أبريل عام ١٩٨٢م».(١)

وبدأ تدريس اللغة العربية كمادة إجبارية في الصفوف السادس والسابع و الثامن بعد ذلك، وانقطعت هذه السلسلة بعد الصف الثامن لأسباب لا نعرفها، فاحتج على انقطاعها أبرز العلماء في باكستان سنة ١٩٨٥م، وقدّموا مذكّرة للرئيس الباكستاني الجنرال محمد ضياء الحق بواسطة عضو المجلس الوطني السيدة نثار فاطمة الزهراء التي كانت من السيدات المسلمات البارزات، وطلبوا منه العمل بالقرار الرئاسي حرفاً حرفاً، كما طالبوه بجعل اللغة العربية مادة إجبارية في الفصول الابتدائية أيضاً، حتى تكون لغة إجبارية من الصف الأول الابتدائي إلى الصف الثاني عشر لمدة اثني عشر عاماً. وكانت النقطة الثالثة تطالب بإصدار الأوامر لتوظيف معلمي اللغة العريبة على نطاق واسع. فوافق الرئيس الباكستاني على طلبات العلماء، ولكن الظروف لم تتحسن بحيث لم تنفذ هذه الطلبات.

ومن العلماء البارزين الذين كانوا قد وقّعوا على هذه المذكرة: الشيخ عطاء الله حنيف، والشيخ عبيدالله أنور، والشيخ محمد مالك الكاندهلوي، والسيد صفدر حسين النعيمي، والسيد محمود أحمد الرضوي، والمفتي عبدالقيوم الهزاروي، والمفتي محمد حسين النعيمي، والشيخ فضل الرحيم، والدكتور محمد طاهر القادري، والدكتور إسرار أحمد، والشيخ فضل الحق ميان، والشيخ صلاح الدين يوسف، وغيرهم.(٢)

وعلى كل حال، نجد أن اللغة العربية الآن مادة إجبارية في الصفوف المتوسطة منذ عام ١٩٨٢م،(٣) ونجد نفس الاهتمام بالعربية في ولاية جمون وكشمير الحرّة، حيث نجد فيها اللغة العريبة مادة إجبارية في درجة البكالوريوس أيضاً. وذلك بإشراف جامعة

١- محمود محمد عبدالله، الدكتور، اللغة العربية في باكستان، ص: ١٤٦.

٢- راجع مذكرة العلماء والشيوخ إلى الرئيس الباكستاني عام ١٩٨٥م.

٣- قد تغير الوضع الآن حيث لم تعد مادة اللغة العربية في الصفوف الوسطى إجبارية منذ سنوات، إذ يختار الطالب بين العربية والمواد الأخرى مثل علم الحاسوب في النظام التعليمي الراهن. (المحرر)

جمون وكشمير الحرة في مظفر آباد، التي تنتسب إليها جميع الكليات في هذه الولاية.

٨. توجد آلاف المدارس العربية الإسلامية في مختلف أنحاء باكستان، وكانت شهاداتها المختلفة غير معترف بها على المستوى الرسمي، حتى اعترفت بها وزارة التعليم الفيدرالي في باكستان بعد توحيدها تحت اسم «شهادة العالمية في العلوم العربية و الإسلامية» في عام ١٩٨٤م، فصارت هذه الشهادة تعادل شهادة الماجستير في العربية والدراسات الإسلامية التي تعطيها الجامعات الباكستانية، وذلك لتوظيف الخريجين في مجالي التدريس للغة العربية والبحوث الإسلامية فقط. وإذا أراد حامل هذه الشهادة أن يأخذ شهادةجامعية، فعليه أن يتقدم لامتحان البكالوريوس في مادتين اختيارتين غير العربية، إضافة إلى مادتي الدراسات الإسلامية والباكستانية الإجباريتين. وإذا نجح المرشح في امتحان البكالوريوس فله الحق أن يجلس في امتحان الماجستير لأية جامعة كطالب منتسب لنيل شهادة الماجستير الجامعية.

وعلى كل حال، فقد صارت المجالس والوفاقات الوطنية للمدارس العربية الإسلامية التي تصدر هذه الشهادات معتبرة رسمياً منذ عام ١٩٨٤م، ولا يزال عدد خرّيجيها الذين يحملون «شهادة العالمية في العلوم العربية والإسلامية» يزداد كل عام، ونجد الآلاف منهم ينالون هذه الشهادة المعادلة لشهادة الماجستير كلّ عام، ويتمكنون من المناصب الرسمية في المعاهد التعليمية كمعلّمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وكان نصيبهم في مثل هذه المناصب ممنوعاً قبل الاعتراف بهذه الشهادة رسمياً، فازدادت بعد ذلك أهمية اللغة العربية وشهادات المدارس العربية الإسلامية في دوائر التعليم الرسمية والعامة.

ولايقلّ عدد المدارس الملتحقة بالمجالس والوفاقات الوطنية لنيل هذه الشهادة عن ألفي مدرسة، و كان عددها في أوائل الثمانينات يجاوز ألفاً وخمسمائة مدرسة.

---

١ – محمود محمد عبدالله، الدكتور، اللغة العربية في باكستان، ص: ١٧٨. و قد تغيرت هذه الإحصائيات، فهي كما يلي(في ٢٠١٧م):

وفاق المدارس العربية للأحناف الديوبنديين– ١٧٩٥٢

تنظيم المدارس للأحناف البريلويين– ٨٩٥٠

وفاق المدارس السلفية – ١٤٠٠

وفاق المدارس الشيعة – ٤٦٠

مجموع المدارس –٢٨٧٦٢ (المحرر)

عدد المجالس و الوفاقات للمدارس العربية الإسلامية بباكستان

الاسم	عدد المدارس
١. وفاق المدارس العربية: لأهل السنة والجماعة من الأحناف الديوبنديين.	٩٧٠
٢. تنظيم المدارس العربية: لأهل السنة والجماعة من الأحناف البريلويين.	٤٠٠
٣. وفاق المدارس السلفية: لأهل السنة والجماعة من السلفيين أو أهل الحديث.	١٠٠
٤. وفاق المدارس الشيعة: للشيعة الإثني عشر.	٤٠
مجموع المدارس	١٥١٠ [١]

وأضف إلى ذلك الهيئات الأخرى للمدارس العربية الإسلامية التي يُعترف بشهاداتها رسمياً بمرور الزمن من قبل وزارة التعليم المركزية ومؤسسة المنح الجامعية (U.G.C). [١] فلكل منها حق إعطاء شهادة العالمية للناجحين في امتحاناتها مثل أخواتها المذكورات آنفاً، وهي:

٥. رابطة المدارس الإسلامية لأهل السنة والجماعة من الأحناف وأهل الحديث المنتمين إلى الجماعة الإسلامية.

٦. الجامعة الأشرفية بلاهور لأهل السنة والجماعة من الأحناف الديوبنديين.

٧. دار العلوم محمدية غوثية في بهيرة. لأهل السنة والجماعة من الأحناف البريلويين.

٨. جامعة منهاج القرآن لأهل السنة والجماعة من الأحناف البريلويين

٩. الجامعة الأشرفية بلاهور لأهل السنة والجماعة من الأحناف الديوبنديين.

١٠. دار العلوم كراتشي لأهل السنة والجماعة من الأحناف الديوبنديين.

وإذا نظرنا إلى هذه التفاصيل أيقنَّا بأن مجموع المدارس الملحقة بهذه المجالس والهيئات لايقل عن ألفي مدرسة وجامعة كبيرة بعد عام ١٩٨٤م. ويتزايد هذا العدد يوماً فيوماً. وقس على ذلك عدد الجالسين في امتحاناتها والحاصلين على شهادة العالمية لها كل عام. وتلتحق هذه المدارس بالجوامع والمساجد الأخرى التي يصل عددها إلى مئات الآلاف

١- وتسمّى الآن هيئة التعليم العالي. (المحرر)

في جميع أنحاء البلاد، وهي كتاتيب لتعليم ملايين الشعب قراءة القرآن.

ويرى مراد الطيب، الباحث التونسي، أن باكستان تعتبر من البلاد الآسيوية التي تحظى فيها اللغة العربية بانتشار واسع، حيث يوجد بها ما لا يقل عن خمسين ألف مدرسة دينية، يتم تدريس اللغة العربية فيها أساساً، وهي تخرّج عشرات الملايين من الطلاب.[١]

ويرى القاري محمد حنيف الجالندهري الناظم الأعلى لوفاق المدارس العربية أن عدد المدارس الدينية في باكستان يقارب الآن سبعين ألف مدرسة تحت إشراف هيئات المدارس الدينية الخمس، أكبرها «وفاق المدارس العربية» التي يشارك في امتحاناتها هذا العام (٢٠٠٢م) ٩٨ ألف طالب.[٢]

٩. وإضافة إلى ذلك كله، اعترفت الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد وبعض المعاهد والمؤسسات الأخرى بشهادة أخرى تعطيها المدارس العربية الإسلامية المختلفة في باكستان والهند منذ زمان باسم شهادة «الدرس النظامي»، وجعلتها معادلة بشهادة الثانوية العامة للمدارس الرسمية.[٣]

١٠. وكانت الدراسات الإسلامية مادة إجبارية في الصفوف الابتدائية والمتوسطة قبل انفصال باكستان الشرقية عن باقي البلاد في ديسمبر عام ١٩٧١م. وكانت جُعلت إجبارية إلى الصف العاشر في السبعينات، ثم أصبحت إجبارية إلى درجة البكالوريوس في الثمانينات، وتضم هذه المادة الإجبارية الآن كثيراً من سور القرآن والأحاديث النبوية. وإضافة إلى ذلك نجد أن اللغة العربية مادة إجبارية بالجامعات الباكستانية ضمن المواد الدراسية للماجستير في الدراسات الإسلامية. وقرّرت أخيراً «مؤسسة المنح الجامعية» (U.G.C) في بداية التسعينات وجوب تدريس مادة اللغة العربية في السنتين الدراسيتين ضمن مواد الماجستير في الدراسات الإسلامية بالجامعات الباكستانية، ومن المتوقع أن يرتفع مستوى التعليم العربي الإسلامي بأقسام الدراسات الإسلامية الجامعية بعد هذا القرار الهام، وذلك بسبب إجادة اللغة العربية لدى طلابها وخريجيها.

١- مراد الطيب، اللغة العربية في عالم متغير، مجلة الفاروق، الجامعة الفاروقية، كراتشي، السنة ١٨، العدد٧٢، ربيع الثاني وجمادى الأولى والثانية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص: ٤٠ نقلاً عن الإنترنت.

٢- السيد زاهد الراشدي، عواقب قانون المدارس (مدرسه آرڈيننس کے مضمرات) طبع في مجلة «نقيب ختم نبوت» الشهرية، ملتان، أغسطس ٢٠٠٢م، ص: ٨.

٣- لم تعد الجامعة الإسلامية تعترف بهذه الشهادة كما هي بل تضع الشروط الأخرى عليها. (المحرر)

١١. وأُنشئت ثلاثة مراكز إسلامية في كل من جامعة بنجاب لاهور وجامعة كراتشي وجامعة بيشاور؛ من أجل التعليم والبحث في مجالي اللغة العربية والعلوم القرآنية. وقد أنشأها وزوّدها بالموارد المالية والأدوات اللازمة صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة وحاكم أبوظبي؛ تنفيذاً لاتفاقية بين سموه ورئيس الوزراء الباكستاني السيد ذو الفقار علي بوتو في السبعينات، وقد تم تسليم هذه المراكز الثلاثة إلى حكومة باكستان رسمياً في عام ١٩٨٥م لكي تقوم بدورها النافع في مجالي التربية والتعليم تحت إشراف كل من جامعات كراتشي وبنجاب وبيشاور. واعترافاً بما قدّمه سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان من معونة مالية سخية لهذه المراكز الثلاثة، فقد قررت الحكومة الباكستانية تسميتها بمراكز الشيخ زايد الإسلامية. وبدأت هذه المراكز تؤدي دوراً هاماً في نشر اللغة العربية والعلوم الإسلامية بين الشعب الباكستاني ببرامجها المختلفة المتنوعة، وعلى رأسها برامجها التعليمية لنيل شهادة البكالوريوس والماجستير في اللغة العربية والعلوم الإسلامية. وتُعتبر اللغة العربية لغة التدريس الأساسية في جميع مراحلها التعليمية.

١٢. أ. وهناك مؤسسات وجمعيات كثيرة تقوم بنشر اللغة العربية في باكستان لا يمكن ذكر جميعها مفصلاً. فنذكر على سبيل المثال جمعية نشر اللغة العربية في كراتشي التي أُسست في عام ١٩٧٣م، ولا تزال تقوم بنشر اللغة العربية بين المثقفين والمواطنين الآخرين على نطاق واسع.[١]

ب. ونجد المراكز الوطنية، التي سُميت بالمراكز الباكستانية فيما بعد، في جميع المدن الباكستانية الهامة. وقد قامت هذه المراكز بتدريس اللغة العربية منذ أوائل السبعينات ولا تزال تُعتبر خدماتها عظيمة وواسعة لنشر اللغة العربية بين الشعب الباكستاني.

ج. ويوجد الاهتمام باللغة العربية في أجهزة الإعلام منذ سنين. فتقدم الإذاعة من محطتها في إسلام آباد نشرة الأنباء العربية يومياً لبضع دقائق. كما يقدم التلفاز نشرة إخبارية يومياً لبضع دقائق. ثم يقدّم التلفزيون الباكستاني برنامجاً خاصاً لتعليم اللغة العربية من بعض قنواتها يومياً لنصف الساعة؛ بالتعاون مع جامعة العلامة إقبال المفتوحة في إسلام آباد، كما أنه يقدم برنامجاً خاصاً لتعليم قراءة القرآن يومياً باسم «اقرأ» لبضع دقائق.

١- تضاءلت الجهود لهذه الجمعيات بمضي الوقت إلى أن أُسست رابطة أساتذة اللغة العربية بباكستان في يناير ٢٠١٢م، وقد شارك في تأسيسه ممثلو جميع الجهات المعنية باللغة العربية في باكستان. (المحرر)

ويقدّم التلفزيون الباكستاني صباح الخميس والجمعة برنامجاً لتعليم اللغة العربية بالنسبة إلى القرآن الكريم، ويقدمه الدكتور شير محمد زمان.[١]

١٣. ورأينا في السبعينات وما بعدها مئات الآلاف من المواطنين يسافرون إلى الدول العربية للعمل والتكسب، فازدادت معرفتهم باللغة العربية، كما احتاجوا إلى الترجمات العربية لوثائقهم وشهاداتهم، حتى قررت الحكومة الباكستانية إضافة العبارات العربية إلى الجوازات الباكستانية، وكذلك اهتمت المؤسسات التجارية وغيرها باللغة العربية فأثبتت العبارات العربية في أوراق منتجاتها عامة. وساعد ذلك كله على انتشار اللغة العربية بين الشعب الباكستاني على نطاق واسع.[٢]

١٤. والجدير بالذكر مع ذلك أن أغلبية الشعب الباكستاني يعرف قراءة القرآن الكريم، في حين أن عدداً كبيراً منهم لا يستطيعون قراءة النصوص بالعربية، وإن كان الأمر سهلاً لهم لكون اللغة الأردية واللغات المحلية مكتوبة بالحروف العربية. ويحاول كثير من الشعب القراءة والكتابة باللغة الأردية اتكالاً على معرفتهم بالحروف القرآنية وينجحون في ذلك، فهكذا تؤدي الحروف القرآنية دورها في نشر العربية ومحو الأمية على أوسع نطاق.

١٥. عقدت جمعية نشر اللغة العربية في كراتشي مؤتمر اللغة العربية العالمي من ١٧ إلى ١٩ مارس عام ١٩٨٨م، وكان المشتركون فيه يمثّلون كثيراً من الحكومات والدول الإسلامية، ومنها إندونيسيا وماليزيا وبرونائي دار السلام ومالديف وبنغلاديش وباكستان وإيران والمملكة العربية السعودية والكويت والإمارات العربية وقطر والعراق والأردن وسوريا والسودان والجزائر والمغرب والصومال. واتفق المشاركون فيه على توصيات وقرارات عديدة لنشر اللغة العربية، وكان منها:

«ينبغي لكل دولة مسلمة أن تدخل اللغة العربية في نطاقها التعليمي كمادة إجبارية إلى نهاية التعليم الثانوي على الأقل، كما أوصى المؤتمر بنشر اللغة العربية عن طريق أجهزة الإعلام والصحف والمجلات، مع إحياء الأبجدية العربية كأبجدية مشتركة لكتابة جميع اللغات في العالم الإسلامي كله».[٣]

١- وقد توقفت هذه البرامج الآن. (المحرر)

٢- وقد توسّع استخدام العربية لأغراض تجارية حالياً؛ فالشركات الوطنية والدولية في باكستان في تنافس مستمر بهذا الصدد، أي في توفير المواصفات بالعربية لجميع منتجاتها. (المحرر)

٣- راجع مجلة «تكبير» الأسبوعية، كراتشي (باللغة الأردية)، مجلد ١٠، العدد ٢٢ (٢ يونيو ١٩٨٨م)، ص: ٥٠.

١٦. وعقدت جامعة العلامة إقبال المفتوحة في إسلام آباد «المؤتمر الدولي لتطوير تعليم اللغة العربية» من ٢٧ إلى ٢٩ مارس عام ١٩٨٨م، وشارك فيه عدد كبير من ممثلي البلدان العربية والإسلامية. كما لعبت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دوراً هاماً في عقد المؤتمر والإشراف عليه. وقدمت البحوث والمقالات حول تحسين الأوضاع واستخدام أحدث الطرق لنشر تعليم اللغة العربية في باكستان على نطاق واسع. وأجمع المشتركون في المؤتمر على توصيات وقرارات هامة كثيرة تتصل بهذا الموضوع.

١٧. وانعقدت ندوة اللغة العربية القومية بلاهور في ٣١ مارس عام ١٩٨٨م؛ تحت إشراف القسم العربي بالكلية الشرقية بجامعة بنجاب - لاهور، احتفالاً بعيده المئوي، وشارك فيها سعادة السفير الكويتي السيد عمر ياقوت كضيف الشرف مع زوجته الفاضلة، كما اشترك فيها عدد كبير من رؤساء الجامعات والكليات والأقسام العربية وأساتذة وطلبة اللغة العربية بها، وأُلقيت الكلمات والمحاضرات القيّمة فيها حول تعليم اللغة العربية بالجامعات الباكستانية، كما أجمع المشاركون على توصيات وقرارات عديدة، منها:

القرار الأول

ترحب ندوة اللغة العربية القومية بجامعة بنجاب لاهور - باكستان بالإجراءات العديدة التي لاتزال تتخذها أغلبية الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي لجعل اللغة العربية لغتها الرسمية والقومية أو مادة إجبارية في نظامها التعليمي.

ونظراً إلى أهمية الإجراءات المتساوية في جميع الدول الإسلامية؛ توصي الندوة بأن تُضم اللغة العربية إلى اللغات الرسمية والقومية في كل دولة إسلامية، وأن تُدرس كمادة إجبارية في التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي معاً، لكونها لغة القرآن والحديث ولغة العلوم والأمة الإسلامية في كل زمان ومكان. كما توصي الندوة بأن تقنع المنظمة دول الأقليات المسلمة بتدريس اللغة العربية كمادة إجبارية للطلبة المسلمين في التعليم الابتدائي والثانوي على الأقل. وتوصي الندوة بأن يتخذ مؤتمر القمة الإسلامي قراراً حاسماً محيطاً بهذه الأمور في اجتماعه القادم.[1]

١- راجع التوصيات والقرارات لندوة اللغة العربية الوطنية التي انعقدت بالكلية الشرقية بجامعة بنجاب لاهور في ٣١ مارس ١٩٨٨م احتفالاً بالعيد المئوي للقسم العربي بالجامعة.

القرار الثاني

بما أن لغة القرآن والحديث ولغة العلوم والأمة الإسلامية في كل زمان ومكان هي اللغة العربية، وبما أن جميع اللغات واللهجات الباكستانية تُكتب بالحروف العربية، ثم عدد كبير من ألفاظها ومصطلحاتها مأخوذ من اللغة العربية، فيجب على دولة باكستان أن تجعل اللغة العربية لغة رسمية وقومية للبلاد؛ جنباً إلى جنب مع اللغة الأردية، وأن تجعلها مادة إجبارية من الصف الأول إلى درجة البكالوريوس.[١]

وانعقدت في ٢٨ مارس ١٩٨٨م ندوة وطنية باسم «اللغة العربية كلغة وطنية»، ضمن «محاضرات القرآن السنوية» بلاهور تحت إشراف «التنظيم الإسلامي» للدكتور إسرار أحمد، اتفق الحاضرون والمشاركون فيها من جميع أنحاء البلاد على اختيار اللغة العربية كلغة باكستان الوطنية.[٢]

١٨. ولا يزال يوصي مجلس الفكر الإسلامي الباكستاني؛ الذي يتحمل رسمياً مسئولية إرشاد الحكومة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، بإعطاء اللغة العربية مكانة خاصة في باكستان مع اللغة الأردية على المستوى الرسمي والوطني، والشعبي والتعليمي. ونظراً إلى توصيات المجلس وتقاريره؛ وافق أعضاء اللجنة الخاصة لمجلس الشيوخ الباكستاني على اقتراحات كثيرة بالنسبة للنظام التعليمي في اجتماعها المنعقد في ٢٢ نوفمبر ١٩٩٠م، منها:

٩. التعليم الابتدائي:

مادة هـ. يجب تدريس اللغة العربية مع اللغة الأردية بدءاً من الصف الأول الابتدائي، مع اتخاذ الإجراءات اللازمة والمؤثرة لتدريسها في مراحل التعليم الأخرى بعد المرحلة الابتدائية.

١١. اللغة العربية والدراسات الإسلامية:

يجب الاهتمام الخاص بالإتقان في المحادثة العربية، والاستفادة من المسلمين العرب بمساعدة الدول العربية بهذا الصدد. كما يجب استخدام الأدوات السمعية والبصرية لتعليم العربية وتزويد المدارس والكليات بها.

١- نفس المرجع.

٢- راجع برنامج «محاضرات القرآن السنوية» للتنظيم الإسلامي برئاسة الدكتور إسرار أحمد المنعقد بلاهور، في مارس ١٩٨٨م.

٣.أ. يجب أن تُعتبر اللغة العربية جزءاً أساسياً دائماً من مادة الدراسات الإسلامية.[١]

١٩. وأُضيف «قانون تطبيق الشريعة ١٩٩١م» إلى الدستور الباكستاني سنة ١٩٩١م، بعد الموافقة عليه من قبل أغلبية أعضاء مجلس الشورى والبرلمان الباكستاني المكوّن من المجلس الوطني ومجلس الشيوخ الباكستاني. وجعل هذا القانون مسئولية تعليم اللغة العربية على عاتق الحكومة الباكستانية، في مادته السادسة تحت العنوان التالي:

٦. تعليم الشريعة والتربية الشرعية:

يجب على الدولة اتخاذ الإجراءات اللازمة المؤثرة لنيل الأهداف الآتية:

ج. تعليم اللغة العربية.[٢]

وهذه نقطة دستورية هامة لنشر اللغة العربية في باكستان. ولا تزال تحاول الدولة بعدها جعل العربية مادة إجبارية في جميع مراحل التعليم الابتدائي والثانوي على الأقل.

٢٠. وعقدت بعد ذلك «اللجنة التعليمية الدائمة لمجلس الشيوخ الباكستاني» اجتماعها في ١٧ أكتوبر ١٩٩٢م برئاسة السيد عبدالله شاه، و أكدت فيه بإجماع أعضائها أنه يجب أن تُجعل اللغة العربية مادة إجبارية في جميع مراحل التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي. و ذلك مع تعليم قراءة القرآن وفهم مبادئ الإسلام؛ لتربية الأجيال الناشئة تربية حسنة من الناحيتين الإسلامية والوطنية.[٣]

والجدير بالذكر أن كثيراً من العلماء المنتمين إلى الأحزاب الدينية والسياسية المختلفة قدموا مذكرة إلى «لجنة قانون الشريعة الفيدرالية» في ديسمبر ١٩٩٠م، التي قامت بمراجعة الاقتراحات بالنسبة لقانون الشريعة قبل تقديمه إلى البرلمان في شكل نهائي. ووقّع على هذه المذكرة كثير من أساتذة الجامعات والباحثين الموظفين في المؤسسات الإسلامية الرسمية المختلفة. وتجاوز عدد الموقّعين عليها مائتي عالم وأستاذ وباحث بارز. طلب الموقّعون على المذكرة المذكورة من الحكومة الباكستانية إضافة مادة جديدة إلى

١- راجع توصيات اللجنة الخاصة لمجلس الشيوخ الباكستاني التي وافقت عليها في ٢٢ نوفمبر ١٩٩٠م بناء على اقتراحات لجنتها التعليمية التي أسست في أبريل ١٩٩٠م برئاسة البروفيسور خورشيد أحمد وبعضوية كل من: نوابزاده جهان كير شاه جوكيزئي والقاضي عبداللطيف والسيد محمود أحمد منتو والسيد محمد على خان وأخوند زاده بهره ورسعيد والسيد شاهد إقبال أمينا للجنة.

٢- راجع الدستور لجمهورية باكستان الإسلامية (١٩٧٣م) قانون تطبيق الشريعة (١٩٩١م) المادة السادسة.

٣- راجع جريدة «باكستان» اليومية، لاهور بتاريخ ١٨ أكتوبر ١٩٩٢م. ص:٧ (توصيات اللجنة التعليمية الدائمة لمجلس الشيوخ الباكستاني)

«قانون تطبيق الشريعة» المقترح قبل تقديمه إلى البرلمان تتعلق بمكانة اللغة العربية في الدستور. وننقل هنا نص هذه المذكرة.

قانون الشريعة

(المادة) مكانة لغة الشريعة وتدريسها:

بما أن اللغة العربية هي لغة القرآن والحديث والفقه؛ مع كونها لغة جميع العلوم والمصادر الشرعية التي لا بد من معرفتها للاستفادة من العلوم الشرعية مباشرة، ولتطبيق الشريعة أيضاً. فلذلك يجب أن تُدرس العربية كلغة إجبارية من الصف الأول الابتدائي إلى درجة البكالوريوس في جميع مراحل التعليم، ثم يجب أن تبقى اللغة العربية مفضّلة على جميع اللغات الأخرى لكونها لغة الدين والشريعة، إذا كانت هناك أية منافسة بين اللغات الباكستانية في أي وقت من الأوقات. وكذلك ستتمتع بجميع الحقوق المختصة بأية لغة أخرى على المستويات الرسمية والوطنية والإقليمية وغيرها، وذلك لنيل الأهداف الآتية:

أ. تقوية الأسس العلمية والفكرية لبناء جميع مجالات الحياة على أساس القرآن والسنة من جديد.

ب. تربية الملايين من الشعب الباكستاني للاستفادة المباشرة من القرآن والحديث والفقة والعلوم العربية والإسلامية الأخرى.

ج. تقوية اللغة الأردية وجميع اللغات المحلية علمياً ولغوياً ودينياً على أساس لغة الشريعة، لأنها جميعها تكتب بالأبجدية العربية، وأكثر الألفاظ والمصطلحات فيها مأخوذة من اللغة العربية.

د. تقوية الروابط اللغوية والشرعية مع الدول العربية والإسلامية.[1]

وطلب الموقّعون على المذكرة أيضاً أن تُقدّم إلى البرلمان الباكستاني مسودة قانون آخر بعد اختيار هذا القانون الشرعي. وذلك لجعل اللغة العربية لغة البلاد الرسمية والوطنية مع اللغة الأردية.

١- راجع مذكرة العلماء والباحثين وأساتذة الجامعات المقدمة إلى «لجنة قانون الشريعة الفيدرالية» في ديسمبر ١٩٩٠م بالنسبة لمكانة لغة الشريعة في قانون الشريعة.

«قانون اللغة العربية»

«بما أن اللغة العربية هي لغة القرآن والحديث ولغة العلوم والأمة الإسلامية المشتركة الدائمة، وبما أن جميع اللغات الباكستانية تُكتب بالأبجدية العربية، وأكثر الكلمات والمصطلحات فيها مأخوذة من اللغة العربية؛ فلذلك تُجعل اللغة العربية لغة باكستان الرسمية والوطنية مع اللغة الأردية مثل أغلبية البلدان الإسلامية، كما أنها تُجعل مادة إجبارية من الصف الأول الابتدائي إلى درجة البكالوريوس».[1]

وكانت اللجنة المذكورة مشتملة على أعضاء البرلمان المكون من مجلس الشيوخ والمجلس الوطني الباكستاني. وكان رئيسها وزير الشئون الدينية فضيلة الشيخ عبدالستار خان نيازي؛ الذي اعتنى مع الأعضاء الآخرين بالمذكرة وأمكن لهم أن يضيفوا إلى مسودة «قانون الشريعة» مادة «تعليم اللغة العربية» على الأقل في ذلك الوقت المتأخر.

وكان من أعضاء هذه اللجنة كل من: السناتور محمد علي خان والدكتور نور جهان بانيزئي والشيخ سميع الحق والقاضي عبداللطيف والبروفيسور خورشيد أحمد من أعضاء مجلس الشيوخ الباكستاني.

وكان معهم في اللجنة من أعضاء المجلس الوطني كل من: الشيخ محمد خان شيراني والشيخ معين الدين لكهوي والشيخ حامد سعيد كاظمي والسيد لياقت بلوش ومير بلخ شير المزاري ومير هزار خان بجاراني والسيد الله يار ملك والسيد محمود أحمد خان والسيد أحمد ميان سومرو والسيد غلام أحمد بلور والسيد محمد أسلم والسيد طارق سي قيصر.

ونجد من الموقّعين على هذه المذكرة التاريخية أبرز العلماء والمعلمين كماً وكيفاً. ولابد من تقييد أسمائهم هنا حتى تتضح أهمية هذه المذكرة الفريدة التي هي وثيقة تاريخية ممتازة لا مثيل لها في التاريخ الباكستاني من نواحٍ كثيرة. وهيأت هذه المذكرة أساساً محكماً لجعل اللغة العربية لغة البلاد الرسمية والوطنية والتعليمية؛ لأنها تضمنت محتويات جميع القرارات والتوصيات والندوات والمؤتمرات الماضية بالنسبة لنشر العربية في باكستان وإعطائها مكانة خاصة فيها. وسوف تلعب دوراً هاماً كوثيقة أساسية لحركة تعريب البلاد بتأييد من العلماء والمثقفين الموقّعين على هذه المذكرة والملايين من المؤيدين لهم، وأسماؤهم كما يلي:

١- نفس المرجع.

١ . قادة أهل السنة والجماعة:

(من الأحناف الديوبنديين)

الشيخ محمد أجمل خان والشيخ محمد عبدالقادر آزاد والشيخ محمد عبيدالله والشيخ عبدالرحمن والشيخ أمير حسين جيلاني والشيخ رشيد أحمد لدهيانوي والشيخ محمد أمجد والشيخ سيف الدين سيف والشيخ سعيد الرحمن علوي والشيخ أرشد حسن ثاقب والحافظ محمد أطهر عزيز.

٢ . قادة أهل السنة والجماعة:

(من الأحناف البريلويين)

المفتي محمد حسين نعيمي والمفتي عبدالقيوم هزاروي والعلامة محمود أحمد رضوي والمفتي خان محمد قادري والدكتور بشير أحمد صديقي والشيخ محمد أنور قرشي والشيخ خليل الرحمن قادري والشيخ محمد عتيق الرحمن مجددي والشيخ جاويد رانا قادري والشيخ محمد معراج الإسلام والشيخ أشرف جلالي والشيخ محمد نواز ظفر والشيخ ظهور إلهي والبروفيسور عبدالغفور أحمد والمفتي محمد عبدالقيوم والشيخ محمد رمضان قادري والشيخ على أكبر قادري والشيخ إشفاق حسين همداني والشيخ هدايت رسول قادري.

٣.قادة أهل السنة و الجماعة:

(من السلفيين وأهل الحديث)

الشيخ الحافظ عبدالقادر روبري والشيخ فضل حق مياں والبروفيسور ساجد مير والشيخ محمد يونس الأثري والشيخ محمد جميل مياں والشيخ فضل الرحمن والشيخ عبدالوهاب محمد جان والبروفيسور عبدالرحمن لدهيانوي والشيخ عبدالرحمن خليق والشيخ محمد شفيق خان رانا بسروري والشيخ أحمد شاكر والشيخ عبدالمجيد ميرزا والشيخ بشير أنصاري والشيخ شمس الحق راغب والشيخ محمد زكريا ظفر والشيخ مشتاق أحمد.

٤ . قادة الجماعة الإسلامية، باكستان:

الشيخ طفيل محمد مياں والشيخ رحمت إلهي شودري والشيخ محمد أسلم سليمي

والشيخ فتح محمد والسيد مقصود أحمد میاں والشيخ نعيم صديقي والأستاذ خليل أحمد حامدي والشيخ فيض الرحمن همداني والشيخ شبير أحمد.

٥. العلماء والباحثون في مجلس الفكر الإسلامي ومجمع البحوث الإسلامية والجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد:

الدكتور محمود أحمد غازي والدكتور محمد الغزالي والدكتور ساجد الرحمن صاحبزاده والشيخ محمد میاں صديقي والدكتور خورشيد الحسن رضوى والدكتور علي رضا نقوى والدكتور شريف أحمد والدكتور خليل الرحمن والدكتور خالد محمود والشيخ فضل ربي والسيد علي أصغر جشتي والسيد أمير الدين والسيد مختار أحمد ميرزا والسيد محمد عبدالجبار والسيد حبيب الرحمن عاصم والسيد إمتياز ظفر و السيد زبير طارق.

٦. الأساتذة والباحثون بجامعة بنجاب لاهور، كلية الآداب الإسلامية والشرقية

- **قسم اللغة العربية وآدابها:**

الدكتور ذو الفقار علي ملك والدكتور ظهور أحمد أظهر والدكتور مظهر معين والدكتور محمد مبارز ملك والدكتور خالق داد ملك والدكتورة شاهدة حبيب والسيد محمد قمر علي والدكتور ذو الفقار علي رانا.

- **قسم الدراسات الإسلامية ومركز الشيخ زايد الإسلامي:**

الدكتور خالد علوي والدكتورة جميلة شوكت والسيد شبير أحمد منصوري والدكتور الحافظ محمود أختر والسيد ممتاز أحمد سالك والدكتورة طاهرة بشارة والسيد أبو الوفاء محمود.

- **قسم دائرة المعارف الإسلامية باللغة الأردية:**

الدكتور محمود الحسن عارف.

- **قسم المساجد:**

الشيخ الدكتور محمد أسلم صديقي والسيد محمد إحسان حقي.

- **قسم اللغة الفارسية وآدابها:**

الدكتور سيد محمد أكرم شاه والدكتور آفتاب أصغر والدكتورة نسرين أختر والسيد نوازش علي شيخ والسيد محمد سليم مظهر.

- **قسم اللغة الأردية وآدابها:**

الدكتور محمد زكريا خواجه والدكتور سهيل أحمد خان والدكتور عبيدالله خان والدكتور رفيع الدين هاشمي والدكتور تحسين فراقي والسيد محمد فخر الحق نوري والسيد مرغوب حسين طاهر.

- **قسم اللغة البنجابية وآدابها:**

الدكتور محمد شهباز ملك والدكتور محمد أسلم رانا والسيد عبدالحفيظ تائب رانا والدكتور عصمت الله زاهد والسيد خالد همايون.

- **قسم دراسات كشمير ودراسات إقبال وإدارة التأليف والترجمة:**

الدكتور محمد يوسف بخاري والسيد محمد أشرف قرشي والسيدة نادرة الزيدية والسيد عبدالرحمن ملك والسيد ضياء أحمد رضوي.

- **قسم اللغة الفرنسية وآدابها بكلية الآداب:**

الدكتور حسام عبدالرسول والسيدة ناهيد رسول والسيدة رعنا خان والسيدة موسان.

ب- كلية الآداب:

الدكتور عبدالخالق والدكتور أبصار أحمد والدكتور نعيم أحمد والدكتور ساجد علي والسيد أنوار الحق والدكتور ساجد الرحمن والسيد أفضل حق قرشي والسيدة تنوير جهان خان والآنسة عميرة شاه والسيد محمد سلطان عالم عثماني والسيد محمد أجمل والسيد محمد قمر عباس والسيد محمد جهانغير تميمي والسيد مجاهد منصوري.

ج- كلية البحث والتعليم:

الدكتور إحسان الله خان والسيد عبدالعزيز ميان والدكتور محمد شفيع ميرزا والدكتور نير رضا زيدي والدكتور عبدالحميد والسيد منور بن صادق والسيدة فوزية ناهيد خواجه والسيد محمود أنور حسين والسيد نديم أحمد بهتي والسيد محفوظ أحمد كمبوه والحافظ محمد إقبال والدكتور أكبر علي والسيد عبدالغفور شودري والشيخ عبيدالرحمن مدني والسيد محمد حميد نواز والسيد محمد رياض والآنسة تحسين محمود.

د- كلية التجارة:

السيد عبدالغني والسيد عبدالرحيم والسيد محمد نعيم والسيد محمد إحسان ملك والسيد عبدالرؤوف والسيد نذير أحمد والسيد محمد طيب غلزار والسيد عبدالجبار

والسيد محمد معظم مغل والسيد خالد محمود والسيد حسن مبين عالم والسيد مشتاق أحمد كهوكهر.

هـ- كلية القانون:

الدكتور دل محمد ملك والسيد سميع الله ظفر.

و- كلية الصيدلة:

الدكتور محمد أشرف والدكتور محبوب عالم والدكتور محمد رياض والدكتور فرخ ضياء خان والسيد سعيد الحسن والسيد محمد يوسف غنائي والسيد محمد طاهر جاويد خان والسيد مبشر أحمد.

ز- كلية العلوم:

الدكتور محمد سليم والدكتور مجاهد كامران والدكتور فضل عليم والدكتور محمد علي والدكتور حارث رشيد خواجه والدكتور حسن أمير شاه والدكتور محمد عمر والدكتور عبدالرشيد كوثر والدكتور محمود إقبال فاروقي والدكتور عبدالمجيد والدكتور خالد لطيف مير والدكتور محمد إقبال والسيد افتخار أحمد والسيد شاهد سعيد صديقي والسيد عبدالصمد هرائي والدكتور أخلاق أحمد بهته والسيد فياض أحمد الصديقي والدكتور مسعود أسلم ميان والسيد عبدالغفار والدكتور محمد سرور والسيد افتخار حسين بلوش والسيد محمد فاروق والسيد محمد عمر فاروق والسيد نذير أحمد والسيد نصير أحمد والسيد محمد حفيظ والسيدة رضية محمود والسيد محسن جميل بت والسيد جاويد سميع والسيد محمد أختر والسيد شوكت علي والسيد عامر شفيق.

ح- كلية الهندسة الكيمائية:

الدكتور ظفر الله شيخ والدكتور محمد خالد نوشاهي والدكتور مظهر مقصود قرشي والدكتور ظفر رشيد والدكتور محمد أصغر علي بت والدكتور محمد عارف بت والدكتور عارف جميل والدكتور محمد علي.

ط- قسم الامتحانات بجامعة بنجاب:

السيد محمد يعقوب شودري.

٧. جامعة بهاء الدين زكريا، ملتان:

السيد محمد آصف ملك.[١]

وتدل هذه التفاصيل كلها على مكانة اللغة العربية في باكستان، ولاسيما بعد انفصال جزئها الشرقي عنها. وهناك كل الإمكانيات أن تصير اللغة العربية لغة باكستان الرسمية والوطنية مع اللغة الأردية في المستقبل بإذن الله تعالى وعونه، لأن مسلمي باكستان – حكومة وشعباً – يحبون لغة القرآن والرسول عليه الصلاة والسلام ويفضلونها على جميع اللغات الأخرى؛ كلغتهم الدينية والثقافية، وبالله التوفيق وهو المستعان؛ إنه على كل شيء قدير.

١- راجع لجميع الأسماء المذكورة نفس المذكرة.

جوانب مهمة من الصلات اللغوية والأدبية بين العربية والأردية [1]

عمر فاروق

باحث بمجمع البحوث الإسلامية السابق، إسلام آباد، باكستان.

فذلكة تاريخية:

قبل أن ندخل إلى موضوعنا ونتحدث عن أهم الصلات اللغوية والأدبية بين اللغتين، حريّ بنا أن نذكر شيئاً من علاقات تاريخية متبادلة بين العرب والهند. فمن المعلوم أن العرب كانت لهم قوافل تجارية تجري في طريق الهند منذ زمن قديم، كما أن المياه الهندية ألفت الملاحة العربية فيها. ثم إن سواحل «مالا بار» و«مُكران/ مُكَّران» وما جاورها من القرى والمدن؛ فأراضيها إنما استأنست بوطء أقدام العرب تجاراً فغزاة. ويشير التاريخ إلى وجود مستوطنات وجاليات، ثم حكومات عربية في هذه المنطقة، وما نشأ إثر ذلك من روابط المصاهرة بين الأمتين، كما أن أجناساً من الهنود لها تاريخ قديم في الجزيرة العربية كذلك.[2] عليه فإن التأثير والتأثر قد حصلا من كلا الجانبين،

١- نُشرت هذه الورقة البحثية في مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد: ٤٦، العدد: ٢، ٢٠١١م.

٢- راجع للتفصيل:

- عبدالمنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، القاهرة، ١٩٨٩م.
- معصوم بكر المعصومي السندي، السيد، تاريخ السند، (المعروف ب: تاريخ المعصومي)، مراجعة: عمر بن محمد داود فوته (داؤد پوته)، مومباي، ١٩٣٨م.
- إحسان حقي، تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية، بيروت، ١٩٧٨م.

أحمد محمد الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية الباكستانية وحضارتهم، مكتبة الآداب، درب الجماميز، مصر، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، الجزء الأول.

وإن كان الجانب العربي أقلَّ تأثّراً من الثاني. ومادامت هذه العلاقات متبادلة نقسمها إلى قسمين:

تأثّر العرب بالهند:

كان العرب – على حد تعبير يوسف الهندي – قد أحبوا الهند لدرجة «أنهم اتخذوا منها اسماً لنسائهم»،[1] وكذلك عرفوا «الهندية أو المهندة»، وهي السيوف التي كانت تُجلب إليهم من الهند. كما أن الرماح الخطِّيَّة التي اشتهرت بين العرب فكانت أيضاً تُنقل منها إلى «الخط»، وهو موضع ساحل البحرين، فنُسبت إليه. وكذا هو الأمر فيما يتعلق بـ«مسك دارِين»، أي المسك الهندي الذي جُلِبَ إلى «دارِين»، إحدى موانئ البحرين.[2] ثم إن «عود المَندَل» و«فوه الهال» (أو الهيل، أي حبَّهان) فإنما كانا في الأصل من أسماء الأمكنة الواقعة على شواطئ الهند التي سُمِّيت الأشياء المستوردة منها بمسمياتها.[3] وأما البضائع التجارية الأخرى التي كانوا يستوردونها من الهند فتُعرض في أسواق الأُبُلَّة وظَفَار وعَدَن وعكَّاظ ونجران وغيرها من بلاد العرب، فمنها: الجوز الهندي، والصَندَل، والخَيزُران، والقماش من أنواع مختلفة، ثم الأرُزُّ والقمح والبَهَارات أو التوابل نحو الزنجبيل والقَرَنفُل والفلفل.[4]

وقد أمكن العرب القدَامَى – من خلال هذا الاتصال التجاري السحيق في الزمن – التعرُّف إلى بعض اللغات الهندية المنطوق بها وقتئذ في مختلف أنحاء البلاد، ووجدت بعض المفردات اللغوية الهندية طريقها إلى الشعر الجاهلي، ثم إلى القرآن الكريم أيضاً كألفاظ حية شائعة. من هذه الكلمات الدخيلة في العربية: الفلفل والقرنفل والمسك

تابع لهوامش الصفحة السابقة (٤٧).

- عبدالله محمد جمال الدين، التاريخ و الحضارة الإسلامية في الباكستان أو السند و البنجاب إلى آخر فترة الحكم العربي (١٥-٤١٦هـ/ ٦٣٦-١٠٢٥م)، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: ١، ١٩٩١م.
- أبو المعالي أطهر المباركپوري الهندي، رجال السند والهند إلى القرن السابع الهجري، مومباي، ١٩٥٨م.

١- محمد يوسف الهندي، «بدء العلاقات العلمية بين العرب و الهند»، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ج:١٢، الجزء الأول ، مايو ١٩٥٠م، ص:٩٧.

٢- طه حسين و آخرون، التوجيه الأدبي، دار المعارف، القاهرة، بدون سنة، ص: ٢١٠.

٣- محمد يوسف الهندي، بدء العلاقات العلمية بين العرب والهند، ص:٩٨.

٤- محمد اسحاق بهٹی، برصغیر میں اسلام کے اولین نقوش، ص:٢٩.

والزنجبيل والكافور[١] والفيل.[٢][٣]

وعلاوة على هذه التجارة وذلك الاستيراد، فإن كثيراً من العرب مكثوا بالهند واستوطنوها جاليات، خاصة بعد بزوغ شمس الإسلام لما فتح المسلمون بعض مناطق الهند في أوائل خلافة الفاروق عمر رضي الله عنه سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م، مع كونه شديد الحذر من «حمل الدود على العود» كما كتب إلى والي البحرين عثمان بن أبي العاص الثقفي (٥١هـ/ ٦٧١م)، الذي قام بإعداد ثلاث حملات بحرية ليطرق الهند من ثلاثة جوانب. فأرسل أخاه الحكم لمهمة شن الغارة البحرية أولاً على تانه(تهانه) ، ثم على «بروص»، وهما مدينتان بالقرب من «مومباي» وأحمد آباد حالياً بالهند. كما أرسل أخاه الثاني المغيرة إلى ميناء الديبل أو دايبول/ ديبل، وهي مدينة بانبور (بهنبهور) الآن في باكستان.[٤] ثم توالت الفتوحات، حتى جاء محمد بن القاسم فهجم هجمته القاضية على السند والهند، فانتظمت حكومتها تحت قيادته، وكثرت اتصالات المسلمين العرب بالهند، وازدادت عملية الأخذ والعطاء في مجال اللغة كذلك. فقد أشار الباحثون إلى كثير من الكلمات المحلية التي دخلت لغةَ الفاتحين بعد ذلك، ولكن يجب التنويه في هذا المقام إلى أن أحد علماء الأردية الدكتور سيد عبدالله (ت/ ١٩٨٦م) قام بإجراء بحث حول قضية

١- خالف بعض الباحثين في كون كلمة «الكافور» هندية الأصل، و إنما ذهب بعد دراسة فاحصة إلى أنها من أصل ساميّ واردة في القرآن بمعنى الحناء أو عطر الحناء. انظر: محمد اقتدار حسين الفاروقي، «أصل كلمة الكافور وحقيقتها»، تعريب: محمد صلاح الدين العمري، مجلة المجمع العلمي الهندي، ربيع الأول ١٤١٢هـ/ أكتوبر ١٩٩١م، ج: ١٤، ع: ١-٢، ص: ١٧٤-١٧٥. (و أصلاً جزء من كتاب ألفه الدكتور الفاروقي بالإنجليزية بعنوان: (Plans of the Quran).

٢- أما كلمة «الفيل» فليست فارسية كما هو معروف، و إنما هي من أصل سنسكريتي انتقلت منه إلى كل من الفارسية و الأشورية فالعربية. انظر: محمد يوسف الهندي، علاقة العرب التجارية بالهند، ص:٤، نقلاً عن عبدالمجيد ندوي، عربي زبان وأدبيات ميں ہندي اثرات، مجلة معارف الأردية الصادرة في الهند، محرم ١٣٨٩هـ/ أبريل ١٩٩٦م، ج: ١٠٣، ع:٤، ص:٢١٤.

٣- سيد سليمان الندوي، عرب و ہند کے تعلقات، ص: ٧٢، سيد سليمان ندوي، عربوں کی جہاز رانی، ص: ١٢، جميل أحمد، حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٧م، ص:٣٥؛ وانظر لذلك أيضاً: عبدالمجيد ندوي، عربی زبان و ادبيات ميں ہندی اثرات، مجلة معارف، محرم-صفر ١٣٨٩هـ/ أبريل-مايو ١٩٩٦م، ج:١٠٣، العددين: ٤-٥، ص: ٢٩٩-٣١٤ و ٣٩٠-٣٩٨ على الترتيب.

٤- أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: إم.جي.دي جوجه، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٨م، ص: ٤٣١-٤٣٢؛ عبدالله محمد جمال الدين، التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان أو السند والبنجاب إلى آخر فترة الحكم العربي، ص: ١٧. و أما ما قاله الدكتور عبدالله جمال الدين في المرجع الأخير من أن عثمان الثقفي تولى بنفسه قيادة الحملة الأولى، فهو ما لا تؤيده المصادر فيما بحثنا.

التنقيب عن النواة الأولية للغة الأردية وحاول فيه بنجاح استكشاف الكلمات الهندية الأصل من خلال تواليف عربية ألفت في أحوال الهند وأهلها وما لديهم من فنون، مثل كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات. وذلك لكي يتبين منها الموارد المحلية الأولى التي نهلت منها الأردية في أول نشأتها، لأن النماذج الكتابية للغات المحلية الإقليمية بالهند لا ترجع إلى ما وراء القرن الخامس عشر أو الرابع عشر الميلادي على الأكثر.[١]

تأثّر الجانب الهندي:

أما الحفاوة المتبادرة من أهل الهند تجاه العرب والجزيرة العربية من عهد ما قبل الإسلام فلها من الشواهد ما سنذكر بعضها فيما يلي: فأول شيء يقابلنا في هذا الصدد هو وجود بعض الأقوام من الهنود في شبه الجزيرة العربية، منها: الزُّطُّ والمِيد والسيابجة والبياسرة والأحامرة والأساورة.[٢] وهؤلاء الناس ارتحلوا إلى بلاد العرب عن طريق اليمن وفارس لأسباب اقتصادية تجارية وأخرى سياسية، ولكن هناك عاملاً آخر وراء ذلك لا يقِلُّ – فيما نعتقد – أهمية وتأثيراً عن العوامل الأخرى؛ ألا وهو ورود بعض النبوءات عن رسالة محمد ﷺ في كتب الهنود المقدسة، حيث يطالعنا في بويش فران (بهـويش پران) وأثرويد (اتهـرويد) وصف لموكب البعثة النبوية الشريفة يشبِه في مجمله ما جاء في الكتاب المقدس من إخبار عن رسول اسمه أحمد.[٣]

فمن ذلك مما يدل على لهفة أهل الهند للإسلام أن حاكماً هندوسياً لإحدى الإمارات الهندية أرسل «الزنجبيل» هدية للنبي،[٤] كما أن التاريخ يُطلعنا على أن أهل جزيرة سِيلان أو سرنديب (سري لانكا حالياً) أرسلوا رجلاً فهيماً منهم وأمروه أن يسير إليه (أي الرسول) فيعرف أمره،[٥] ووصل الرجل بعد رحلة شاقة إلى المدينة في عهد أمير

١- انظر: ڈاکٹر سید عبداللہ، مباحث، مجلس ترقی ادب، لاہور، ط:١، ١٩٦٥م، ص: ٣-٤١.

٢- محمد اسحاق بھٹی، برصغیر میں اسلام کے اولین نقوش، ص:١٦-٢٧.

٣- علی اکبر، اسرائیل اور قرآنی پیش گویاں، ترجمة: محمد أفضل میاں، شیخ غلام علی اینڈ سنز، لاہور، بدون سنة، ص: ١٥-١٦.

٤- أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج:٤، ص:١٣٥.

٥- بُزُرك بن شهريار الناخُذاه الرامهُرمُزي، عجائب الهند و بره و بحره و جزائره، تحقيق: پ. أ. فان ديرلث، (مع ترجمة فرنسية من: مارسيل ديفك)، إي. جَي. بريل، ١٨٨٣-١٨٨٦م، ص: ١٥٦.

المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁، «فسأله عن أمر النبي ﷺ فشرح له وبيّن».[١]

وإلى جانب ذلك، نعلم أن اللغة العربية كانت معروفة - كذلك - لدى نخبة من رجال الهند منذ عهد قديم. ومن شواهده ما نقله السيد سليمان الندوي (١٩٥٣م) عن الباندیت سوامي ديانند جي - أحد علماء الهندوس - أن «دروجي» كشف لباندو(پانڈو) عن مؤامرة أعدائهم كورو باللغة العربية، وأجابه بدشتر(بدھشٹر) بالعربية كذلك.[٢] ويعني ذلك أنهم كانوا يستخدمونها كالشَّفرة أو اللغة السرية فيما بينهم أثناء حرب تاريخية قديمة اندلعت بين عشيرتَي باندو وكورو معروفة بـ«المها بهاراتا(مها بهـارت)[٣]

هذا، وبعد أن مضى على ذلك حين من الدهر، وقد أخذ العرب المسلمون في غزو الهند، وقامت بينهم و بين أهلها أنواع من العلاقات، عند ذلك نجد كثيراً من أهالي الهند يعرفون العربية ويألفونها بحكم التفاعل الزائد الحاصل مع أبنائها، وكان بعض الأمراء الهندوس يُلمّون بها أيضاً حتى وُجِدَ فيهم من يستظهر الشعر العربي ويستشهد ببعض الأبيات من شعر حَسَّان بن ثابت لَمَّا يأتيه عبدالرحمن بن الأشعث (٨٥هـ/ ٧٠٤م)- ملتجئاً - بعد هزيمة لَقِيها على أيدي الجيش الذي أرسله الحجاج لمعاقبته كخارج على الأمويين.[٤]

ثم إنه قد أتى على بعض مناطق الهند فترة بعد الفتح الإسلامي أصبحت فيها العربية - جنباً لجنب مع اللغات المحلية - لغة التحدث لأهل هذه المناطق. فذكر ابن خرداذبه (ت/ حوالي ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) أن «لسان أهل المنصورة والملتان ونواحيها العربية والسندية»،[٥] ومع أن الدول التي أقامها العرب في الهند دامت أكثر من ثلاثة قرون، فإنه لم يبقَ من آثارها شيء كثير لبعد المسافة الزمنية التي تفصلنا عنها، كما أن

١- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

٢- سيد سليمان ندوی، عرب و ہند کے تعلقات، ص:١١

٣- وقد وردت تفاصيل وقائع هذه الحرب القديمة الكبرى في كتاب يحمل العنوان نفسه، أي «المها بهـاراتا»، ويعتبر «أكبر ملحمة شعرية في العالم»، إذ يبلغ عدد أبياتها مائة ألف بيت شعر، أي ضعف حجم الشاهنامة (للفردوسي، وثلاثة أضعاف حجم ملحمتي «الإلياذة» و«الأوديسة» لهوميروس في مجموعها، وهي تُشبه هذه الثلاثة في سردها الأسطوري). ويرجع تاريخها (تاريخ المهابهـاراتا) إلى ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة أو أكثر. انظر: محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج:٢، ص: ٨٣١.

٤- أبو المعالي أطهر المباركفوري الهندي، الهند في عهد العباسيين، القاهرة، ١٩٨٠م.

٥- عبيدالله بن عبدالله بن أحمد بن خرداذبه، كتاب المسالك والممالك، تحقيق : إم. جَى. دي جوجه، مطبعة بريل، ليدن ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٩م، ص: ١١٧.

الحكومات المسلمة الأخرى في شبه القارة الهندية تركت لنا من آثارها ما استتر وراءه كثير من الشواهد التي كانت ستدلنا على أول عهد المسلمين العرب ولغتهم بالهند.[1]

ثم حلت الفارسية في العصور اللاحقة محل العربية كلغة رسمية في الدوائر الحكومية بالهند، وإن كانت العربية متداولة بين العلماء لكونها لغة دينية، فبقيت لغة التأليف دون التكلم؛ بجانب الفارسية التي غشيت المنطقة كلها من حيث كونها لغة الحاكمين. وأما هؤلاء الحكام فقد وردوا الهندَ من بلاد آسيا الوسطى – وهم يقودون موكب الفتح التركي – حاملين معهم عناصرَ فارسية استطاعت فرض لغتها عليهم.[2] وذلك في غضون سنة ٤١٦هـ (الموافق ١٠٢٥م). وهذا «هو التاريخ الذي شهد ميلاد الدولة الغزنوية... التي تركت اللغة العربية واتخذت الفارسية لغة لها، فبثَّت مظاهر الحياة والحضارة الفارسية».[3]

كيفية نشأة الأردية:

و أما فيما يتعلق باللغة الأردية – التي سوف نتناول ما بينها وبين العربية من صلات بنوع من التفصيل – فعند استعراض تاريخ هذه اللغة من أول أمرها نجدها قد نشأت هندية الأصل في بنيتها اللغوية والنحوية الأساسية، ولكنه لم يتيسر لها النضج والاكتمال؛ ثم الرقي والتقدم، إلا تحت رعاية قوم لا غنى لهم عن العربية كلغة دينهم، ولا عن

١– اكتُشف في مدينة «بانبور(بهنبهور) التي أسموها قديماً «دايبول/ ديبل»، والتي أنشأها المسلمون على أنقاض المدينة السابقة عليها لغير المسلمين، وكانت هي الساحة التي انتصر فيها العرب أول انتصار لهم في السند، واكتُشف في هذه المدينة مسجد شابه المساجد المعاصرة له في كونها بدون المحاريب مثل مسجد الكوفة ومسجد واسط، وبه لوحتان عليهما كتابات عربية تعود إلى سنة ١٠٩هـ/ ٢٩٤م. انظر: محمد رفيق مغل، المدن الإسلامية الباكرة في السند، أمثلة من التجارة العالمية، ترجمة وتحرير: معتصم يوسف مصطفى، مجلة الدراسات الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، ذو الحجة، صفر ١٤٢٠هـ/ أبريل – يونيو، ١٩٩٩م، ج: ٣٤، ع: ٢، ص: ١٤٢ و ١٥٩-١٦١؛ قاضى اطہر مبارکپوری، ہندوستان میں عربوں کی حکومتیں، ص: ٧٥.

كذلك عُثر في الحفريات الأخيرة التي أجريت في مواقع المنصورة على عدة مقابض أبواب من البرونز مكتوب عليها بخط كوفي زهري الشكل بعض من آيات القرآن واسم صاحب هذه المقابض الأمير عبدالله بن عمر. انظر: محمد رفيق مغل، المدن الإسلامية الباكرة في السند، أمثلة من التجارة العالمية، مجلة الدراسات الإسلامية، ج: ٣٤، ع: ٢، ص: ١٤٥ و١٦٣- ١٦٥.

٢– عبدالوهاب عزام بك، اللغة الفارسية في الهند، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ج: ٢، ع: ٩، ديسمبر ١٩٤٧م، ص: ٤.

٣– عبدالله محمد جمال الدين، التاريخ و الحضارة الإسلامية في الباكستان أو السند والبنجاب إلى آخر فترة الحكم العربي، ص: ٣.

الفارسية كلغة حضارتهم. فهؤلاء هم المسلمون الذين نشأت اللغة الأردية في أحضانهم وترعرعت في كنف رعايتهم، إذ رفعوا من منزلتها بعد أن كانت لغة وضيعة القدر في بداية الأمر، فإن الناطقين بها كانوا من المستضعفين الأذِلَّاء الذين لم تكن لهم أية كرامة في المجتمع الهندوسي؛ الذي كَبَسته أقلية قليلة من البراهمة في قبضتها كالأخطبوط. فعاش الشعب عيشة العبيد، بل في حال أسوأ منهم. فتقدم المسلمون إليهم وانتشلوهم مما كانوا فيه من حضيض الذلة والمسكنة، كما أكَّدوا أنهم ليسوا بأنجاس على ما زعم البراهمة الذين كانوا قد صوَّروا لهم من خلال ديانتهم الهندوسية تلك الصورة البغيضة التي لا تليق بالإنسانية ألبتّة، ولا يمكن لأي إنسان أن يختارها لنفسه؛ والتي كان قد بني على أساسها التقسيم النوعي لمواطني شبه القارة الهندية إلى أربعة أجناس آدمية، فقُيِّض فيه لهؤلاء العامَّة أن يعملوا مُجبَرِينَ، ومن جيل إلى جيل، كَخَدَم لمن فوقهم في هذا النظام الاجتماعي.[1]

في هذه الظروف بسط المسلمون إليهم يد العون والشفقة، وبلَّغوهم رسالة الإسلام السمحة، كما كسبوا لهم حقوق الدرجة الأولى من المواطنين أيضاً.[2] ومن أجل ذلك اتخذوا لغة هؤلاء الجماهير – وهي الأردية في شكلها البدائي، وكانت تُسمَّى «الهندوية» – اتخذوها لغة اتصال وتواصل، ونهضوا بها إلى درجة صارت معها اللغة الوحيدة من بين اللغات الهندية الكثيرة التي لها قَبول واسع وشعبية ساحقة في معظم أرجاء البلاد.[3] فخلفت الفارسية في مجال الأدب والحضارة، كما اتخذت نماذجها الأدبية واللغوية من الفارسية كذلك، التي كانت متأثرة – وهي الأولى في هذا الصدد – بالعربية إلى حد بعيد. وهذا ما سنلقي عليه بعض الضوء فيما يأتي إن شاء الله. فقرض القوم الشعر بالأردية على منوال الشعر الفارسي، و ألَّفوا في القواعد على نمط القواعد النحوية الفارسية، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالفنون الأدبية الأخرى. وذلك بالإضافة إلى استمدادها ما

١- انظر لتفصيل هذه الأمور: محمد اسحاق بهٹی، برصغیر میں اسلام کے اولین نقوش؛ شیخ محمد اکرام، آبِ کوثر، اداره ثقافت اسلامیہ، لاہور، ١٩٩٦م.

٢- ڈاکٹر تارا چند، تمدن ہند پر اسلامی اثرات، ترجمة محمد مسعود أحمد، مجلس ترقیء ادب، لاهور، ط٢، ١٩٩٤م، ص: ٦٣

٣- شیخ محمد اکرم، آبِ کوثر، ص: ٤٦٨، ڈاکٹر شوکت سبزواری، داستان اردو زبان، انجمن ترقی اردو پاکستان، كراتشي، ط: ٢، ١٩٨٧م، ص: ٤٢.

يربو على خمسين في المائة (٥٠٪) من الألفاظ العربية والفارسية فيما كانوا يكتبون.[١] فهذه الأسباب كلها أدَّت إلى عزو الأردية للمسلمين كواضعي هذه اللغة الجديدة، وإن كان الهندوس قد أسهموا في تطويرها منذ أول نشأتها،[٢] ولكنهم تثقفوا أولاً - وهم الآخرون - ثقافة عربية وفارسية.[٣]

التأثير العربي في اللغة والأدب الأرديين:

وهنا يحسن بنا الإشارة إلى أن العلماء المسلمين الأوائل في شبه القارة الهندية قد زوَّدوا الأردية - لما كانت قد خرجت من طور نشأتها البدائية - بالمفردات والتعبيرات العربية والفارسية، حتى انطبعت اللغة الأردية بطابع خاص يتذوقه الأدباء حتى الآن، إلى أن استقلت بنفسها واستوى عودها كلغة متميزة لها كينونة ثابتة وشخصية مستقلة، فعادت إلى الأخذ من لغات أخرى كثيرة.[٤] وهاك نموذجاً لما يهمّنا فيما نحن بصدد الحديث عنه من تعبيرات لغوية عربية استخدموها في الأردية، فأدَّت دورها في تطويرها، فمنها:[٥]

ما شاء الله: ويُستعمل للتقدير والإعجاب، وللثناء على أحد، كما قد يستخدم بلاغياً

١- انظر للتفصيل: سمير عبدالحميد إبراهيم، الألفاظ العربية في اللغة الأردية، المكتبة العلمية، لاهور، ١٩٩١م، إنعام الحق غازي، الاقتراض اللغوي من العربية إلى الأردية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، ١٩٨٧م، إكرام الحق ياسين، الكلمات العربية في أدب دبتي نذير أحمد، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، ١٩٩١م.

٢- انظر لذلك: قاضى ظهور الحسن ناظم سيوہاروى، اردو زبان اور ہندو، كتاب منزل، لاہور، بدون سنة، عبد السلام خورشيد، اردو کے ہندو شعراء، مرکزی دفتر تحریک رفاقت پنجاب، لاہور، ١٩٤٦ء، ڈاکٹر وفا راشدی، اردو کی ترقی میں بنگال کے ہندووں کا کردار، مجلة خدا بخش لائبریری جرنل، الصادرة فى بطنة (پٹنہ)، الهند، ع: ١١٦، يونيو ١٩٩٩م، ص: ٣٧-٦٨، داستانِ زبانِ اردو، انجمن ترقیء اردو پاکستان، کراچی، ط: ٢، ١٩٨٧م، ص: ٤٢.

٣- و يدل على ذلك ما نجد في دواوين الشعراء الهندوس من الابتداء بالحمد لله تعالى، ثم النعت وهو مدح الرسول ﷺ، وهذه كانت ولا تزال طريقة متبعة عند الشعراء المسلمين في شبه القارة الهندية في إخراج دواوينهم. وقد جمعت السيدة «فرزانه ماجد» بعض ما أنتجته قرائح الشعراء الهنادكة في هذا الصدد من مدائح نبوية في كتيِّب بعنوان: نعت رسول بزبان غير مسلمان، أي مدح الرسول على لسان غير المسلمين. منشور من قبل ماہنامہ انتظار پبلشرز، إسلام آباد، ١٩٩٧م.

٤- وفي هذا الصدد أمدَّها الاستعمار الإنجليزي بنسيج لغوي وتعبيري جديد، مع ذلك فإنها لم تنصرف عن نزعتها العربية والفارسية، إلا أنها رحَّبت لهذا الجديد صدرها أيضاً. أما الآن فقد تغيرت الأوضاع كثيراً، ولم يبق للقديم كبير أثر على الحديث المتجدد المتماشي مع التطور الزمني، خاصة في الأوساط الصحفية والإذاعية. فاللغة الأردية الإعلامية -كمعظم اللغات الشرقية الأخرى - قد انحازت إلى التيار الدُّوَلي الذي هو عبارة عن سيادة اللغة الإنجليزية في أكثر الأحيان.

٥- مرتضى حسين لكهنوى - سيد قائم رضا نسيم امروہوى- محمد باقر آغا، نسيم اللغات (معجم أردي-أردي، شيخ غلام على اينڈ سنز، لاہور، ط: ٩، ١٩٨٩م؛ شان الحق حقى، فرہنگ تلفظ (معجم أردي-أردي)، مقتدره قومى زبان، إسلام آباد، ٢٠٠٢م، تحت المواد المذكورة.

في موطن الطعن والتعريض.

لا حول ولا قوة: ويستعمل لإظهار البراءة والكراهية والاستنكار.

لا يموت ولا يزال: الذي ليس له فناء، أي سبحانه جل وعلا.

ما بعد: فيما بعد؛ بعد ذلك.

ما به الامتياز: الفارق أو الميزة الخاصة بشيء.

ما به النزاع: مبعث الخصومة.

الأقارب كالعقارب: ويستعمل في موضع تلقي المكروه من الأقرباء استياء منهم.

ما حضر: الطعام الموجود.

ما فى الضمير: ما في نفس أحد.

ما لا يطاق: ما لا قبل به.

ما قَلَّ ودَلَّ: ما قلَّت ألفاظه وكثر مغزاه.

نعوذ بالله؛ عياذاً بالله: ويستعمل في موضع الكراهية والنفور من شيء، كما يستخدم لطلب مغفرة الله عند مسٍّ بكرامة شخصية دينية محترمة بسوء.

العطش: واستعماله للتعبير عن الشعور بشدة العطش.

فاعتبروا يا أولي الأبصار: آية قرآنية [الحشر٥٩:٢] تُستعمل في موطن التحريض على الاتعاظ بشيء ما.

فاتحہ پڑھنا: (أي قراءة الفاتحة)، وذلك على الميت، وقد يُستعمل في محل اليأس والقنوط.

في أمان الله: واستعماله للتوديع.

الانتظار أشد من الموت: معاناة الانتظار أكبر من شدة الاحتضار.

في النار والسقر ہو جانا: (أي الدخول في جهنم)، ويُستعمل مع العدوّ دعاء عليه أو بياناً لحاله؛ وقد يُعبَّر بذلك عن التورّط في المشقة والعناء.

ماخوذ ہونا/ كرنا: (أي الأخذ)، وهو القبض على أحد والمحاسبة له.

كذلك «النادر كالمعدوم» و«لا تعد ولا تحصى» و«المرء يقيس على نفسه» و«المعنى في بطن الشاعر» و«مضى ما مضي» و«المنة لله» و«أدام الله إقباله» و«قُدِّسَ سره»...إلخ.

فهناك الكثير من هذه التعبيرات العربية التي استعملها الناطقون بالأردية، ولا زالوا يستخدمون جزءاً كبيراً منها نطقاً وكتابة. وقد جمعها أصحاب المعاجم حسب المواد

المتوفرة لدى كل واحد منهم أو حسب نوعها.[١] ويجب أن يُوضَع في الاعتبار أن عدداً متوافراً من تعابير القرآن وحديث الرسول ﷺ قد غذَّت الأردية في هذا الصدد، و أثْرت ثروتها التعبيرية والأسلوبية على نطاق واسع، كما رأينا وكما سنرى.[٢]

ثم هناك طائفة أخرى من هذه التعبيرات والمصطلحات العربية التي حصل فيها التداخل اللغوي فتغير مدلولها بالأردية، أو تأرَّد شكلها بحسب النطق بها أو استعمالها عند الأردويين، نحو:[٣]

صُمّ بكم: أي الذي لم يَنبِس ببنتِ شفة أو لم يُحر جواباً كأن على رأسه الطيرَ، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾. (البقرة: ٨١).

اِلِلذی نہ اُللذی: أي المتردد بين هذا وذاك فيقدِّم رِجلاً و يؤخِّر أخرى، وهو كذلك مستمد في معناه من قوله تعالى: ﴿ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾. (النساء: ١٤٣).

وهناك طائفة ثالثة من الاصطلاحات والتعبيرات الدينية والفنية القديمة التي استقرت على معانيها المحترمة ولم تتغير، وقد رُسمت بعضها على حسب الإملاء العربي القديم كذلك، نحو: «إقامة الصلوة» و«إيتاء الزكوة» و«تلاوة القرآن» و«رواية الحديث» و«مخرج الأصوات» و«مراقبة الصوفي» و«القياس مع الفارق»...إلخ.

ولسوف يظهر الأمر بوضوح فيما يتعلق بتأثير العربية في الأردية من حيث التعبير اللغوي، وما سنذكر عنه من أجناس أدبية وما يتصل بها من فنون، وذلك إذا عرفنا أن الشعراء والكُتّاب باللغة الأردية إنما كانوا على معرفة تامة بالعربية والفارسية حتى العهد المتأخر ما قبل المُحدثين. أما المحدثون فمعظمهم يعرفون الفارسية التي أدَّت في كثير من الأحيان دور الوسيط بين اللغتين. (وسيأتي الكلام عليه بعد قليل). وأما ما قيل

١- و يمكن أن يُنظر في هذا الصدد المعاجم التي أُلِّفت في الأمثال نحو: وارث سرہندی، جامع الأمثال، مراجعة: شان الحق حقی، مقتدره قومی زبان، إسلام آباد، ١٩٨٦م؛ شاه حسين حقيقت، خزينة الأمثال، مقتدره قومی زبان، إسلام آباد، ١٩٨٦، و بالأخص: مقبول الٰہی، اردو میں مستعمل عربی و فارسی ضرب الأمثال، مقتدره قومي زبان، اسلام آباد، ١٩٩٦م. و هناك معجم آخر بعنوان: فرہنگ عامره ، محمد عبدالله خان خويشگی، وأدرج فيه واضعه حوالي أربعين ألفاً من الألفاظ العربية والفارسية والتركية المستعملة في اللغة الأردية بالدلالة على أصل كل كلمة، وقد صدر في طبعته الأخيرة سنة ١٩٨٩م عن المجمّع اللغوي الأردي (مقتدره قومی زبان) نفسه بإسلام آباد.

٢- انظر لذلك خاصة: ڈاکٹر غلام مصطفی خان، اردو میں قرآن اور حدیث کے محاورات، اداره تحقیقات اسلامی، بین الاقوامی اسلامی یونیورسٹی، اسلام آباد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣- شان الحق حقی، فرہنگ تلفظ، تحت المواد المذكورة.

مثلاً عن بعض الشعراء المتأخرين، وهو الميرزا أسد الله خان غالب (مرزا أسد الله خان غالب) (ت/ ١٨٦٩م) بأنه لم يكن ملماً بالعربية، فسرّ ذلك القول أنه لم يكمل دراسته في اللغة العربية وآدابها حتى التخرّج، وإن كان قد درس جيداً على الأستاذ ما كفى مثلَ ذلك الرجل من أساسيات هذه اللغة ليواصل القراءة بنفسه في المؤلفات العربية.[1]

إذن فلا غرو إذا اقتبسوا في كتاباتهم من النصوص العربية، أو لَمَحوا إلى شخصيات الأدب العربي وظواهره المختلفة. فلنقرأ مثلاً هذا البيت من تمهيد افتخاري في قصيدة لـ«أمير الله تسليم الكاتب (منشى امير الله تسليم) (ت/ ١٣٢٩هـ/ ١٩١٨م)، مدح بها الأمير واجد علي شاه (نواب واجد علي شاه) (ت/ ١٨٨٧م) حاكم إمارة »أود (اودهـ) وقتئذ:[2][من الرمل]

بسکہ ہوں فیض نسیم دہلوی سے کامیاب
گنگ ہے آگے مرے سحبان وائل کی زبان

«إني- بما أفاض عليَّ الشيخ نسيم الدهلوي، أستاذ الشاعر من علمه وفضله- قد وُفِّقتُ إلى أن (أبلغ من الفصاحة والبلاغة حداً حيث) أرى أن سحبان وائل[3] قد وقف ساكتاً عند خطابتي منعقد اللسان».

ومن الشعراء الأردويين المعاصرين عبدالعزيز خالد (ت/ ٢٠١٠م) الذي قرض القصيدة في مدح الشاعر الكبير الميرزا غالب (المذكور عنه أعلاه) ويقول فيه:[4][من الرمل]

سجدہء شعر سے واقف ہوں فرزدق کی طرح
میں کہ غواص ہوں بحر سُخن و حکمت کا

١- الحافظ جلال الدين أحمد جعفري (اختيار وتقديم)، تاريخ قصائدِ اردو، اداره شركتِ مصنفين، كراتشى، بدون سنة، ص: ٥٥.

٢- المرجع السابق، ص: ١٥١.

٣- هو سحبان بن زُفَرَ بنِ إياس الوائلي من باهلة (ف: ٥٤هـ/ ٦٧٤م) من أشهر وأبلغ خطباء العرب، ومن المعمَّرين كذلك. وُلِدَ في الجاهلية، وأسلم في زمن النبي من غير الاجتماع به، والتحق بمعاوية بن أبي سفيان حين وَلِيَ الشام. كان طويل النفس في خطابته قصير الجمل، يميل إلى الوعظ متأثراً بالقرآن والحديث النبوي في تعبيراتها. ضُرِب به المثل في الفصاحة والبيان والمقدرة على الخطابة، فقيل: «أخطب من سحبان»، كما سُمِّي «خطيب العرب». انظر: ڈاکٹر عبد الحليم ندوى، عربى ادب كى تاريخ، ترقىء اردو بيورو، دلهـى الجديدة، ١٩٨٩م، ج٣، ص٩٣-٩٤، عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ٥، ١٩٨٤م، ج: ١، ص: ٣٩١-٣٩٢، أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، شركة مكتبة ومطبعة مصطفي الحلبي وأولاده بمصر، ط: ٢، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م، ج: ٢، ص: ٤٨٢.

٤- مجلة أوراق الأردية الصادرة في لاهور، عدد سنوي خاص، فبراير- مارس ١٩٨١م، ص: ٢١.

«إني لمن العارفين بسجود الشعر الواقفين عليها كالفرزدق، إذ لم أترك بحراً من الشعر والحكمة دون الغوص فيه (والخروج منه بما يحوي في بطنه من درر)».[(١)]

فسحبان وائل والفرزدق لم يتسنّ ورود ذكرهما عند الشاعرين بهذه الصورة الحضارية العميقة إلا لكونهما ملمّيْن بالأدب العربي القديم إلماماً فرض عليهما التأثر به بشكل بلغ أن عَلِقَت هذه المعلومات الثقافية بالذهن ودخلت من خلاله نسيج فكرهما، ومن هنا تسَرَّبت إلى ما أنتجا في لغتهما من شعر.

هذا، وأول شاعر في شبه القارة الهندية ذُكِرَ له ديوان في الهندوية (أي الأردية البدائية التي دعوها «ريختہ» كذلك)، هو مسعود بنُ سعد بنِ سليمان اللاهوري (ت/ ٥١٥هـ/ ١١٢١م أو ٥٢٥هـ/ ١١٣١م)، فإنه كان من الشعراء المجيدين بالعربية[(٢)] والفارسية في المحل الأول. فهو أول من كان «له ثلاثة دواوين في العربية والفارسية والهندوية»، كما أشار إلى ذلك - قبل صاحب اللباب - أمير خسرو الدهلوي (ت:٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) معترفاً بفضل مسعود سلمان، كون الأخير سابقاً للأول في هذا المضمار.[(٣)]

ومن الأمور المسلّم بها عند الباحثين أن الشعر الأردي مبني على الشعر العربي في هيكله وفي عددٍ من معانيه، وقد تأتّى حصول ذلك عن طريق الشعر الفارسي. وهذا

١- رُوِي أن الفرزدق (ت/ ١١٠هـ/ ٧٢٨م) حينما سمع البيت التالي من معلقة لبيد سجد، فسألوه: لمَ سجدتَ؟ فقال: أنتم أعلم بسجود القرآن، وأنا أعلم بسجود الشعر! والبيت هو: [الكامل]

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبَر تُجِدُّ متونها أقلامها

انظر: محمد إسماعيل السلفي، شرح المعلقات السبع، دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور، ط١،١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص: ١٦٤.

٢- و من شعر مسعود بالعربية ما يتمثل به للإيهام أو التورية من محسنات البديع المعنوية قوله: [من الطويل]

وليل كأن الشمس ضلَّت ممرها … وليس لها نحو المشارق مرجع

نظرت إليها والظلام كأنه … على العين غربان من الجوِّ وُقَّع

فقلت لقلبي: طال ليلي وليس لي … من الهم منجاة، وفي الصبر مفزعُ

أرى ذنَب السَّرحان في الجو ساطعاً … فهل ممكن أن الغزالة تطلع

جميل أحمد، حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي، ص: ٥١.

٣- ونص كلامه الذي ينمّ على الاعتراف على الرغم منه: «پيش ازين شاہان سخن کسی را سہ دیوان نبوده، مگر مرا کہ خسرو کلام، مسعود سعد سلمان را اگر چہ است». (ليس لأحد من ملوك الشعر ثلاثة دواوين قبل هذا في العربية والفارسية والهندوية (ريختہ) إلا لنفسي أنا الذي أتبوأ مكانة ملك ملوك الكلام، وإن كان هناك مسعود سعد سلمان [يسبقني إلى ذلك]). أمير خسرو دهلوي، دیباچہ ديوان غرة الكمال، مطبع قيصرية، دهلي، ط: ١، بدون سنة ، ص: ٦.

ما وضَّحه ألطاف حسين حالي الشاعر وأكبر النقاد الأوائل بالأردية، (ت: ١٩١٣م)، قائلاً ما معناه: [١]

«إنه قد تأسس الشعر الأردي على مبنى الشعر الفارسي، الذي هو مأخوذ بنيانه من الشعر العربي».

تأثّر الفنون الأدبية الفارسية بالعربية وتوسّطها للأردية:

أما الشعر الفارسي فكان نسخة طبق الأصل من العربي في بداية تطوره حتى العهد المتأخر. فمن يقرأ قصائد الشعراء الفرس يلمس الأثر العربي واضحاً في هذا الإنتاج الشعري الفارسي. فعروضه هو عين العروض العربي، إلا أن الفرس اختلفوا في عدد الأركان أو التفاعيل في أوزان معظم البحور، كما اختلفوا بعدئذ في شيوع بعض هذه البحور عندهم أكثر. هذا بالإضافة إلى ما اخترعوا من زحافات، ثم دوائر وبحور جديدة استخرجوها حسبما لاحظوا في العروض العربي من قواعد.[٢] ومع أن هناك بحوثاً أُجريت في الآونة الأخيرة لإثبات دعوى أن العروض الفارسي له جذور في التقليد الهندو- أوروبي،[٣] ولكنها محاولات اعتمدت في مجملها على طبيعة اللغة الفارسية والظواهر العروضية الشائعة فيها.

هذا، وقد توارث الأردويون هذا الشعر العربي بطابعه الفارسي وألبسوه شعرهم بعد أن جعلوه مناسباً لطبائعهم كذلك. وعلى الرغم من إفادتهم مما كان لديهم من تقليد العروض الهندي الخاص المعروف باسم «فِنغَل» (پنگل) أو «شَند» (چهند)، وبعض التقليدات العروضية المحلية الأخرى، فإن الطابع العربي بقي هو المهيمن على كل ما في الشعر الأردي من ظواهر عروضية مختلفة. فنرى العروضَيْنِ العربيَ والأرديَ يتفقان[٤]

١- خواجه الطاف حسين حالي، مقدمۂ شعر و شاعري، پاپولر پبلشنگ ہاؤس، لاهور، ١٩٨٩م، ص: ١٢٤.

٢- انظر لذلك: ڈاکٹر محمد اسلم ضياء، علم عروض اور اردو شاعرى، مقتدره قومي زبان، إسلام آباد، ط: ١، ١٩٩٧م، ص: ٣٨-٥١، آغا صادق، نكاتِ فن، انسٹی ٹیوٹ آف تھرڈ ورلڈ آرٹ اینڈ لٹریچر، لندن، ط: ١، ١٩٨٩م، ص: ٦٧-٦٩، عبدالوهاب عزام، «أوزان الشعر وقوافيه في العربية والفارسية والتركية»، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ج: ١، الجزء الثاني [كذا]، ديسمبر ١٩٣٣م، ص: ٤٣-٥٨.

٣- دكتر پرويز ناتل خانلري، وزن شاعر فارسى، انتشاراتِ توس، طهران، ط: ٦، ١٣٨٣ هجرية، الفصل الثالث من الباب الأول خاصة.

٤- انظر حول اتفاق العروضيْن وبعض ما بينهما من اختلاف: محمد بشير، العروض بين العربية والأردية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، ١٩٩٢م، محمد موسى روحاني البازي، حاشية محيط الدائرة، مكتبة إمدادية، ملتان، بدون سنة، نجم الغنى رامپوري، بحر الفصاحت، مقبول اکیڈمی، لاهور، ١٩٨٩م.

في نظام الدوائر وأسماء البحور، ثم الزحافات وقواعد التقطيع، وكل ما إلى ذلك.[١]

أما فيما يتعلق بهيئة القصيدة الفارسية أو شكلها من حيث التقسيم في المعاني، فكانوا يبدأون قصائدهم بالغزل على طريقة الشعراء العرب، بل وقد استهلوها بالوقوف على الأطلال وديار الحبيب الدارسة كدأب من قلَّدهم في ذلك. فهذا لامعي الجرجاني (ت/ حوالى ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) يبدأ قصيدته ببيت نسمع فيه صدى لما كان يستهل به العرب قصائدهم من الوقوف والاستنطاق، فقال:[٢] [من الرجز]

هست اين ديارِ يار، اگر شايد فرو آرم جمل

پرسم رباب و دعد را حال از رسوم و از طلل

«هذه هي ديار الحبيب (قد وُصِلَ إليها)، فمن الجدير بي أن أنيخ جملي (فأنزل بها) أسائل الأطلال والرسوم عن رباب وعن دعد».

فنلاحظ أن الشاعر الفارسي قد وظَّف اسميْن من الأسماء العربية المعروفة للحبائب: «رباب»، و«دعد»، كما استخدم بعض الكلمات العربية الخاصة المذكورة في مثل هذا الموطن: «رسوم» و«طلل».

ونمثِّل في هذا الصدد بمثال آخر للشاعر معزِّي النيسابوريّ (ت/ ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) الذي يقول في مطلع قصيدته التي مدح بها السلطان شرف الدين سعدَ بنَ عليّ المستوفي:[٣] [من الرجز]

اى ساربان ، منزل مكن جز در ديارِ يارِ من--تا يک زمان زارى کنم بر ربع و اطلال و دمن

«ألا أيها السائق الراحلة، لا تنزل إلا بديار حبيبي (الدارسة)، فأسكب الدموع (هنالك) ساعة على تلك الربوع والأطلال والدمن».

١- وقد حاول بعض العروضيين الأردويين أن يستخلصوا قواعد العروض الأردي بالتساير مع الواقع الشعري المعِيش تبنيًّا للاتجاهات العروضية المحلية، متجنبين في ذلك الإغراق في إطلاق وتطبيق الزحافات والمصطلحات العروضية العربية والفارسية تيسيراً لقواعد العروض كما فعل الدكتور «غيان تشاند» (گيان چند جين) الذي ألّف في العروض الأردي كتاباً بعنوان: اردو کا اپنا عروض، أي العروض الأردي الخالص، و نُشِر أخيراً من قبل مغربي پاکستان اردو اکيڈمی، لاهور، ١٩٩١م.

٢- شبلي نعماني، شعر العجم، المكتبة العلمية، لاهور، ط: ٣، (معادة من طبعة دار المصنفين، أعظم گڑھ)، بدون سنة، ج: ٤، ص: ١٢١؛ Dr. Umar Muhammad Daudpota, Influence of Arabic Poetry on the Development of Persian Poetry, Hyderabad, 1988 reprint of 1st ed. 1934, P:50

٣- ديوان امير معزى، تحقيق: عباس اقبال، كتابفروشى اسلاميه، طهران، ١٣١٨ هجرية، ص: ٥٩٧.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن البيت يبدو ترجمة حرة لمطلع معلقة امرئ القيس الشهيرة، كما نلحظ به أيضاً من كلمات: «ديار»، و«ربع»، و«أطلال»، و«دِمن».[١]

وأما القصيدة الأردية فلم تذهب في تأثّرها بالعربية إلى حد النسخ منذ بدايتها الأولى، لأنها أخذت ثمرة يانعة من الفارسية في شعرها المتطور، إلا أنها قلدت في الابتداء بالتشبيب الذي تراوحت معانيه بالفارسية من الغزل إلى وصف الربيع إلى غير ذلك من المواضيع المناسبة للاستهلال. فالشعراء الأردويون اتبعوا الفرس في هذه الأغراض لابتداء القصيدة.[٢] وأما التخلص والانتهاء (أو المقطع) فقد أفاد الفرس

١- وللتفصيل حول هذا الموضوع انظر: شبلى نعماني، شعر العجم، ج: ٤، ص: ١١٤-١٢٦، Dr. Umar Muhammad Daudpota, Influence of Arabic Poetry on the Development of Persian Poetry, Chapter III, IV & V.

٢- وقد انفصل هذا الابتداء بالتشبيب أو المقدمة الغزلية عن القصيدة باقياً على اسمه كغزل، وأصبح فناً مستقلاً في الأدب الفارسي مغايراً للقصيدة على يد الشاعر الفارسي المتصوف «سنائى غزنوي» (ت/ ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م). ثم انتقل من الفارسية إلى الأردية بهذه الهوية المستقلة جنباً إلى جنب مع فن القصيدة الذي لم يواكب الأول على مر العصور. وفي هذا ا لـ«غزل» الفارسي والأردي يصف الشاعر أحوال وتقلبات النفس وتصرفاتها المختلفة مما يجري بين حبيبين من شتى نوازع الحب وهواجسه وأشجانه بصورة تبعث على التعاطف معه في الغالب الكثير؛ كما هو معهود في الشعر العربي. لكن الشاعر الفارسي فالأردي لم يقتصر في هذا الـ«غزل» المستقل على بيان الحب وذكر الحبيب وما يطرأ على المحبين من أحوال، وإنما تعدّى إلى أن يبث فيه همومه الاجتماعية وما يقلق منه ويحزن عليه من أوضاع مضطربة فاسدة، وكذلك ما يكتئب من أجله مما يجد له في قلبه المهموم من غوائل الدهر الخائن، إضافة إلى ما يرمي إليه من تسجيل خواطر مبهجة منعشة، والتعبير عما يعجبه ويروقه من أمور، وعلاوة على الافتخار بنفسه والإشادة بذكر من يكِنّ التقدير له من أشخاص، مزاوجاً بين ذلك كله وبين ما ينتزعه من تغزّله المحض من رموز ودلالات يُسقطها على ما يقصده من أمور وتجارب الحياة الكثيرة، مستخدماً من أجله الأساليب المختلفة المتنوعة. كذلك ينطوي الـ«غزل» على أفكار روحية صوفية من خلال ما يُسمَّى بـ«شعر الحب الإلهي» وما يدعى في النقد العربي بـ«الغزل الديني» كذلك، كما يتعرض لأَخيِلة فلسفية بحتة تشمل قضايا إنسانية مشتركة تتعلق بمنشأ الكون ومصير الإنسان فيه. وأما فيما يتعلق بهيئة الـ«غزل» أو شكله كفن شعري معين، فإنه يتكون من خمسة أبيات على أقل تقدير، ولا يتجاوز عددها خمسة عشر أو سبعة عشر بيتاً على العموم، وإن كان هناك من القدماء ومن ينزع منزعهم من تطول غزلياتهم أكثر. ثم إنه لا يوجد هناك ما يسمى «الوحدة العضوية» لتربط فيما بين أبيات «غزل» واحد. على ذلك، لكل بيت منه معنى أو مضمون مستقل يجعله مكتفياً بنفسه، وبالتالي، متصفاً بالإيجاز بمعنى الكلمة. وقد يوجد في مجموعة بيتين فأكثر داخل الـ«غزل» نوع من التآلف على أساس الوحدة الفكرية، وتسمى «قطعة» أو (قطعه بند بالأردية) بالأحرى. فالـ«غزل» إذن لا يجمع بين أبياتها القليلة أو الكثيرة إلا الوزن و القيافة، ثم الـ«رديف» على العموم. ويلتزم الشاعر بالتصريع في مطلع غزله، وإلا فلا يدعى «مطلع»، كما أنه قد جرت العادة بأن يُذكر الـ«تخلص» في البيت الأخير الذي يسمى «مقطع».

و أما الـ«تخلص» بهذه المناسبة فهو مصطلح لا يمت هنا بصلة إلى الاصطلاح الشعري المعروف في القصيدة (الذي قد يسمّى خروجاً في النقد العربي القديم)، وإنما أطلق ما يختاره الشاعر من اسم - عدا اسمه الحقيقي، أو كنيته، أو لقبه - يأتي به في شعره، خاصة في أواخر أبيات القصائد و الـ«غزليات». وقد يكون جزءاً من اسمه، وإلا يصبح منه. ولم تجر به العادة إلا في الشعر الفارسي، ومنه جاء إلى الأردية. وبإمكاننا أن نطلق عليه اللقب الشعري على حد تعبير الدكتور جميل أحمد، ولكنه لا يوحي بالمعنى بالضبط.

في طريقة عرضهما وكيفية حسنهما وبراعتهما من العربية كذلك، والأردويون احتذوا بهؤلاء في ذلك أيضاً.[1]

وليس من نافلة القول أن نلمّح في هذا المكان إلى أن الأمر كذلك بالنسبة لأخذ الكثير من التلميحات التي نجدها عند الشعراء الأردويين، والتي لها صلة بالحوادث والوقائع التي تتضمنها كتب التراث العربي، نحو الكتب الدينية والتاريخية والأدبية، تلك الوقائع والحوادث التي وجدت طريقها إلى الشعر الفارسي الذي تأثرت الأردية في ذلك عن طريقه في الغالب الأكثر. ولا ينكر ما لمثل هذه الأشياء من أهمية في مجال الشعر خاصة، فقد استلهموا منها معانيَ جديدة مبتدعة، كما استخدموها في أغراض وإيحاءات كثيرة. فمن هذه التلميحات التي كانوا قد أسقطوها على مواقف شتى بما قصدوا من طرح المعاني بصورة مبتكرة طريفة:[2]

صحرائے نجد: أي صحراء نجد، وفي ذلك إشارة إلى قصة حب شهيرة جرت بين المجنون قيس (ت/ حوالي ٦٨هـ/ ٦٨٨م) و ليلى العامرية.

حرفِ كن: أي كلمة «كن» فعل الأمر من «كان»، وفيه إشارة إلى ما ورد في القرآن من بيان عن قدرة الله عز وجل، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[3].

كوهِ طور: أي جبل الطور الذي أعطيت به النبوة لموسى عليه السلام.

يوم ألست: أي اليوم الذي قال فيه سبحانه وتعالى للأرواح: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾. (الأعراف:١٧٢).

إعجاز مسيحائى: أي معجزات النبي عيسى عليه السلام.

كما سبقَت الإشارة إلى «سحبان وائل» موظفاً في بيت من الشعر لأحد شعراء الأردية المتأخرين هو أمير الله تسليم، و«سجدة شعر» موظفاً في بيت شعر لشاعر من العصر

انظر: طارق هاشمى، اردو غزل، نئى تشكيل، نيشنل بک فاونديشن، إسلام آباد، ط: ١،٢٠٠٨، ص: ١٨-٢٣، جميل أحمد، حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي، ص: ١٣١، انور جمال، ادبى اصطلاحات، نيشنل بک فاؤنديشن، إسلام آباد، ط: ١، ١٩٩٣م، تحت مواد: غزل، قطعه، مطلع، مقطع، تخلص.

١- حافظ جلال الدين احمد جعفرى، تاريخ قصائدِ اردو، ص: ١٧-٢٠.

٢- محمد إقبال، عطاء الرحمن عتيق، تعمير ادب، پوليمر پبليكيشنز، بدون سنة، لاهور، ص: ٢٢-٢٣.

٣- البقرة: ١١٧.

الحاضر عبدالعزيز خالد، وإن كان مثل هذين التلميحين الأخيرين قد نَدَرَ وجوده في الوقت الراهن إلا عند الشعراء العلماء المتمكنّين.

الأثر العربي في قواعد الأردية:

والأهم من ذلك كله تأثير اللغة العربية في اصطلاح القواعد الأردية وكثير من التطبيقات. فقد استمد علماء اللغة الأردية في تشكيل قواعد لغتهم من النموذج الفارسي الذي طبعته العربية بطابع لا يُمحى من قواعدها. وربما استفادوا من العربية مباشرة، ولكنه ما أمكنني التبيّن من كيفية هذا التأثّر بكل من العربية والفارسية، إلا أن الذي وجدته بهذا الصدد عند التصفّح لأوائل الكتب التي أُلِّفت في مجال قواعد اللغة الأردية هو أنهم أطلقوا مصطلحات النحو والصرف وطبَّقوا تعريفاتها العربية بمعظمها على الكلمة والجملة الأرديتين إطلاقاً و تطبيقاً كاملين. فهذا سيد أحمد خان (ت/ ١٨٩٨م) ألَّف في عام ١٨٣٠م كتاباً صغيراً باسم: قواعد صرف ونحو زبان ارو،[١] واستخدم فيه الاصطلاحات القواعدية العربية بحروفها وحرفيتها، من مثل: الاسم والفعل والتعدي واللزوم والمصدر والأمر والنهي...إلخ، كما أنه يوجد بالكتاب مبحث حول بيان المبتدأ والخبر، ثم المضاف والمضاف إليه والشرط وجزائه، وكذلك العطف والمؤنث السماعي.

وهناك كتاب آخر بعنوان: «مصباح القواعد» في جزأين لمؤلفه المولوي فتح محمد خان الجالندهري،[٢] يتعرض الجزء الأول منه لعلم الصرف، وأما الثاني فيبحث في النحو، وقد حاول المؤلف فيهما التطبيق لقواعد اللغة العربية تطبيقاً كاملاً شاملاً، بحيث نجد في الجزء الثانى مثلاً، وهو في النحو، الحديث عن الإضافة وما تنقسم إليه من أنواع مختلفة نحو التمليكية والتوضيحية والبيانية...إلخ، كما أورد المؤلف بياناً عن المركب الامتزاجي (أو المزجي)، ثم عن نائب الفاعل (أو ما لم يُسمّ فاعله) والمفاعيل الخمسة، وكذلك التمييز والعدد، والبدل والمبدل منه. وقد جاء في آخر هذا الجزء بفصل كامل

١- منشور أخيراً من قبل انجمن ترقىء اردو پاكستان في كراتشي عام ١٩٨٧م بتحقيق: عبدالغفار شكيل، وكان قد نشر في طبعته الأولى سنة ١٨٤٢م. و هناك كتابان آخران في قواعد الأردية ألّفا في القرن التاسع عشر كذلك تحت تأثير القواعد العربية والفارسية، هما: فيض كا چشمه للمولوي أحمد علي الدهلوي (عام ١٨٢٥هـ)، وأردو صرف ونحو للمولوي إمام بخش الصهبائي، عام ١٨٤٩م.

٢- منشور بمطبعة ناظم برقى پريس في رامپور، عام ١٩٤٥م

في الحروف يذكّرنا بـ«مغني اللبيب» لابن هشام (ت/ ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م)، بما ساق فيه الأخير من كلام على حروف مختلفة، عاملة كانت أو هاملة، من حروف المعاني، بنى عليها جزءاً كبيراً من كتابه.

هذه كانت بداية التأليف في قواعد اللغة الأردية. أما الآن فالوضع لا يختلف كثيراً عما كان عليه من قبلُ، فإن المصطلحات الصرفية والنحوية هي بعينها في الأردية كما في العربية، بفارق الاختصار بعض الشيء والتخلي عن المصطلحات التي يمكن الاستغناء عنها بالأردية، وإخراج التفاصيل الدقيقة الأخرى التي تشعّبت مباحثها من غير طائل، مع إدخال بعض العناصر اللغوية المحلية، بحيث لم تستطع هذه الأشياء الطغيان على ما انطبعت به القواعد في الأردية من طابع اصطلاحي عربي ملموس.[١][٢]

التأثير العربي في النقد الأردي:

وفي هذا الصدد أكتفي بالإشارة إلى كتابين في النقد الأردي هما: مقدمۂ شعر وشاعرى[٣] لألطاف حسين حالي (ت/ ١٩١٣م)،[٤] ومعروضي تنقيد[٥] للدكتور سيد وقار أحمد رضوى.[٦] فقد استفاد المؤلفان في كتابيهما من النقد العربي القديم من حيث العرض

١- انظر: سمير عبدالحميد إبراهيم، القواعد الأساسية لدراسة الأردية، ملك بك ڈپو، لاهور، ١٩٩١م.

٢- وقد لاحظ الدكتور شوكت سبزواري (ت/ ١٩٧٣م) أن قواعد اللغة الأردية إما وُضعت تحت تأثير من قواعد اللغة العربية والفارسية (على يد العلماء المسلمين في شبه القارة) أو بالتأثر من قواعد اللاتينية والإنجليزية (فيما ألفه المستشرقون في ذلك) بعدم اعتبار طبيعة اللغة الأردية في الحسبان، وبغض النظر عما في تقليد اللغات الهندية المحلية من أصول ومبادئ لغوية. فقام الدكتور شوكت بنفسه بوضع قواعد اللغة الأردية وفقاً لطبيعتها الهندية المحلية، إلا أنه لم يمض في ذلك طويلاً؛ إذ وافاه الأجل، وبقي عمله ناقصاً غير شامل إلا لمبحث الاسم فقط. ونُشِر هذا العمل غير التام بعنوان: اردو قواعد من قبل مكتبة أسلوب في كراتشي عام ١٩٨٢م بتقديم الباحث المحقق مشفق خواجه و تعليق الحواشي بيراع الدكتور قدرت نقوي.

٣- و كان أصلاً مقدمة لديوانه الشعري، ثم اعتبرت هذه المقدمة على مثال مقدمة ابن خلدون، ومن حيث كونها محيطة بالموضوع مبسوطة في ذلك، مؤلفاً مستقلاً في أصول نقد الشعر. والأمد بعيد والكتاب ما زال مرجعاً حياً لدارسي النقد الأردي.

٤- جدير بالذكر أن ألطاف حسين حالي هذا كان يقرض الشعر أحياناً بالعربية كذلك. ومما يستجاد من شعره العربي قصيدته البائية التي أولها: [من الطويل]

هوى الحور بلوَى كلِّ حِبر ونادبِ — **وفتنةُ قِسِّيس وزلّة راهبِ**

انظر: كليات نظم حالي، طبعة لاهور، ط: ١، ١٩٧٠م، ملحق رقم٣، ص: ٤٣٤-٤٤٠.

٥- منشور من قبل رائل بك كمپني بكراتشي سنة ١٩٨٩م.

٦- المؤلف حي يُرزق، مقيم في كراتشي، وله إسهامات في مجال البحث والنقد الأدبي الأردي.

والتدليل. أما فيما يتعلق بتأليف حالي فمما جاء به في كتابه من بحث في تعريف الشعر وما يتصل به من مطالب، فقد أورد ضمنه ما ساقه ابن رشيق القيرواني (ت/ ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م) في الموضوع، ووازن بينه وبين ما لـ«ملتون» (الشاعر الإنجليزي المعروف، ت/ ١٦٧٤م) من بيان في هذا الصدد،[١] كما أخذ من العقد الفريد بعض الشواهد في معارضة القول: «أحسن الشعر أكذبه»، منها بيت شعر نسبه صاحب العقد (ت/ ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م) إلى زهير بن أبي سلمى[٢] ونقله حالي بالإحالة عليه:[٣] [من البسيط]

وإن أحسن بيت أنت قائله

بيتٌ يقال إذا أنشدته صَدَقا[٤]

فهذه الشواهد عثرت عليها في مقدمهء شعر وشاعرى بمجرد التصفح على غير هدى. وهناك الكثير من ذلك لمن يتناول الكتاب بدراسة على حدة.

و أما الدكتور وقار أحمد؛ فقد عرض في الباب الرابع من كتابه لمباحث «نقد الشعر» وترجمة مؤلفه قدامة بن جعفر (ت/ ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)، كما أورد قبله في الباب الثالث أقوالاً كثيرة للنقاد العرب القدامى في معرض الحديث عن تعريف الشعر وما يتعلق به من مباحث. فأحال على ابن رشيق في كتابه العمدة هذا القول مثلا: «... لا يسمى شعراً حتى يكون وزن وقافية».[٥] كذلك جاء ببيانات كل من الجاحظ (ت/ ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م) وابن خلدون (ت/ ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) والقاضى الجرجاني (ف: ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م) في هذا الصدد.[٦]

١- مقدمهء شعر وشاعرى، ص: ١٠٦

٢- أبو عمر أحمد بن محمد عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ج: ٥، ص: ٣٢٦.

٣- مقدمہء شعر وشاعرى، ص: ١٠٦.

٤- والبيت لا يوجد في ديوان زهير، طبعة دار صادر، بيروت، وإنما نجده عند حسان بن ثابت بتغيير يسير في شطره الأول، أي: موضوعة هناك كلمة «أشعر» مكان «أحسن»، كما أنه توجد الرواية في بعض الأصول هكذا: «وإن أفضل بيت... إلخ». انظر: ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار صادر، بيروت، بدون سنة، ص: ١٦٩، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج: ٥، ص: ٢٧٠ و ٣٢٦.

٥- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق وتعليق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط: ٤، ١٩٧٢م، ج: ١، ص: ١٥١.

٦- معروضى تنقيد، ص: ٧٩-٨١

وهناك آخرون أمثال المولوي عبدالرحمن في مرآة الشعر،[1] والعلامة محمد إقبال (الشاعر المفكر) في عديد من مقالاته وفي شعره كذلك، بحيث تتضح من خلاله نظرته إلى الفن، تلك التي أفاد فيها من القرآن وأقوال النبي ﷺ.[2] وأما المولوي عبدالرحمن فقد تحدث في مولفه عن الشعر وما يتصل به من مباحث تنظيرية مختلفة، كما جاء بشواهد من كلام العرب شعراً ونثراً إلى جانب إيراده أمثلة فارسية وأردية.

وإلى هنا نختم هذا البحث، راجين أن نتبعه ببحث آخر امتداداً لبيان هذه الصلات والأواصر المشتركة بين العربية والأردية، ولكن في حقل معيّن هو «البلاغة». وعلى كلٍ، فهذه نظرة – و إن كانت غير شاملة – على ما بين اللغتين من وشائج متينة وعلاقات وثيقة على الصعيدين اللغوي والأدبي، وأرجو أن أكون قد وُفقت إلى تقديمها للقراء، علماً بأنه من الصعوبة بمكان في مثل هذه الدراسات الإحاطة بالموضوع، كما أنه ليس من السهل عرض كل ما يعثر عليه الباحث وما يقابله حتى في مطالعاته المحدودة؛ بالنظر إلى اتساع الموضوع والمادة المتاحة المتوفرة حول ذلك. فذلكم غيض من فيض، كما يقولون، إن أفاد شيئاً فمن توفيقه تعالى اسمه وجل شأنه، وإن لوحظ عليه خطأ– أياً كان – فالرجاء تصويبه وتسديد خُطى كاتب الباحث، والكمال لله وحده!

١– منشور بمطبعة حيدر برقي پريس في دلهي عام ١٩٢٦.

٢– انظر: إنعام الحق غازي «نظرة العلامة محمد إقبال إلى الفن»، مجلة الدراسات الإسلامية، ج: ٣٢، ع: ٤، ربيع الآخر– جمادى الآخرة ١٤١٧هـ/ أكتوبر– ديسمبر ١٩٩٦م، ص: ٦٧–٨٢.

تأثير الثقافة العربية في الثقافة الباكستانية [١]

الدكتور مقيت جاويد

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، جامعة بنجاب، لاهور

تمهيد:

إن الإنسان حيوان ثقافي، كما أنه حيوان اجتماعي، ولايكون من السهل تعريف سلوكه إلا إذا رُؤي من كلا المنظورين: الثقافي والاجتماعي، فما هي الثقافة التي تكسبه صفات وخواص مميزة تنعكس في فكره وأعماله، كما أن لها الفضل فيما بلغ إليه من مستوى اجتماعي وحضاري. ولذلك تعد الثقافة عنصراً مهماً من عناصر التراث الاجتماعي، وبجانب آخر، يرى عدد من علماء الاجتماع بأن الثقافة هي أبرز العوامل فيما يقع من التغير في المجتمع الإنساني. وإذا كان التغير في المجتمعات الإنسانية ناتجاً عن تأثير عديد من العوامل، كالعوامل الطبيعية، والبيولوجية، والديموغرافية، فإن تأثير العامل الثقافي يفوق العوامل الأخرى في هذا التغير الاجتماعي.[٢]

ثم إذا اختلطت ثقافتان في قطعة أرضية لمدة يصعب لهما أن تبقيا في انعزال، ليس لهما إلا أن تؤثر كل واحدة منهما على الأخرى تأثيراً تبادلياً مستمراً، وتتفاوت درجة التأثّر والتأثير بتفاوت درجة ومدة الاختلاط بينهما. هذا إذا كانت الثقافتان كلتاهما

١- نُشر هذا البحث في مجلة الأضواء، العدد: ٣٣، المجلد: ٢٥، ٢٠١٠م

٢- انظر: عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص:٣١-٣٢

متساويتين، أما إذا كانت إحداهما أفضل من الأخرى سياسياً أو اجتماعياً أو دينياً؛ كأن تكون مثلاً ثقافة قوم فاتحين والأخرى ثقافة قوم مفتوحين، فلابد أن تكون ثقافة القوم الغالبين أقوى تأثيراً من ثقافة القوم المغلوبين، وهذا هو ما يرى ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع في الإسلام حيث يقول:

-«إن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده».[١]

وفي هذه الخلفية؛ نرى أن العرب لم يتأثروا - عكس ما كان يُتوقع منهم لقلة عددهم وشدة اختلاطهم بأهل باكستان مباشرة لمدة أربعة قرون تقريباً - بالباكستانيين إلا قليلاً، وذلك أيضاً مراعاة لظروف المناخ والاجتماع، وأما ما أثروا فيهم في صورة الدين واللغة والأدب والعادات والتقاليد والمراسيم والفنون الجميلة فهو أكثر بكثير.[٢]

تسرّب الثقافة العربية إلى باكستان :

قد وصلت الثقافة العربية في باكستان الحالية بطريق منظم مع الجيش العربي الذي فتح المناطق الممتدة من مكران في إقليم بلوجستان إلى أقصى غاية الحدود الباكستانية بقيادة البطل الشاب محمد بن القاسم الثقفي في سنة ٩٢ هجرية،[٣] وأسس أول دولة عربية في هذه البقعة من الأرض.

ويجدر بالذكر هنا أن محمد بن القاسم وأصحابه ليسوا بأول العرب الذين وطأوا هذه الأرض، بل مازال القواد العرب يقومون بشن الغارات منذ سنة ١٥ هجرية في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه، وتكررت مثل هذه المناوات في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه، وفي عهد الخليفة علي رضي الله عنه.[٤]

أما الحملة المنظمة الموجهة إلى مناطق باكستان الحالية بهدف إخضاع الملك السندي داهر وإنشاء دولة عربية إسلامية هناك، فقد قام بها ابن القاسم الثقفي، بأمر الحجاج ابن يوسف حاكم العراق والولايات الشرقية، بجيش مكون من ستة آلاف من الفرسان

١- انظر للتفصيل:ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون، ص: ٨٦-٩١

٢- الكوفي، علي بن حامد ، فتح نامه المعروف بـ" جج نامه" (في الأردية: أختر رضوي) ص: ١٣١

٣- انظر: الكوفي علي بن حمد، ص ٩٥-١٠٠ والبلاذري،أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، ج ٣، ص: ٥٣٠-٥٣١

٤- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص: ١٨١-١٨٢

من أهل العراق والشام بخيولهم، وستة آلاف من المشاة من أهل إيران والعرب، ومعهم ثلاثة آلاف من الجمال. وكان السبب العاجل لهذه الإغارة هو – كما يبدو – «حادثة الديبل». وتفصيل ذلك أن جماعة من اللصوص السنديين قد خرجوا على السفن المارة بالقرب من ميناء الديبل (قرب كراتشي اليوم) التي تحمل الحُجاج والتجار العرب والنسوة العربيات، ونهبوا الأموال كما أخذوا المسلمات ومن معهن من الرجال إلى داخل مدينة الديبل، وبعد أن يئس الحَجاج من أن يحل المشكلة بطريقة دبلوماسية لجفاف وطغيان الملك السندي، رأى أن يحلها على صعيد عسكري، وذلك بإرسال جيش قوي مزود بكل مايحتاج إليه من الأسلحة والمؤن.[١]

لكن الغارات العربية المتواترة عبر السنين تدل على أن العرب ظلوا يفكرون منذ ظهور الإسلام في ضمّ هذه المناطق إلى مملكتهم العربية الإسلامية، وأنهم أرادوا أن ينهضوا بها من جميع النواحي الدينية والفكرية والعلمية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فظهر أن لإغاراتهم أسباباً أخرى غير حادثة الديبل، وفيما يلي نذكر أهمها:

(أ) السبب الديني:

للسبب الديني ناحيتان:

الأولى: هي أن الإسلام دين الدعوة والتبليغ، فهو بطبيعته وفطرته لم يدع طوال تاريخه الطويل أي طرف وزاوية من زوايا العالم الإنساني إلا وقد وصل إليها وبلغها دعوة الله ورسوله ﷺ. وفي هذه الخلفية لا يبدو توصل الجنود العرب في باكستان إلا لتوسعة رقعة الدولة الإسلامية، ونشر دينها في تلك البلاد.

الثانية: قد تدهورت الأحوال المذهبية في هذه البقعة بسبب الصراع الرهيب بين المذهبين البرهمي والبوذي. أما عن سبب الصراع، فذلك أن البراهمة الذين قسموا الشعب الهندوكي إلى أربع طبقات، الثلاثة منها مفضلة محببة، والرابعة منبوذة محتقرة، قد طردوا الكثيرين من البوذيين من وسط بلاد الهند، فانتشروا في الجنوب والغرب، وخاصة في بلاد السند، وجعلوا يتمنون أن تُتاح لهم فرصة ليتخلصوا من المظالم المذهبية والطبقية، ويتمتعوا بالحرية الدينية والفكرية.[٢]

---

١ – انظر: الكوفي، جج نامه، ص: ١٣٢–١٣٨.

٢ – الطرازي، عبدالله الدكتور، موسوعة التاريخ الإسلامي لحضارة بلاد السند والبنجاب، ج ١، ص:٩٤–١٠٢

(ب) السبب الثقافي والاجتماعي:

إن الأوضاع الثقافية والاجتماعية التي خلّفتها البراهمة في مناطق باكستان قبل الفتح العربي لها ليست بأحسن حالاً من الأوضاع الدينية، قد خمدت الثقافة الهندوكية، واضمحلت حضارتهم، وانحطت معنوياتهم، كما امتد الضعف إلى العقيدة والأخلاق، بالإضافة إلى تلك الإهانات والاحتقار التي انصبت على الطبقات المنحطة. يقول مؤرخ هندي كاشفاً عن هذه الحقيقة:

«ظلت بلاد الهند بعامة في مأمن من الغزو الخارجي بعد أن خفت وطأة «الهون»، وأدى هذا الأمن من التهديد الخارجي إلى ضعف الروح القومية وفشل الروح المحاربة، وعاشت الهند تتجرع كأس العزلة والانزواء، فقد قطعت علاقتها بالصين بسبب تطور الأمور في آسيا الوسطى، وسيطرت «سيلان» على مضيق «مالته»، وتوقفت الأمة الهندية عن النمو، واضمحلت الحضارة بسبب الافتقار إلى الدماء الجديدة والاحتكاك بالحضارات الأخرى، وأصيب المجتمع بالجمود.[١]

(ج) السبب السياسي:

أما السبب السياسي، فله ثلاث نواحٍ كبيرة، وهي:

أولاً: إن العرب، منذ خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه، كانوا يبغون تأسيس دعائم حكمهم على سواحل السند والهند لكي يمدوا نفوذهم السياسي إلى هذه القطعة الأرضية أيضاً.

ثانياً: كان النظام السياسي في بلاد السند والهند موسوماً بالبعثرة والفرقة والانقسام، فقد انقسمت كل البلاد إلى إمارات يحارب بعضها بعضاً.

ثالثاً: قد لجأ بعض العرب المتمردين ضد الدولة الأموية، مثل محمد ومعاوية ابني الحارث العلافي وطائفتهما، إلى ملك السند داهر، وبايعوه بالطاعة خوفاً من بطش الحجاج.[٢]

١- حسن أحمد، الدكتور، الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحيْن العربي والتركي، ص: ١٧٥

٢- انظر للتفصيل : الطرازي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج ١، ص: ١٦٠-١٦١

(د) السبب الاقتصادي:

بمنع ثم نهب السفن التجارية العربية المارة بميناء الديبل، أبلغت جماعة اللصوص رسالة أنهم سيمثلون خطراً للحرية الاقتصادية العربية التي يتمتع بها العرب منذ مئات السنين. وهذا ما لا تستطيع حقاً أي قوة كبرى عالمية أن تتحمله دون أن تحرك ساكناً.

مناطق باكستان تحت الحكم العربي المباشر:

ابتدأ الحكم المنظّم المباشر للعرب في باكستان بتولّي محمد بن القاسم أمور بلاد السند، وذلك في سنة ٩٢ هجرية، ثم ظل العرب يحكمون البلاد حتى أسقط السلطان محمود الغزنوي دولتهم في المنصورة (السند) سنة ٤١٦ هجرية، فهذه الثلاثمائة وخمسة وعشرون عاما تقريباً من الحكم هي ما نسميه «الحكم العربي المباشر».

ولمزيد من التفصيل يمكن لنا أن نقسم هذا العصر إلى عصرين:

(١) الحكم العربي في العصر الأموي:

يبتدئ هذا الدور بهجوم ابن القاسم على باكستان، وينتهي بانتهاء الخلافة الأموية في سنة ١٣٢ الهجرية، وقد ورد خلالها ١١ والياً من قبل الحكومة المركزية. وهم مع ذكر مدة ولايتهم:

١ـ محمد بن القاسم الثقفي (من سنة ٩٢ هـ إلى سنة ٩٦هـ).

٢ـ يزيد بن أبي كبشة السكسكي (من سنة ٩٦ إلى سنة ٩٧هـ).

٣ـ حبيب بن المهلّب (من سنة ٩٧ هـ إلى سنة ٩٩هـ).

٤ـ عمرو بن مسلم الباهلي (من سنة ٩٩ هـ إلى سنة ١٠١هـ).

٥ـ هلال بن أحور التميمي (من سنة ١٠١هـ إلى سنة ١٠٦ هـ).

٦ـ الجنيد بن عبدالرحمن المري (من سنة ١٠٦ إلى سنة ١١١هـ).

٧ـ تميم بن زيد العتبي (من سنة ١١١هـ إلى سنة ١١٢هـ).

٨ـ الحكم بن عوانة الكلبي (من سنة ١١٢ هـ إلى سنة ١٢١هـ).

٩ـ عمر بن محمد بن القاسم الثقفي (من سنة ١٢١هـ إلى سنة ١٢٥هـ).

١٠ـ يزيد بن عرار الكلبي (من سنة ١٢٦ إلى سنة ١٢٧هـ).

١١ـ منصور بن جمهور الكلبي (من سنة ١٢٩ إلى سنة ١٣٢هـ).

(٢) الحكم العربي في العصر العباسي:

ابتدأ هذا العصر بجلوس الخلفاء العباسيين على عرش الحكومة في سنة ١٣٢ هجرية، وانتهى بزوال الدولة الشيعية العربية على يد محمود الغزنوي في سنة ٤١٦ هجرية بالضبط. وقد وردت أسماء ٤٠ والياً تولوا الأمور قبل سيطرة الشيعة على المنصورة والملتان وهم:

١ـ مفلس السري العبدي (من سنة ١٣٢هـ إلى سنة ١٣٤هـ).

٢ـ موسى بن كعب التميمي (من سنة ١٣٤هـ إلى سنة ١٤١هـ).

٣ـ عُيينة بن موسى التميمي (من سنة ١٤١هـ إلى سنة ١٤٢هـ).

٤ـ عمر بن حفص العتكي (من سنة ١٤٢ إلى سنة ١٥١هـ).

٥ـ هشام بن عمرو التغلبي (من سنة ١٥١ إلى سنة ١٥٧هـ).

٦ـ معبد بن الخليل التميمي (من سنة ١٥٧ هـ إلى سنة ١٥٩هـ).

٧ـ روح بن حاتم (من سنة ١٥٩ هـ إلى سنة ١٥٩ هـ).

٨ـ بسطام بن عمرو التغلبي (من سنة ١٥٩ هـ إلى سنة ١٦٠هـ).

٩ـ روح بن حاتم للمرة الثانية (من سنة ١٦١هـ إلى سنة ١٦١هـ).

١٠ـ نصر بن محمد الخزاعي (من سنة ١٦١ هـ إلى سنة ١٦١هـ).

١١ـ محمد بن سليمان الهاشمي (من سنة ١٦١هـ إلى سنة ١٦١هـ).

١٢ـ عبدالملك المسمعي (من سنة ١٦١هـ إلى سنة ١٦١هـ).

١٣ـ نصر بن محمد الخزاعي للمرة الثانية (من سنة ١٦١هـ إلى سنة ١٦١هـ).

١٤ـ زبير بن عباس (من سنة ١٦٢هـ إلى سنة ١٦٢هـ).

١٥ـ مصبح بن عمرو التغلبي (من سنة ١٦٢هـ إلى سنة ١٦٢هـ).

١٦ـ نصر بن محمد الخزاعي للمرة الثالثة (من سنة ١٦٢هـ إلى سنة ١٦٤هـ).

١٧ـ سطيح بن عمرو التغلبي (من سنة ١٦٤هـ إلى سنة ١٦٤هـ).

١٨ـ الليث بن طريف (من سنة ١٦٤ هـ إلى سنة ١٧٠هـ).

١٩ـ سالم بن التونسي (من سنة ١٧١هـ إلى سنة ١٧٤هـ).

٢٠ـ إسحاق بن سليمان الهاشمي (من سنة ١٧٤هـ إلى سنة ١٧٤هـ).

٢١ـ طيفور بن عبدالله الحميري (من سنة ١٧٤هـ إلى سنة ١٧٥).

٢٢ـ جابر بن الأشعث الطائي (من سنة ١٧٥هـ إلى سنة ١٧٦هـ).

٢٣ـ كثير بن مسلم بن قتيبة (من سنة ١٧٦هـ إلى سنة ١٧٩هـ).
٢٤ـ محمد بن عدي التغلبي (من سنة ١٧٩ هـ إلى سنة ١٨١هـ).
٢٥ـ عبدالرحمن (من سنة ١٨١ هـ إلى سنة ١٨٢هـ).
٢٦ـ أيوب بن جعفر (من سنة ١٨٢هـ إلى سنة ١٨٣هـ).
٢٧ـ المغيرة بن يزيد المهلبي (من سنة ١٨٤ هـ إلى سنة ١٨٥هـ).
٢٨ـ داود بن يزيد المهلبي (من سنة ١٨٥هـ إلى سنة ٢٠٥هـ).
٢٩ـ بشر بن داؤد المهلبي (من سنة ٢٠٥ إلى سنة ٢١٢هـ).
٣٠ـ حاجب بن صالح (من سنة ٢١٢هـ إلى سنة ٢١٢هـ).
٣١ـ غسان بن عباد المهلبي (من سنة ٢١٣هـ إلى سنة ٢١٦هـ).
٣٢ـ موسى بن يحيى البرمكي (من سنة ٢١٦هـ إلى سنة ٢٢١هـ).
٣٣ـ عمران بن موسى البرمكي (من سنة ٢٢١ إلى سنة ٢٢٦هـ).
٣٤ـ عنبة بن إسحاق الضبي (من سنة ٢٢٦هـ إلى سنة ٢٣٦هـ).
٣٥ـ هارون بن خالد المروزي (من سنة ٢٣٦هـ إلى سنة ٢٤٠هـ).
٣٦ـ عمر بن عبدالعزيز الهباري (من سنة ٢٤٠ هـ إلى سنة ٢٧٠هـ).
٣٧ـ عبدالله بن عمر الهباري (من سنة ٢٧٠هـ إلى سنة ٣٠١هـ).
٣٨ـ عمر بن عبدالله بن الهباري (من سنة ٣٠٢هـ إلى سنة ٣٣٠هـ).
٣٩ـ محمد بن عمر بن عمر الهباري (ما ذكرت مدة ولايته في كتب التأريخ).
٤٠ـ على بن عمر الهباري (استمرت ولايته حتى سنة ٣٧٥هـ).
٤١ـ الحكم الشيعي العربي في الملتان (من سنة ٣٧٥هـ إلى سنة ٤٠١هـ).
٤٢ـ الحكم الشيعي العربي في المنصورة (من سنة ٤٠١هـ إلى سنة ٤١٦هـ).

تأثير الثقافة العربية في ثقافة باكستان الحالية:

وقبل أن نذكر المظاهر التي فيها تجلت الثقافة العربية في أرض باكستان، يجدر بنا أن نبيّن هنا أن لتأثير الثقافة العربية في ثقافاتنا المحلية مرحلتين، ففي المرحلة الأولى، وهي مرحلة الحكم العربي المباشر الممتد إلى أكثر من ثلاثة قرون من الزمن، نرى أن الثقافة العربية، تحت ظل الدين الإسلامي واللغة العربية، قد أنشات مجتمعاً جديداً من دمنة المجتمع السندي المتخلّف على طراز مجتمع عربي متقدم. لم تترك ثقافة العرب أي ناحية من نواحي المجتمع المحلي إلا وقد أثرت فيها تأثيراً غيّر صورته، وجعله كأنه خُلق من جديد.

يقول ممتاز أحمد بتهان؛ ملقياً الضوء على هذه الحقيقة:

«كان (سكان السند) تثقفوا ثقافة إسلامية في منطقتهم منذ المراحل الابتدائية من حكم العرب، واتخذوا تقاليد العرب وعاداتهم وملابسهم، حتى لغتهم التي كانت نالت مكانة عالمية في العالم المثقف في العصور الوسطى. كانت ملابس سكان السند تشابه ملابس العراق وماجاورها من بلدان إسلامية».[١]

أما المرحلة الثانية، وهي مرحلة ما بعد حكم العرب المباشر وحلول الدولة الغزنوية على أنقاض الدولة العربية، فنشاهد أن جميع مناطق باكستان قد اصطبغت بصبغة الثقافة الفارسية المدعومة من قبل البلاط الغزنوي، لكن لم تنتهِ ثقافة العرب، التي بدينها ولغتها وأدبها خاصة مازالت ولا تزال تؤثر قليلاً أو كثيرا في المجتمع العربي.[٢]

والسبب الأصيل لبقاء الثقافة العربية في هذه المرحلة هو أن عدداً لا يقل من أهل العلم والأدب والشرف من بلاد ما وراء النهر وخراسان؛ الذين ينتمون إلى أصل عربي، أقاموا في مناطق باكستان، وتوارثوا العلم والنبوغ والمناصب الدينية نسلاً بعد نسل، وكثر عدد هذه الأسر والقبائل في عصر السلطان شمس الدين التمش، والسلطان غياث الدين بلبن، والسلطان علاء الدين الخلجي.[٣]

وإذا أحصينا الأسر والقبائل الباكستانية التي تنتمي – أو تدّعي بأنها تنتمي – إلى أصل عربي، نجد عدد أفرادها ملايين. ونخص بالذكر منها قوم البلوص مع قبائله العديدة وهم ملايين عدداً، ويسمى إقليم واحد من باكستان باسمه وهو «بلوجستان»، وأسرة السادات، وهم أولاد فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ وزوجة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتتفرع منها، على سبيل المثال، أُسر: حسني، وحسيني، وجعفري، وكاظمي، وزيدي، ونقوي، وجيلاني، وكرديزي، وبخاري، ومشهدي، وشيرازي، وغيرهم، وأسرة قريش، وهم أولاً قريش غير السادات، وتتشعب منهم أسر: صديقي، وعلوي، وفاروقي، وعثماني، وعباسي، وهاشمي، وغيرهم.

١- فياض محمود سيد وعبدالقيوم بروفيسور، تاريخ أدبياتِ مسلمانانِ پاكستان وهند، ج ١، ص: ٣٦-٣٧.

٢- انظر: الندوي رضوان علي، الدكتور، اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية، ص: ٤٢.

٣- نفس المرجع، ص: ٤٣.

مظاهر الثقافة العربية في باكستان:

(١) انتشار الإسلام في أرض باكستان

إن وصول ثم انتشار الدين الإسلامي في مناطق باكستان يعد من أجلّ وأهمّ مظاهر الثقافة التي جاء بها العرب إلينا، وكانت لهذه العملية مرحلتان:

(أ) المرحلة التمهيدية:

بدأت هذه المرحلة من سنة ١٥ هجرية، حينما هَجَمَ الجيش العربي الإسلامي لأوَّل مرَّة على منطقة مكران، وانتهى بالفتح العربي المنظّم للسند والبنجاب في سنة ٩٢ هجرية على يد ابن القاسم، وفي هذا الدور بقي تأثير الإسلام في منطقة مكران، ولم يتجاوز إلى المناطق الداخلية السندية، وسبب ذلك يرجع إلى أن العرب كانوا لايفضّلون الإقامة في السند وسواحله لخطورة القراصنة والطغاة من قوم الزط وقوم الميد.(١)

(ب) المرحلة المنظّمة:

وبفتح العرب لبلاد السند بدأ عهد الإسلام، إذ إنه مامضت سنوات عديدة حتى اعتنق الإسلام عدد كبير من السكان المحليين، ودليل ذلك أن عدد الجيش العربي الذي هجم على الملتان كان خمسين ألفاً من المشاة والفرسان، وتسعة أعشارهم من المحليين.(٢)

وكان لهذه السرعة المحيّرة التي بها وصل الإسلام إلى قلوب الناس أسباب وهي:

أولاً: كانت هذه المنطقة في الوضع الفوضوي ديناً وفكراً، كما كان أصحاب الديانة البرهمية لا يضيّعون أي فرصة لقمع أصحاب الديانات الأخرى، فحينما دعاهم الإسلام إلى الحرية والمساواة في سائر المجالات لم يتأخر المظلومون في قبوله.

ثانياً: قد وجهت الحكومة العربية إلى الشعب المحلي الدعوة إلى الإسلام، فدخل السكان المحليون الإسلام في صورة الجماعات والقبائل، لا بالقوة وإنما عن يقين وإيمان.

ثالثاً: اهتم العرب ببناء المساجد في كل مدينة كبيرة يفتحونها، كما كانوا يعيّنون أئمة وقضاة لإدارة الشؤون التعليمية والدينية، ولاشك في أنه كان لتلك المساجد دور كبير في جذب انتباه السنديين إلى الإسلام.

١- انظر: الطرازي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج ١، ص: ٣٤٢-٣٤٣.

٢- نفس المرجع، ج ١، ص: ٢٤٩-٢٥٠.

رابعاً: إن الامتزاج والاجتماع في الدم بين العرب وبين السكان المحليين قد تسبب كثيراً في زيادة انتشار الإسلام في مناطق باكستان، وذلك أن العرب المسلمين قد تزوجوا بنساء محليات وأنجبوا منهن أولاداً كثيرين. ومن القبائل العربية التي اختارت الإقامة هنا بعد الفتح العربي تشتهر بالذكر:

قبيلة بني بكر بن وائل، وقبيلة بني عبدالقيس، وقبيلة بني تميم، وقبيلة بني الأزد، وقبيلة بني ناجية، وقبيلة بني ثقيف، وقبيلة بني حمير، وقبيلة بني كنده، وقبيلة بني أنمار، وقبيلة بني مرة، وقبيلة بني مهرة، وقبيلة بني سهم، وقبيلة بني نزار، وقبيلة بني مضر.[١]

(٢) ذيوع اللغة العربية في باكستان:

إن لذيوع اللغة العربية في باكستان جوانب عديدة وهي:

أولاً: احتلت هذه اللغة مكانة فائقة وسامية عبر العصور. كانت هذه اللغة هي اللغة الرسمية في دوائر الحكومة العربية في جميع المدة التي حكم فيها العرب باكستان، ولاسيما المناطق التي ظلت تحت سيطرة دولة «المنصورة» العربية. وكذلك كانت تُفهم في أسواق السند، كما تحدّث عنها الرحالة والجغرافيون مثل المسعودي وابن حوقل والأصطخري الذين زاروا المنطقة في القرن الرابع الهجري.[٢]

وبعد انتهاء الحكم العربي المباشر في سنة ٤١٦هـ، أخذت اللغة العربية تفقد مكانتها الرسمية والإدارية لاصطباغ جميع المناطق بصبغة الثقافة الفارسية، لكن هذا الانقلاب والتغير الثقافي لم ينهب اللغة العربية أهميتها العلمية والدينية، فظلت تُستخدم في مجالات العلوم الدينية. ولذلك نرى أنه قد برز من مناطق باكستان الحالية فحول المحدثين والمفسرين وعلماء العلوم العقلية، الذين صاورا مأوى الناس من بلاد العرب وغيرها. ففي العصرين الغزنوي والغوري نخص بالذكر منهم: رابعة بنت كعب القزداري وعمر بن إسحاق اللاهوري وعلي بن عمر اللاهوري وعلي بن عبدالله السندي والحسن بن علي السندي ومسعود بن سعد بن سلمان اللاهوري ومحمد بن إسماعيل اللاهوري ومحمد بن محمد اللاهوري ونصر الدين بن أحمد السندي وعبدالصمد بن عبدالرحمن اللاهوري ومنهاج الدين عثمان بن إبراهيم اللاهوري. وفي عصر سلاطين دهلي نبغ

١- مبارك بوري قاضي اطهر، خلافت راشده اور هندوستان (في الأردية)، ص: ٢٤

٢- لبياناتهم المفصلة انظر: الطرازي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج ١، ص: ٤٠٥-٤٠٦

منهم: الحسن بن محمد الصغاني اللاهوري وأبوبكر إسحاق بن تاج الدين الملتاني وأمير كبير سيد علي الحمداني الكشميري وسيد بن سيد جمال الملتاني وبدر تاج اللاهوري وسيد محمد الحمداني.[١] وفي العصر المغولي يجدر بالذكر هنا: عبدالحكيم السيالكوتي وابنه عبدالله ومحمد عابد اللاهوري وتقي بن محمد اللاهوري ورحمت الله بن عبدالله السندي وعنايت الله القادري ومحمد هاشم بن عبدالغفور وملا نور محمد الكشميري ومحمد صديق اللاهوري.

وفي عصر الاحتلال الاستعماري برز منهم: عبدالعزيز بن أحمد الملتاني وفيض الحسن السهارنبوري والقاضي طلا محمد البشاوري والمفتي عبدالله التونكي ومولانا أصغر علي روحي والدكتور المولوي محمد شفيع ومولانا عبدالعزيز الميمني.[٢]

أما اللغة العربية بعد إنشاء باكستان؛ فكان من المتوقع بل من المتأكد أن تحتل مكانة أسمى وأولى من بين اللغات في بلاد باكستان التي قامت باسم الإسلام، لكن حدث العكس، فبدل أن تفوز هذه اللغة بدرجة محسودة عليها، مازالت - وربما لاتزال - تناضل اللغات الأخرى وخاصة الإنجليزية لاستبقاء هويتها وحياتها.

ثانياً: قد أثرت اللغة العربية في جميع اللغات الباكستانية تأثيراً بيّناً، حتى إننا نستطيع أن نقول بأنه قد أصبح من غير الممكن أن يكتب الكاتب أو ينظم الشاعر بهذه اللغات، مثل الأردية والبنجابية والسندية والبشتوية والبلوتشية، بحيث تكون كتابته أو شعره خالياً من الألفاظ العربية مفرداتها ومصطلحاتها. ويوضح مدى تأثّر اللغات الباكستانية باللغة العربية أنه لم يحدد تأثرها بها في مجال انتقال المفردات فقط، بل امتد إلى حقل القواعد وكتابة الخط أيضاً، وهو شيء نادر الحدوث بين اللغات إلا بعد صراع طويل بين اللغتين.

مظاهر تأثير اللغة العربية في اللغات الباكستانية:

أما مظاهر تأثير اللغة العربية في اللغات الباكستانية فمنها:

(أ) يُستخدم معظم الأبجدية العربية في أبجديات جميع اللغات الباكستانية، ففي اللغتين الأردية والبنجابية اللتين يصل عدد حروف الكتابة لكل واحدة منهما إلى واحد وخمسين حرفاً، يوجد فيهما جميع الحروف الهجائية العربية الثمانية والعشرين، وكذلك

١- نفس المرجع.

٢- نفس المرجع.

الأبجدية السندية التي يصل عدد حروفها الهجائية إلى اثنين وخمسين حرفاً، والأبجدية البشتوية التي يصل عدد حروفها إلى أربعين حرفاً، يوجد فيهما جميع الحروف الهجائية العربية. أما الأبجدية البلوتشية التي لها ثلاثون حرفاً فيُستخدم فيها واحد وعشرون حرفاً من الحروف الهجائية العربية.

(ب) يُستخدم عدد لا يُحصى من المفردات والمركبات والجمل العربية في اللغات الباكستانية. فقد اقترضت اللغات الباكستانية من اللغة العربية من المفردات أسماء وأفعالاً وحروفاً، بما يمثل من أربعين إلى خمسين في المئة. فهذه المفردات المقترضة من العربية تتصل بجميع مجالات الحياة في باكستان، من أمور الدولة والصناعات والحِرف وآداب المجتمع والطعام والشراب واللباس والألوان والأعياد والعادات والتقاليد والفنون الجميلة، كما أنها تحتوي على معظم أنواع الأسماء الجامدة والمشتقة مثل أسماء الفاعل والمفعول والتفضيل والآلة والزمان والمكان والصفة المشبهة والمبالغة، والأسماء المفردة وصيغ المثنى والجموع، ومن الجموع السالم والمكسر بأوزانهما المتعددة، وعلى أنواع الفعل مثل الفعل الماضي والمضارع، وعلى أنواع الحروف مثل حروف العطف والجر والنداء، فهذه الأنواع كلها مستخدمة في اللغات الباكستانية.[١]

(ج) تُذكر في مؤلفات اللغات الباكستانية الشعرية والنثرية آيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأمثال والأشعار العربية.[٢]

(د) وقد تُسمّى الكتب المكتوبة في هذه اللغات بأسماء عربية. قد يعتقد بعض الناس عند سماع هذه الأسماء أول مرة أنها أسماء كتب عربية، إلا أنه بمجرد قراءة ما بداخلها يعرف أنها مؤلفة بلغة أخرى غير العربية.

(٣) تأثير الأدب العربي في الآداب الباكستانية:

حينما اتصل العرب بعد الفتح بشعوب مختلفة مثل الفرس والهند واليونان، تأثرت آدابهم بالثقافة العربية وآدابها تأثّراً ملموساً، وتغيرت حياتهم الأدبية. فلما ظهر الأدب الأردي، جعل يحتذي الأدب العربي مباشرة، وعن طريق الأدب الفارسي، في موضوعاته وأساليبه، كما استعار منه معاني ومفاهيم ومصطلحات كثيرة، ثم تلته آداب

---

١ – للدراسة المفصلة انظر: إنعام الحق غازي، الاقتراض اللغوي من العربية إلى الأردية (رسالة جامعية)، ص: ٦٩–١٠٢.

٢– يمكن ملاحظتها في: مقبول الهي، اردو مين مستعمل فارسي وعربي ضرب الامثال (في اللغة الأردية).

اللغات الباكستانية الإقليمية. وها نحن نعدد معظم النواحي التي يتضح فيها تأثير الأدب العربي في الأدب الباكستاني:

(أ) تشابه بين العروض العربي والأردي:

تأثّر عروض الآداب الإقليمية الباكستانية عامة، والعروض الأردي خاصة، بالعروض العربي، ولو عن طريق العروض الفارسي. فالعروض العربي والأردي كلاهما يتفقان في نظام التفعيلات وفي بعض عناصرها وفي بعض الزحافات والعلل وفي بعض قواعد التقطيع. أما البحور العربية الشعرية، فالأوزان الغالبة منها في الأردية هي الرمل والهزج والمضارع والمجتث والخفيف والمتقارب.[١]

(ب) تواجد أنواع الشعر العربي في الشعر الباكستاني:

توجد أنواع الشعر العربي في الآداب الإقليمية عامة، وفي الأدب الأردي خاصة. فمنها: القصيدة والقطعة والغزل والتشبيب والمدح والهجو والفخر والرثاء والخمريات والرباعي (وهي مثل الرجز العربي)، ومستزاد وتركيب بند وترجيع بند (وهي مثل الموشحات).[٢]

(ج) تواجد أنواع البلاغة العربية في الأدب الباكستاني:

قد اتخذ شعراء اللغات الباكستانية قوانين ومصطلحات بلاغتهم من البلاغة العربية، فمعظم المحسنات اللفظية والمعنوية في هذه اللغات مأخوذ من البلاغة العربية، مثل تشبيه واستعارة وحقيقت ومجاز وصنائع طباق وتدبيج وإيهام، ومقابلة ولف ونشر وحسن تعليل وتسجيع وسجع وترصيع وموازنة وغيرها.[٣]

(د) المعاني والمفاهيم العربية في الأدب الباكستاني:

وفي الأدب الباكستاني نجد عدداً كبيراً جداً من المعاني والمفاهيم التي وردت فيه من الأدب العربي مباشرة وبواسطة الأدب الفارسي. ويمكن تقسيم هذه المعاني والمفاهيم إلى قسمين: القسم الأول يشتمل على الأمثال التي هي ترجمة الأمثال العربية، أي أنها تشترك في المعنى وتختلف في اللفظ، مثل:

١- انظر للتفصيل: محمد بشير، العروض بين العربية والأردية (رساله جامعية)، ص: ١٧٢.

٢- نفس المرجع، ص: ١٧٤.

٣- انظر: حبيب الحق ندوي، باكستان مين فروغ عربي (باللغة الأدرية)، ص: ١٣٣ وخديجه شجاعت، فن شاعري (اللغة الأردية).

الاحتياج أم الاختراع	ضرورت ایجاد کی ماں ہے
الغريق يتشبث بالحشيش	ڈوبتے کو تنکے کا سہارا
العاقل تكفيه الإشارة	عقلمند کو ایک اشارہ کافی ہے
لكل داء دواء	ہر مرض کی دوا ہے
الشيء بالشيء يُذكر	بات سے بات نکلتی ہے

والقسم الثاني يشتمل على المعاني والمفاهيم التي هي ترجمة أو مأخوذة من الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية أو الآثار العربية، ومن المعاني والمفاهيم التي وردت في الأدب الباكستاني بهذا الطريق نذكر، على سبيل المثال: خروج آدم من الجنة (من القرآن)، والشفقة على الناس (من الحديث).

(هـ) ترجمة القصص والقصائد العربية إلى اللغات الباكستانية:

أُغرم الشعراء الباكستانيون بقصص عربية، فنظموها في لغاتهم. وهذه القصص بعضها قصص دينية كقصة يوسف وزليخا، ومعراج نامه (وقعة الإسراء)، وكربلا نامه (وقعة مقتل الحسين)، وبعضها الآخر قصص غير دينية كقصة ليلى والمجنون، كما تُرجمت قصائد عربية نظماً ونثراً إلى اللغات الباكستانية، وخاصة القصائد التي نُظمت في مدح النبي ﷺ، أشهرها قصائد حسان بن ثابت الصحابي، وقصيدة بانت سعاد لكعب ابن زهير الصحابي، وقصيدة البردة للإمام البوصيري.(١)

(و) شخصيات وأماكن عربية في الأدب الباكستاني:

تحت تأثير الثقافة العربية، وردت في الأدب الباكستاني عن طريق الأدب العربي أسماء شخصيات وأماكن عربية. فمن الشخصيات، على سبيل المثال: محمد وآدم وإبراهيم ونوح ويوسف وعيسى عليهم السلام وأبوبكر وعمر وعثمان وعلي وأبوعبيدة وخالد ابن الوليد رضي الله عنهم وأبو العلاء المعري وقيس ومنصور الحلاج وجبريل وإسرافيل وابن بدرون وإبليس.

ومن الأماكن العربية: الأندلس وبغداد والكوفة والحجاز وجدة ودمشق والعراق ومصر والمدينة والنجف واليمن.(٢)

١- كيان جند، الدكتور، اردو كي نثري داستانيں، ص:٢٥٢-٢٥٣ - وفياض محمود وعبدالقيوم، تاريخ أدبيات، ج ١٣.

٢- للتفصيل انظر: عبدالقدوس قاضي، وإقبال العلامة، كليات إقبال.

(٤) تأثير الثقافة العربية في عادات الباكستانيين:

إن عادات شعب إنتاج بيئته التي يعيش فيها، وتتغير بتغير الأحوال الاجتماعية والثقافية والأوضاع المذهبية والسياسية والاقتصادية والمعيارات الأخلاقية. ولذلك فإن عادات السكان المحليين كانت تأثرت بعادات العرب وثقافتهم حينما وردوا هذه الأرض. وكان تأثير الثقافة العربية في العادات المحلية بطريقتين:

أولاً: قد محت الثقافة العربية كلية العادات المحلية الهمجية والغريبة التي عجزت عن الحفاظ على بقائها إزاءها، كما أنها لم تمحُ بعضاً منها بل أحدثت فيها تغيّرات مناسبة ملائمة. فمن العادات التي مُحيت تماماً بإتيان العرب في أرض باكستان السجود للملوك وعدم ذبح الحيوانات وخاصة البقر وأكل لحومها وإحراق المرأة بزوجها وعدم الختان والاشتراك في حفلات الرقص والطرب، ومن العادات التي عُدّلت وأحدثت فيها تغييرات: طول التعزية والترحيب بالطبول والمزامير واستعمال الحلي وترك اللحى غير المرتبة ووجود عادات دينية وفكرية غريبة.

ثانياً: روّج العرب بعض عادات سلوكهم في مناطق باكستان، ومازال الباكستانيون – ولا يزالون – يراعونها، ومن أهم العادات العربية المروّجة في باكستان:

(أ) النطق بكلمة التوحيد والرسالة:

تجري عادة الإقرار بتوحيد الله ورسالة نبيه ﷺ في اللغة العربية مجرى الدم في جسد كل مسلم باكستاني، ويُسمّى هذا الإقرار باسم «أول كلمة» (الكلمة الأولى) أو «كلمة طيبة» في المصطلح المحلي.

(ب) عادة قراءة القرآن:

–من المعتاد في المجتمع الإسلامي أن يخصص كل مسلم باكستاني ومسلمة باكستانية بعض وقتهما أثناء اليوم لقراءة القرآن الشريف تبركاً وتبرعاً. ثم هذه أيضاً من العادات المعروفة في باكستان أن يبعث بعض الأسر بعض أولادها أو كلهم إلى المساجد أو المدارس الدينية لحفظ القرآن، ويُعد من المفخرات للأسرة أن يوجد فيها حافظ أو حفّاظ للقرآن.

(ج) تسمية الأولاد بأسماء عربية:

ومن العادات المعروفة في جميع باكستان أن تقترح للأبناء والبنات أسماء عربية

توضّح كونهم عبادالله، أو يسمون بأسماء الأنبياء والصحابة والصحابيات ورجال ونساء الدين. فمن أسماء الرجال المعروفة: عبدالله وعبدالرحمن ومحمد وأحمد ومصطفى وموسى وعيسى وإبراهيم ويونس ويوسف وأبوبكر وعمر وعثمان وعلي وعباس وحسن وحسين، وغيرهم. ومن أسماء النساء: أمة السلام وأمة الرشيد وعائشة وخديجة وفاطمة ومريم وزينب ورابعة، وغيرهن.

ثم إن هناك عدداً كبيراً من الناس الذين يختارون لفظة عربية يسمون بها ولدهم مثل: إقبال وشوكت ومشتاق وذاكر وغالب وأسلم وأكرم وأرشد وأفضل للأبناء، وفرحت وطلعت وشمع ونجم ونور وصغرى وكبرى للبنات.

(هـ) انطلاق الألسنة بمحاورات عربية يومية:

إن هناك عدداً من الكلمات العربية، بالإضافة إلى الأذكار المأثورة، دخل في المحاورات اليومية للباكستانيين، وأصبحت جزءاً للغاتهم. ونخص بالذكر منها: ما شاء الله وإن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله والحمد لله وسبحان الله وإنا لله وإنا إليه راجعون وجزاك الله والسلام عليكم وعليكم السلام وغيرها.[1]

(٥) تأثير الثقافة العربية في الأعياد والمناسبات الخاصة في باكستان:

تُعد الأعياد والمناسبات الخاصة وسيلة هامة لمعرفة ثقافة مجتمع ما، لأن بها يعبر المجتمع عن أفراحه وأحزانه. وإذا استعرضنا الأعياد والمناسبات الخاصة نجد فيها كثيراً من ملامح الثقافة العربية. ففي الاحتفال بالعيدين: عيد الفطر وعيد الأضحى، يوجد تشابه كبير بين المجتمعين العربي والباكستاني، مثل تزيين المدن والقرى والأسواق بالأنوار والأعلام الورقية، والصلاة ولبس الأئمة الحلل السوداء ونحر الإبل في عيد الأضحى.

وأما في الاحتفال بمولد النبي ﷺ في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، فيحدث الناس بيئة عربية في كل قرية، فيبنون طرز جبال الحرمين الشريفين، كما يقيمون أشباه غارَيْ حراء وثور، فيزورها الزائرون، وكذلك يبرز بعض الناس، خاصة الشبان، لابسين اللباس العربي الشعبي الذي يُلبس في دول الخليج، ويتجولون في الشوارع والأسواق. ومن المناسبات الخاصة الباكستانية التي تعبر عن تأثير الثقافة العربية الإسلامية فيها: إلقاء الأذان العربي في أذن المولود وتسميته باسم عربي والختان والعقيقة، وافتتاح تعليم

١ - انظر: حسن إبراهيم، الدكتور، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي، ج ٢، ص: ٣٢

الطفل باسم الله وطريقة أداء الصلاة والاحتفال بختم القرآن أو ما يسمى بـ«مرسم آمين»[1] وعقد الزواج بخطبة عربية وتلقين العروس والعريس بكلمات عربية وتوزيع التمور بعد النكاح وعقد حفلة الوليمة والدعاء باللغة العربية للميت عند الدفن وبعده.

(٦) تأثير الثقافة العربية في الملابس والأطعمة الباكستانية:

وبالإضافة إلى تقرير الآداب الإسلامية العربية في الطعام واللباس، يوجد تشابه كبير بين الشعبين في حقل الملابس الملبوسة والأطعمة المطعومة، فمن الملابس التي يلاحظ فيها التأثير: الإزار والبرقع والجوارب والقميص. أما التأثير في الأطعمة فأمثلتها : الهريسة والكباب والكفتة والثريد والشعيرية وغيرها.

(٧) تأثير الثقافة العربية في الفنون الجميلة الباكستانية:

لم يهتم العرب الأولون بتطوير الفنون الجميلة مثل العمارة والتصوير والموسيقى في باكستان، ولذلك لا يبدو أي تأثير مباشر للثقافة العربية في هذه الفنون الجميلة المحلية، لكن حينما فتح العرب معظم البلاد الشرقية والغربية، واختلطوا بثقافات متنوعة، بدأوا يطورون الفنون في كل منطقة فتحوها وفرضوا عليها قواعدهم، فتأثرت هذه المناطق بما أنتجه العرب من الفنون؛ ولو بطريق غير مباشر. ففي فن العمارة؛ نجد هناك بعض الخصائص والعناصر التي تُنبئنا عن تأثّر الثقافة المحلية بالعمارة العربية الإسلامية المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي. فمن هذه الخصائص: تغطية الجدران بالفسيفساء والبلاطات الخزفية ذات الألوان المختلفة، وكثرة استخدام مايشبه جواسق متفاوتة الأحجام تغطيها قبيبات، والفصوص المقعرة الدقيقة التي تحيط بحافات العقود المدببة.[2]

أما العناصر العربية المعمارية الرئيسة التي نجدها في العمارة الباكستانية، فمنها: المحراب والمئذنة والقبة والعقود.[3]

١- «رسم آمين» هو عادة ثقافية دينية منتشرة في باكستان. عندما ينهي الطفل قراءة القرآن الكريم تقيم أسرته حفل الفرح بهذه المناسبة، ويشارك فيه الأقرباء والأصدقاء ويهنئون الطفل على ذلك، وأحياناً يقدمون له الهدايا أيضاً. (المحرر)

٢- فريد محمود شافعي، العمارة العربية الإسلامية، ص: ٦٠٥.

٣- نفس المرجع.

وفي فن التصوير؛ بلغ تأثير مدرسة التصوير العربية في بغداد إلى التصوير الباكستاني عن طريق المدرسة المغولية في إيران؛ التي كانت تتبع المدرسة العربية ببغداد في مميزاتها الرئيسة في القرن الثالث عشر الميلادي، ثم عن طريق المدرسة التيمورية التي ظهرت في القرن الرابع عشر الميلادي، والتي كانت تقوم على أساس الجمع بين المدرستين القديمتين المدرسة العربية والمدرسة المغولية.(١)

وفي القرن السادس عشر الميلادي، لما ورد المغول باكستان أتوا معهم بجميع أساليب التصوير الراقية للتيموريين في أفغانستان، التي امتزجت كلها فيما بعد في مدرسة جديدة تسمى «المدرسة المغولية الهندية».(٢)

وفي فن الموسيقى؛ ظهر تأثير الثقافة العربية في الجوانب التالية:

أولاً: إن المتصوّفين الذي أتوا من آسيا الوسطى، وكان معظمهم من أصل عربي، اخترعوا صنفاً جديداً يُسمّى «سماع» أو «قوالي»، وهما اسمان عربيان لتزكية وصقل القلوب، فصيّروا الموسيقى المحلية الوثنية إسلامية.

ثانياً: اخترع المسلمون ألحاناً جديدة يوجد فيها تأثّر كبير بألحان عربية وفارسية إيرانية، ويصعب على الرجل أن يميز بينها، و أطلقوا عليها تسميات عربية، وكان زعيمهم الأول في ذلك الأمير خسرو. ومن الألحان التي وردت في الموسيقى المحلية وسُميت بأسماء عربية : عشاق وعراق وحسني وحجاز وموافق وغنم وقول.(٣)

ثالثاً: ثم إن هناك عدداً من الآلات الموسيقية المحلية التي تُسمّى بأسماء ترجع إلى أصل عربي، وذلك يُنبئنا عن اتصالها بالثقافة العربية. فمن بين الآلات الوترية طنبورة ورباب وعود، ومن آلات النفخ مزمار، ومن الآلات الإيقاعية دف وطبلة.

١- الباشا حسن، الدكتور، التصوير الإسلامي في العصور الوسطى، ص: ٢٠٧-٢٠٨

٢- إكرام محمد شيخ، پاكستان كا ثقافتى ورثہ، ص: ٩٤

٣- تميمي، محمد جهانكير،جنوبي ايشيا ميں ہندؤو ں اورمسلمانوں كى موسيقى، فرق اورفاصلہ، ص: ١١، للتفصيل انظر: فياض ليلى مليحه، موسوعة الموسيقى - العرب والأجانب، ص: ٥٩٤

اللغة العربية كلغة رسمية وقومية في باكستان [1]

الدكتور مظهر معين

أستاذ اللغة العربية وعميد الكلية الشرقية السابق بجامعة بنجاب، لاهور

إن اللغة العربية الفصحى هي لغة القرآن والحديث ولغة العلوم والأمة الإسلامية في كل زمان ومكان، فلذلك تحتل مكانة أساسية في جميع الدول الإسلامية، ويفضلها كل مسلم على جميع اللغات القومية والمحلية كلغة للإسلام والمسلمين، وهي الآن لغة رسمية ووطنية وتعليمية في اثنتين وعشرين دولة عربية إسلامية على الأقل. ونرى الاهتمام المتزايد بها كلغة دينية ومادة إجبارية تعليمية في سائر الدول الإسلامية؛ كما يحدث الآن في مالديف وبرونائي دار السلام وماليزيا وباكستان وأفغانستان وإيران والسنغال وغيرها.

وتبذل الآن جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي جهوداً لا بأس بها في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فنذكر على سبيل المثال القرار الذي اتخذه مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي المنعقد في صنعاء من ٢٥ إلى ٣٠ ربيع الأول عام ١٤٠٥هـ:

«أولى المؤتمر اهتماماً بالغاً نحو القضايا الثقافية وعبّر عن الارتياح للإجراءات التي اتُخذت في سبيل إنجاز مشروع بناء كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية من مشروع

---

١ - نُشر هذا البحث في مجلة الدراسات الإسلامية، ٤:٢٤، ١٩٨٩م.

الجامعة الإسلامية في النيجر، كما عبَّر عن الارتياح للتقدم الذي أحرزه مشروع الجامعة الإسلامية في أوغندا. ودعا صندوق التضامن الإسلامي جميع الهيئات والمؤسسات المتخصصة إلى تقديم المساعدات للجامعة الإسلامية بماليزيا والجامعة الإسلامية في بنغلاديش والمعهد الإقليمي للتعليم التكميلي في باكستان والمعهد الإقليمى للدراسات والأبحاث الإسلامية في تمبكتو والمعهد الإسلامي للترجمة في الخرطوم والكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين في تونس».[1]

ومن الأهداف الأساسية للمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي نشر لغة القرآن ومحو الأمية من العالم الإسلامي، وكذلك تهتم رابطة العالم الإسلامي بمكة بنشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في الدول الإسلامية وخارجها.

أما مكانة اللغة العربية كلغة رسمية ووطنية في كل دولة مسلمة عامة، و باكستان خاصة، فهي مشكلة تحتاج إلى البحث والتحليل؛ لأن تصور القوم والقومية على أساس المنطقة الجغرافية المحدودة، وفكرة فصل الدين ولسانه عن الدولة، قد أثّرا في قلوب المسلمين إلى حد كبير، وإلا فالمشكلة ليست كبيرة. لذلك يستطيع كل مسلم أن يقول على الفور وبدون حاجة إلى التفكير أن اللغة العربية هي لغة القرآن والحديث ولغة العلوم والأمة الإسلامية في كل عصر ومصر. ولذلك يجب أن تكون هي اللغة الرسمية الأولى في كل دولة إسلامية، أو إحدى اللغات الرسمية والوطنية فيها على الأقل. ولكن يجب علينا أن نناقش هذا الموضوع من كل ناحية، ونصل إلى نتيجة واضحة بالدلائل الثابتة والبراهين القاطعة؛ حتى نفحم كل خصم، ونركز في هذا المقال على مكانة اللغة العربية كلغة رسمية وقومية في باكستان، نظراً إلى ماضيها وحاضرها، وكل ما ينطبق على باكستان ينطبق على جميع البلدان الإسلامية، ولو بفرق البيئة واختلاف التفاصيل.

لمحة تاريخية عن مكانة اللغة العربية كلغة رسمية وقومية في باكستان:

إن المناطق التي تشتمل عليها باكستان الحديثة هي أقدم المناطق في شبه القارة الهندية التي انتشر فيها الإسلام ولسانه العربي قبل ألف سنة أو أكثر. ومناطق باكستان الحديثة هي: بلوجستان، والسند، وبنجاب، ومنطقة الحدود الشمالية الغربية، وترتبط بها ولاية جمون وكشمير الحرة والمحتلة بأغلبيتها المسلمة دينياً وثقافياً وجغرافياً.

---

١ – مجلة «الدعوة» الأسبوعية، الرياض، ديسمبر ١٩٨٤م، العدد ٩٧٢. ٣١، ص:١٨.

ويرجع تاريخ اللغة العربية والفتوحات الإسلامية في باكستان إلى عصر الخلافة الراشدة والأموية.

ونعرف أن القائد العظيم محمد بن القاسم فتح أرض السند في عصر خلافة الوليد ابن عبدالملك الأموي (٨٦هـ-٩٦هـ) سنة ٩٢هـ/ ٧١٢م، الذي بلغ حدود كشمير وإمارة قنوج.(١)

ويلقي الدكتور إسرائيل ولفنسون ضوءاً على سلسلة الفتوح العربية الإسلامية التي وصلت إلى حدود باكستان ويقول:

«وقد كان القرن الأول للهجرة عظيماً من كل وجه، فقد ارتفع شأن اللغة العربية ارتفاعاً لا نظير له، وامتدت الفتوح الإسلامية امتداداً كبيراً جداً حتى وصلت إلى الهند من ناحية، وإلى بحر الظلمات من ناحية أخرى».(٢)

ويشير الباحث الشهير الزبيد أحمد إلى سيطرة المسلمين العرب على بلوجستان والسند والملتان وحرمانهم من السيطرة على معظم شبه القارة الهندية الباكستانية بأسلوبه الخاص:

«إن الهند (باستثناء السند وملتان وبلوجستان) وتركيا الأوروبية هما من تلك الدول القليلة التي سيطر عليها المسلمون، ولكنها لم تكن تحت حكم العرب أو أمة ناطقة بالعربية قط».(٣)

وتدل هذه البيانات والمعلومات على أن المناطق الباكستانية الممتدة من بلوجستان والسند إلى ملتان هي أقدم المناطق في شبه القارة التي وصل إليها الدين الإسلامي مع اللسان العربي، بعد أن فتحها المسلمون العرب في القرن الهجري الأول وبعده. فأصبحت اللغة العربية لغة البلاد الرسمية وبقيت كذلك لثلاثة قرون.(٤)

وتأثرت اللغة السندية باللغة العربية إلى حد كبير ودخلتها الكلمات العربية بكثرة، كما بدأت تُكتب بالأبجدية العربية ولا تزال مكتوبة بها. فازداد اهتمام الشعب باللغة العربية

١- إحسان حقي: باكستان ماضيها وحاضرها، ص: ٤٢.

٢- إسرائيل ولفنسون، الدكتور، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٢٩م، ص: ٢١٥.

٣- زبيد أحمد، الدكتور، (إسهام باكستان والهند في الأدب العربي) عربی ادبيات ميں پاک و ہند کا حصہ. ترجمه من الإنجليزية إلى الأردية شاهد حسين رزاقي، إدارة الثقافة الإسلامية، لاهور، الطبعة الأولى، ١٩٧٣، ص: ١.

٤- جامعة بنجاب بلاهور: (تاريخ آداب المسلمين في باكستان والهند) تاريخ ادبياتِ پاکستان و ہند، المجلد الثاني (الأدب العربي) مطبعة المكتبة العلمية، لاهور، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م، ص: ٥ (المقدمة)

وأبجديتها كأساس لغتهم الأم. وكان المؤرخون العرب يطلقون على جميع المناطق التي فتحها المسلمون في شبه القارة الهندية اسم «السند». وكانت شبه القارة عندهم منقسمة إلى جزأين، فكانوا يسمون المنطقة الممتدة من ديبل إلى جبال جهلم «السند»، كما كانوا يطلقون على جميع اللهجات في هذه المنطقة اسم «السندية» بلا تمييز.[1]

أما المنطقة الممتدة من لاهور إلى بيشاور وحدود كشمير ففتحها السلطان محمود الغزنوي، وصارت «بنجاب» جزءاً من الدولة الإسلامية مباشرة بعد أن ضمها محمود إلى سلطنة غزني في أفغانستان. وتم ذلك إلى سنة ١٠٢٢م/ ٤١٣ه، فبدأت لاهور تزدهر كمدينة إسلامية مركزية في الهند الشمالية.[2]

وبدأ عصر اللغة الفارسية كلغة رسمية في أرض باكستان وشبه القارة لما استبدلت الفارسية بالعربية في عهد الغزنوي. وبقيت اللغة الفارسية تُستخدم في دواوين الحكومة من القرن الحادي عشر الميلادي إلى انتهاء العصر المغولي سنة ١٨٥٧م. وتُكتب هذه اللغة الفارسية بالأبجدية العربية منذ فتح فارس على أيدي المسلمين العرب في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣هـ-٢٣هـ)، وهي تتأثر باللغة العربية إلى حد كبير بحيث تُكتب بالحروف العربية وتضمّ في معجمها أكثر من سبعين بالمائة من المفردات العربية.[3]

وكان استخدام اللغة الفارسية كلغة رسمية استمراراً للأبجدية وأغلبية المفردات العربية في دواوين الحكومة. ثم كانت اللغة العربية موجودة كلغة هامة في المحاكم الشرعية الرسمية، وبقيت كذلك إلى انتهاء العصر المغولي سنة ١٨٥٧م.

وكانت المناطق الباكستانية مناطق الأغلبية المسلمة منذ قرون، وكذلك كانت منطقة جمون وكشمير. ودخلت اللغة العربية كل بيت من بيوت المسلمين كلغة القرآن والصلاة ولغة الإسلام وعلومه. وكان كل مسلم مثقف يتعلم اللغة العربية، ولم يكن يُعد من أهل العلم والثقافة إذا لم يكن على معرفة باللغة العربية وعلومها الإسلامية. واستمر ذلك إلى انتهاء العصر الإسلامي في شبه القارة الهندية سنة ١٨٥٧م. وهكذا كانت أهمية اللغة العربية على المستوى القومي في المناطق الباكستانية طوال القرون (٧١٢م-١٨٥٧م).

١- نفس المصدر، ص: ٦٩.

٢- نفس المصدر، ص: ٦٣.

٣- محيي الدين، الدكتور، قضايا نشر اللغة والثقافة العربية الإسلامية في الخارج، في مجلة «اللسان العربي»، الرباط، ١٩٨٣م، العدد ٢٠، ص:٩.

ولاشك أن اللغة الفارسية أيضاً شاعت على المستوى الرسمي والوطني في أرض باكستان قبل قرون، ولكنها كانت تُكتب بالأبجدية العربية، وتضم المفردات والكلمات العربية بكثرة كما سبق أن ذكرنا. فلذلك كان تعلُّم اللغة العربية وأبجديتها وقواعدها أمراً لابد منه لإتقان اللغة الفارسية وآدابها. وساعد ذلك أيضاً على نشر اللغة العربية، بالإضافة إلى مكانتها كلغة الإسلام والتعليم الديني. ومما يؤيد افتقار الفارسية إلى اللغة العربية إعطاءُ اللغة العربية مكانة أساسية في دستور جمهورية إيران الإسلامية في العصر الحديث.[1]

وتأثرت جميع اللغات واللهجات المحلية المتواجدة في باكستان باللغة العربية إلى حد كبير. فكُتب سائر اللغات المحلية بالأبجدية العربية، ودخلت الكلمات العربية فيها بكثرة. ولا يزال هذا التأثير عميقاً إلى العصر الحديث. فازداد اعتناء الشعب باللغة العربية وأبجديتها كأساس لغتهم الأم في المناطق المختلفة. وذلك بالإضافة إلى اعتناء عامة المسلمين بتعلمها لتلاوة القرآن وأداء الصلاة والشعائر الدينية الأخرى.

وتمت سيطرة الاستعمار البريطاني على باكستان وشبه القارة كلها بعد أن سقطت الحكومة المغولية المسلمة وفشلت حرب الاستقلال أو الثورة الشعبية سنة ١٨٥٧م. وكانت نقطة التحوّل في تاريخ الهند الإسلامي. فأخرجت اللغتين العربية والفارسية من دواوين الحكومة وفرضت عليها اللغة الإنجليزية المكتوبة بالأبجدية اللاتينية، والمتأثرة باللغتين اليونانية واللاتينية. كما استبدلت بالمحاكم الشرعية المحاكم الإنجليزية. فجعلت اللغة الإنجليزية لغة أساسية في النظام التعليمى والقانوني الجديد. فأصبح المسلمون الناطقون بالعربية والفارسية والمحلية غير المثقفين عند المستعمرين. وحدث ذلك في لمح البصر وبكت عليهم السماء والأرض، واقتصرت العربية والفارسية على آلاف المساجد والمدارس ومئات الآلاف من بيوت المسلمين.

وكانت اللغة الإنجليزية لغة أجنبية تماماً لا يتعلمها إلا فئة قليلة جداً من أهل الهند. ولم تكن لها صلة حضارية وثقافية بالشعب الهندي. فاستُخدمت اللغة الأردية مع الإنجليزية في الدوائر الرسمية والتعليمية والعامة المختلفة. وكانت اللغة الأردية شائعة في شبه القارة كلها، كما كانت سائدة في المناطق والولايات ذات الأغلبية المسلمة

١- راجع: وزارة الإرشاد الإسلامي، دستور جمهورية إيران الإسلامية، طهران، ١٤٠٣هـ، المادة السادسة عشرة، ص: ٧٢.

التي انضمت إلى باكستان الغربية سنة ١٩٤٧م، حيث انتهى عصر الاستعمار البريطاني في شبه القارة وأُسست دولة باكستان الجديدة واختارت باكستان اللغة الأردية المكتوبة بالأبجدية العربية كلغة قومية لها، كما اختارت الهند اللغة الهندية المكتوبة بالأبجدية السنسكريتية أو الديوناغرية كلغتها الوطنية. ثم أُضيفت اللغة البنغالية إلى اللغة الأردية كلغة قومية أخرى بموجب الدستور الباكستاني الذي وُضع سنة ١٩٥٦م. وكذلك بموجب الدستور الذي وُضع بعد ذلك في عام ١٩٦٢م.

وانقطعت باكستان الشرقية عن دولة باكستان في ديسمبر عام ١٩٧١م، وصارت دولة مستقلة باسم بنغلاديش، وبذلك أصبحت اللغة الأردية لغة قومية وحيدة في باكستان الحديثة. واعترف الدستور الباكستاني الذي وُضع سنة ١٩٧٣م بذلك. ثم اختيرت كلغة رسمية في جميع أقاليمها أيضاً بما فيها بنجاب والسند ومنطقة الحدود الشمالية الغربية وبلوجستان، كما أنها لا تزال لغة رسمية في جمون وكشمير الحرة والمحتلة. ومع أن اللغة الإنجليزية لا تزال تُستخدم في دواوين الحكومة إلى الآن مع اللغة الأردية، إلا أن ذلك يقل بمرور الأيام ويتزايد استخدام الأردية يوماً بعد يوم.

واللغة الأردية التي تُكتب بالأبجدية العربية منذ يومها الأول مليئة بالكلمات والمصطلحات العربية مثل الفارسية. واستخدامها كلغة رسمية استمرار لأبجدية اللغة العربية ومفرداتها ومصطلحاتها في الدواوين الرسمية. ولابد من تعلم اللغة العربية بقواعدها وأبجديتها لإتقان اللغة الأردية، وكذلك الحال في جميع اللغات واللهجات المحلية في باكستان[١]. ثم إن اللغة العربية موجودة في كل بيت من بيوت المسلمين كلغة القرآن والصلاة ولغة الإسلام وعلومه. ونظراً إلى أهميتها الدينية والثقافية جُعلت مادة إجبارية في جميع المدارس الثانوية الحكومية في باكستان وجمون وكشمير الحرة منذ سنة ١٩٨٢م.[٢]

١- هذه مبالغة نبعت من حماس الباحث للغة العربية، والحقيقة أن الإلمام بالعربية وآدابها يجعل الدارس (وليس المتعلم) متمكناً من الدراسة العلمية للتطورات اللغوية والأدبية والثقافية للغة الأردية وبعض اللغات المحلية. (المحرر)

٢- محمود عبدالله، الدكتور، اللغة العربية في باكستان، وزارة التعليم الفيدرالية، إسلام آباد، ١٩٨٤م، ص: ١٤٦.

اللغة العربية كلغة رسمية وقومية في باكستان الحديثة:

أما المبررات للاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية وقومية في باكستان الحديثة إلى جانب اللغة الأردية دستورياً فهي كثيرة متنوعة، نلّخصها في النقاط التالية:

١. لغة الدين الرسمي

يعترف الدستور الباكستاني الحالي (دستور ١٩٧٣م) مثل الدساتير السابقة بمكانة الإسلام كدين الدولة الرسمي في المادة التي عنوانها:

«الإسلام دين الدولة» وينص على أنه:

«يجب أن يكون الإسلام دين دولة باكستان».[١]

ولا يخفى على أحد أن لغة الإسلام هي اللغة العربية الفصحى، فهي لغة القرآن الكريم ولغة الحديث النبوي، كما أنها كانت ولا تزال لغة العلوم الإسلامية في كل عصر ومصر، فهذا اعتراف ولو كان غير مباشر بأهمية اللغة العربية كلغة الدين الرسمي. وقد قال رسول الله ﷺ:

«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله».[٢]

ويقتضي التمسك بهما الاهتمام باللغة العربية على المستوى الرسمي والوطني، لأنها لغة كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ، وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«تعلّموا العربية فإنها من دينكم».[٣]

وبالإضافة إلى هذا، نجد بياناً مفصلاً في الدستور الباكستاني بالنسبة للتعاليم الإسلامية ونشرها بعنوان: «الحياة الإسلامية».

١. يجب اتخاذ الخطوات التي تساعد مسلمي باكستان أفراداً وجماعات على تنظيم حياتهم في إطار مبادئ الإسلام الرئيسة وعقائده الأساسية، وأن يزوّدوا بكافة التسهيلات التي تساعدهم على فهم الحياة وفقاً للقرآن الكريم وللسنة النبوية.

٢. إن على الدولة أن تبذل كل جهودها في سبيل تربية مسلمي باكستان.

أ. أن تجعل القرآن الكريم والعلوم الإسلامية إجبارية، وأن تشجع تعلّم اللغة

١- إحسان حقي، الدكتور، باكستان ماضيها وحاضرها، ص ٣٦٥، (نقلاً عن الدستور الباكستاني).

٢- الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٨٠هـ، المجلد الأول، ص: ٦٦ (برواية الإمام مالك في الموطّأ).

٣- راجع: الدكتور محمود عبدالله، اللغة العربية في باكستان، ص: ٣.

العربية وتسهلها، وأن تساعد على طبع الكتب الدينية القيّمة وعلى نشر القرآن الكريم.

ب. وأن تعمل على تقوية الوحدة الإسلامية والمحافظة على مستوى الأخلاق الإسلامية.

ج. وأن تعيّن المنظمات الخاصة التي تعمل على جمع الزكاة وتُعنى بالأوقاف والمساجد.[1]

ويتضح لنا بذلك كله أن الدستور الباكستاني قد هيّأ أساساً قيّماً لإعطاء اللغة العربية مكانة أساسية كلغة الدين الرسمي على المستوى الوطني، فلا غرابة في أن يُعترف بلغة الدين الرسمي كلغة رسمية في باكستان.

٢. لغة الأمة المسلمة:

إن الأمة المسلمة منتشرة في أكثر من خمسين دولة إسلامية، وفي دول الأقليات المسلمة. وقال جل ذكره:

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾[2]

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾.[3]

وإذا اعترفنا بكون الأمة المسلمة أمة وسطاً وأمة واحدة بدون تقييد الزمان والمكان، وإذا اعترفنا بأن العقيدة الإسلامية هي التي تشكّل القومية الإسلامية أو أمة الإسلام، فلغة هذه الأمة المسلمة المتحدة هي اللغة العربية الفصحى، التي هي لغة كتاب الله ولغة رسول الله ﷺ ولغة الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ولغة العلماء وعامة المسلمين إلى يوم الدين وفي جنّات ربّ العالمين.

يقول الدكتور حقي:

«إن الله سبحانه وتعالى لم ينزل القرآن الكريم باللغة العربية ولم يجعل ترجمته عسيرة، إن لم نقل مستحيلة، إلا لكي يكون المسلمون أمة واحدة، يتكلمون لغة واحدة ويقرأون بالعربية كتاباً واحداً. فالله سبحانه وتعالى الذي جعل الإسلام خاتم الأديان، وجعل المؤمنين إخوة، قضى أن يتكلم هؤلاء الإخوة لغة واحدة. ولذا أنزل عليهم القرآن

١- إحسان حقي، الدكتور، باكستان ماضيها وحاضرها، ص: ٣٦٥، (نقلاً عن الدستور الباكستاني).

٢- الأنبياء: ٩٢.

٣- البقرة: ١٤٣.

الكريم بهذه اللغة التي يقيمون بها صلواتهم ويفهمون بها أحكام دينهم. ولو أدرك المسلمون هذه الحقيقة لكانوا اليوم أمة واحدة، لهم دين واحد هو الإسلام، وقومية واحدة هي الإسلام، ولغة واحدة هي العربية، ولما كانوا بحاجة إلى هذه اللغات الكثيرة التي يتكلمونها، ولا إلى هذه القوميات المتعددة التي تقوم فيها العلاقات الإنسانية على القوميات واللغات».[1]

وكل ذلك يدل على أن اللغة العربية الفصحى هي لغة الأمة المسلمة المتحدة من زمن المصطفى عليه السلام إلى يوم القيامة. فيجب أن تعترف كل دولة من دول العالم الإسلامي بمكانتها كلغة قومية لها، كما ينبغي لكل دولة توجد فيها الأقليات المسلمة أن تعترف بمكانتها كلغة أبناء الأمة المسلمة من سكّانها على المستوى الوطني.

٣.لغة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن:

إن اللغة العربية الفصحى هي اللغة الأم لكل مسلم في كل زمان ومكان، لأن الله سبحانه وتعالى جعل أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين إلى يوم القيامة.

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [2]

ولا يخفى على أحد أن لغة أمهات المؤمنين هي اللغة العربية الفصحى. فهي لغة أمهات المؤمنين خديجة وسودة وعائشة وحفصة وأم حبيبة وأم سلمة والزينبين وجويرية وميمونة وصفيّة، وغيرهن من أزواج الرسول عليه السلام وأهل بيته رضي الله عنهن وأرضاهن. فلذلك هي اللغة الأم للأمة المسلمة في باكستان وفي كل مكان. ويجب الاعتراف بهذه الحقيقة على المستوى الرسمي والوطني والمحلّي. وكذلك هي اللغة الأم لكل أم مسلمة، لأنها أيضاً من بنات أمهات المؤمنين. وإذا كانت اللغة الأم لأغلبية السكان في دولة تستحق أن تكون لغة رسمية وقومية فيها، فاللغة العربية الفصحى هي الأولى بأن تُعتبر اللغة الأم للأغلبية المسلمة في باكستان وجميع دول الإسلام، ويجب أن يُعترف بمكانتها كاللغة الأم في باكستان، وبالتالي يُعترف بها كلغة رسمية وقومية ومحلّية، كما ينبغي أن تعترف بها كل دولة من دول الأقليّات المسلمة كاللغة الأمّ لكل مسلم من مواطنيها.

١- إحسان حقي، الدكتور، باكستان ماضيها وحاضرها، ص: ٣٣٤-٣٣٥.

٢- الأحزاب: ٦.

٤. أمّ اللغات الباكستانية:

تُكتب جميع اللغات الباكستانية بما فيها اللغة الأردية بالأبجدية العربية. وعدد كبير من المفردات والمصطلحات فيها مأخوذ من اللغة العربية مباشرة أو عن طريق اللغة الفارسية؛ التي تُكتب أيضاً بالخط العربي، وترجع أكثر مفرداتها إلى أصل عربي. فلابد من تعلّم قواعد اللغة العربية ومعرفتها لإتقان اللغتين الأردية والفارسية واللغات المحلية في باكستان. ولا يمكن تطوير هذه اللغات كلغات علمية إلا بإعطاء اللغة العربية مكانة أساسية على المستوى الرسمي والوطني، كأساسها الكلاسيكي الدائم، كما أنه لا يمكن توحيد هذه اللغات واللهجات أو التقريب بينها ووضع مصطلحاتها العلمية المشتركة إلا على أساس اللغة العربية الفصحى وأبجديتها. ونظراً إلى التأثير العميق للغة العربية وأبجديتها في جميع اللغات واللهجات الباكستانية، وفي مقدمتها اللغة القومية (الأردية)، نستطيع أن نطلق على جميعها اسم «اللغات واللهجات العربية المختلطة» إلى حد ما. وأسماء هذه اللغات واللهجات هي: الأردية، والبنجابية، والسندية، والبشتوية، والبلوشية، والبراهوية، والكشميرية، والشنائية، والبلتية، والفارسية.

ومن ناحية أخرى أيضاً؛ تحتاج اللغات الباكستانية إلى العربية، وهي تطوّر اللغات واللهجات بدون اتجاه محدد مطلوب. وفي مقدمتها اللغة الأردية التي لها فضل على جميع اللغات المحلية كلغة علمية سائدة في باكستان وشائعة في شبه القارة كلها. ولكنها لغة غير كلاسيكية لا نجد لها وجوداً كلغة علمية قبل قرنين أو ثلاثة. ولا ندري ماذا ستكون صورتها بعد الامتزاج المتزايد باللغات المحلية وباللغة الإنجليزية في باكستان، وبالهندية السنسكريتية في الهند. وكذلك الحال في اللغة البنجابية التي تُكتب بالخط العربي في منطقة بنجاب الباكستانية، وتميل إلى اللغة العربية والفارسية في ألفاظها ومصطلحاتها، ولكنها تُكتب بالخط الجورمكهي السنسكريتي في بنجاب الهندية وتميل إلى اللغة الهندية والسنسكريتية في ألفاظها ومصطلحاتها، بعد انضمامها إلى الهند سنة ١٩٤٧م وانقطاع الصلة بينها وبين اللغة الأردية السائدة في بنجاب المتحدة قبل الاستقلال من ناحية، وبينها وبين لغة أغلبية السكان في بنجاب المتحدة المكتوبة بالخط العربي والمليئة بالألفاظ العربية والفارسية من ناحية أخرى. وإذا كنا نريد أن نصون اللغة الأردية واللغات المحلية من التطورات الثقافية السلبية الهدامة، يجب علينا أن نعترف باللغة العربية الفصحى وأبجديتها كأم اللغات الباكستانية وأساسها الكلاسيكي الدائم على

المستوى الرسمي والوطني، حتى تتقوى جميع هذه اللغات علمياً وثقافياً وتستغني عن المصطلحات والكلمات الإنجليزية والهندية وغيرها إلى حد كبير، وحتى تتمكن من أداء دورها كلغة رسمية أو قومية أو محلية أو تعليمية بطريق علمي أفضل.

وبالإضافة إلى ذلك، نرى اللغة العربية موجودة كلغة مستقلة على المستوى الثقافي الوطني في باكستان. فيسمع كل مولود مسلم صوت الأذان والإقامة في أذنيه فور ولادته، ثم يُسمّى عادة باسم عربي، ويسمع الأذان للصلاة خمس مرّات في اليوم والليلة، كما يسمع الكلمات العربية الكثيرة ويستعملها كثيراً في حياته اليومية، مثل: السلام عليكم وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولاحول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون والشهادتين والصوم والصلاة والحج والزكاة والنكاح والجنازة والقرآن والحديث والفقه وغيرها، ثم يسمع آلاف الأسماء العربية للرجال والنساء والأشياء من حين إلى آخر، كما أنه يتعلم أداء الصلاة وتلاوة القرآن بالعربية قبيل التحاقه بالمدرسة الابتدائية أو بعدها. ثم يعرف أن لغة جميع الشعائر الدينية من المهد إلى اللحد هي العربية. وكل هذا يدلّ على تواجد مستقل للغة العربية في محيط الثقافة الباكستانية ودوائر الحياة الفردية والاجتماعية على نطاق واسع، فهي لغة باكستانية مستقلة إضافة إلى مكانتها كأساس اللغات واللهجات الباكستانية.

وهناك مشكلة أخرى على المستوى الرسمي والوطني تحلّها اللغة العربية، كلغة باكستانية أو أم اللغات الباكستانية، وهي مشكلة استخدام لغة في الشؤون العالمية. وإذا أردنا أن نحتفظ بهويتنا الدينية والقومية والثقافية على المستوى العالمي يجب علينا أن نستخدم اللغة العربية كلغة عالمية، والتي هي لغة سائدة في العالم الإسلامى ومعترف بها كلغة رسمية مثل الإنجليزية والفرنسية في الهيئات والمنظمات الدولية مثل هيئة الأمم المتحدة وغيرها.

ومن هذه الناحية أيضاً؛ تستحق أم اللغات الباكستانية أن تكون لها مكانة أساسية رسمياً وقومياً. ونظراً إلى هذه التفاصيل كلها، نستطيع أن نقول إن اللغة الباكستانية الموحدة المكتوبة بالأبجدية العربية والمعوّلة على القواعد والمفردات العربية تتكون من ثلاث لغات أو لهجات، أو لها ثلاث درجات، هي:

١. اللغة أو اللهجة الفصحى القرآنية العالمية.

٢. اللغة أو اللهجة القومية.

٣. اللغة أو اللهجة المحلية.

وقد آن لنا أن نعترف بهذه اللغة الباكستانية المتحدة التي أصلها عربي وخطها عربي وفرعها في كل بيت باكستاني. وعلينا أن نحاول توحيد لهجاتها ومصطلحاتها أو التقريب بينها على أساس اللغة الفصحى، كما يجب علينا أن نستخدم هذه اللغة الباكستانية في جميع الدوائر الرسمية والوطنية والعالمية بدلاً من اللغات الأجنبية.

٥. لغة عالمية إسلامية:

إن اللغة العربية هي لغة عالمية أبدية للإسلام والمسلمين منذ نزول القرآن إلى يوم القيامة. ويدل القرآن على كونها لغة عالمية أبدية بل كونها لغة للعالمين:

١. ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾[١]

٢. ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[٢]

٣. ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[٣]

تدل هذه الآيات وأمثالها على أن القرآن هو ذكر للعالمين من رب العالمين إلى رحمة للعالمين بلسان عربي مبين. فثبت أنه لسان عالمي أبدي؛ بل لسان العالمين.

وأدّى القرآن دوراً أساسياً في إبقاء اللغة العربية وتوحيد لهجاتها. يقول جرجي زيدان: «أما اللغة العربية فقد حفظها القرآن الكريم وحفظ بها التفاهم بين الأمم الإسلامية في الشام ومصر والعراق والحجاز والمغرب وزنجبار والسودان وغيرها. ولولاه لكانت كل أمة من هؤلاء تتكلم لغة لا تفهمها صاحبتها».[٤]

ويشير الدكتور إسرائيل ولفنسون إلى الدور الأساسي الهام الذي لعبه الإسلام في تحويل لغة جزيرة العرب إلى لغة عالمية كبرى:

«إن الانقلاب العظيم الذي أصاب اللغة العربية إنما حدث عقب ظهور الإسلام. فقد انقلبت إلى لغة عالمية تتكلم بها شعوب كثيرة جداً».[٥]

فأصبحت اللغة العربية الفصحى لغة عالمية بعد انتشار الإسلام، كما انتشرت كلغة

١- التكوير: ٢٧.

٢- الشعراء: ١٩٢-١٩٥.

٣- الأنبياء: ١٠٧.

٤- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٧م، المجلد الأول، ص: ٣٢٣.

٥- إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص: ٢١٤.

دينية ورسمية وأدبية في الدول الإسلامية كلها، كما يقول الدكتور طه حسين:

«فقد كانت اللغة العربية الفصحى لغة هذا الدين الجديد ولغة كتابه المقدس ولغة حكومته الناشئة القوية. فأصبحت لغة رسمية للعرب، ثم أصبحت لغة أدبية لهم، كما أصبحت بعد الفتح لغة رسمية ثم لغة أدبية للدول الإسلامية كلها».[١]

واحتفظت العربية الفصحى بعالميتها كلغة القرآن والإسلام حتى بعد سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ. ولا تزال سائدة كلغة الإسلام والمسلمين إلى العصر الحديث. و«إذا نظرت إلى الخريطة اليوم رأيت الناطقين باللغة العربية منتشرين في غربي البحر المتوسط وجنوبيه إلى الشام والعراق وما بين النهرين، وفي جزيرة العرب وفي مصر وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش، وعلى شواطئ البحر الأحمر وفي السودان وغيرها من أواسط إفريقيا وعلى شواطئ إفريقيا الشرقية وغيرها، غير الذين يتعلمون العربية للمعاملات الدينية وهم المسلمون في أكثر أنحاء المعمورة في فارس وخراسان وأفغانستان وتركستان والهند والصين وجزائر الهند الشرقية وسائر البلاد التي دخلها الإسلام في القارات الخمس».[٢] وبالإضافة إلى ذلك، هي الآن لغة رسمية في الهيئات والمنظمات الدولية والإقليمية مثل: «جامعة الدول العربية» و«منظمة المؤتمر الإسلامي» و«منظمة الوحدة الإفريقية» و«هيئة الأمم المتحدة» وغيرها. والجدير بالذكر أنها اللغة الوحيدة من بين اللغات واللهجات القومية والمحلية في الدول الإسلامية التي تحتل مكانة اللغة الرسمية في المنظمات والهيئات الدولية. وهي اللغة الوحيدة التي تستحق أن تكون لغة رسمية وقومية مشتركة لاتحاد الدول الإسلامية على المستوى العالمي، كما أنها جديرة بأن تسد جميع حاجات الأمة الإسلامية في المجالات العلمية والدينية والثقافية والوطنية والعالمية. فيجب على باكستان وجميع دول الإسلام أن تختار هذه اللغة العالمية الإسلامية كلغة رسمية وقومية مشتركة، ولو مع الاحتفاظ بلغة أخرى، حتى لا تبقى حواجز اللغة بين أبناء الأمة الإسلامية الناطقين باللغات الوطنية والمحلية والأجنبية المختلفة عامة، وتحتفظ بهويتها الثقافية الإسلامية في الدوائر الرسمية العالمية.

وتزداد أهمية اللغة العربية كلغة عالمية إسلامية بالنظر إلى تأثيرها الواسع العميق في لغات العالم الإسلامي ولهجاته. الذي يظهر في الكلمات والمصطلحات المأخوذة منها

١- طه حسين، الدكتور، في الأدب الجاهلي، دار المعارف، مصر، ١٩٢٧م، ص: ١١٢.

٢- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، المجلد الأول، ص: ٤٢.

على نطاق واسع، كما هو الحال في اللغة الفارسية والأردية والتركية وباهاسا إندونيسيا وماليزيا وبرونائى واللغة البنجابية والسندية والبشتوية والبلوشية والكشميرية والشينية والبلتية والكردية والآذرية والسواحلية والصومالية ولغة الهوسا والفولاني والكاتوري، وغيرها من لغات المسلمين في آسيا وإفريقيا وأوروبا.[١]

وكانت جميع اللغات واللهجات في العالم الإسلامى تُكتب بالأبجدية العربية منذ بداية الإسلام إلى ما قبل سيطرة الدول الغربية على بلاد الإسلام في آسيا وإفريقيا. ونراها مكتوبة بها في أكثر الدول المسلمة إلى الآن، كما هو الحال في اثنتين وعشرين دولة عربية وإيران وأفغانستان وباكستان وماليزيا وبرونائى دار السلام وغيرها. وهناك محاولات لإحياء الحروف العربية في بعض الدول الإسلامية الأخرى.[٢] والأبجدية العربية هي الأبجدية القرآنية الوحيدة التي تستحق أن تكون الأبجدية المشتركة لكتابة جميع اللغات واللهجات الإسلامية وتوحيدها من جديد، ولإبقاء الصلة بين تراث الماضي والحاضر.

وبالنظر إلى تأثير اللغة العربية وأبجديتها في لغات العالم الإسلامي على نطاق واسع؛ نستطيع أن نسمّيها أمّ اللغات واللهجات الإسلامية. فلابدّ من تعلّم اللغة العربية وقواعدها وأبجديتها لإتقان اللغات واللهجات الإسلامية، كما أنه لابدّ من تعلّم اللغة اليونانية واللاتينية لإتقان اللغات الأوروبية المختلفة.

واختيار اللغة العربية كلغة رسمية وقومية في باكستان أمر بدأ يفكر فيه أهل الفكر والبصيرة بعد تأسيس باكستان، كما قال الدكتور إحسان حقي؛ الذي هو مفكر ومؤلف بارز في عصرنا، والذي قضى سنين عديدة في شبه القارة كأستاذ جامعي، ويتقن اللغات الأردية والفارسية والتركية والإنجليزية والفرنسية وغيرها من اللغات:

«وقد جاء يوم على باكستان في أول عهد استقلالها كادت اللغة العربية فيها تكون لغة البلاد الرسمية، لولا أن وقف في هذا السبيل بعض قصيري البصر والبصيرة، أو بعض أصحاب الأغراض، ولو تمّت هذه الخطوة لما كانت وجدت القضية البنغالية، ولما كان

١- راجع للتفاصيل: محمد جلال عباس، اللغة العربية في إفريقيا، في مجلة «رابطة العالم الإسلامي»، مكة، ديسمبر ١٩٨٣م، ص ٧٢-٧٤ وبعد، ومقالي: «اللغة العربية في العصر الجديد» (باللغة الأردية) في مجلة «تحقيق» لكلية العلوم الإسلامية و الشرقية بجامعة بنجاب، لاهور، ١٩٨٥م المجلد ٦، العدد (١،٢)، العدد المسلسل (٢١-٢٢) ص: ١٣٠-١٣٦ و ١٤٦-١٥٠ و بعد.

٢- نفس المصدر.

أعداء الإسلام استطاعوا أن يقضوا على الوحدة الباكستانية بسبب اختلاف اللغة بين أردية وبنغالية. ولكنها خطة مرسومة لم ينتبه لها الذين حاربوا فكرة تعريب البلاد».[1]

ثم يقول الدكتور حقي (١٩٧٣م):

«وإذا كان الباكستانيون قد رغبوا بجعل اللغة العربية لغتهم الرسمية، فإنهم لم يأتوا بشيء جديد، لأن الإسلام حينما انتشر انتشرت معه اللغة العربية لغة الإسلام والمسلمين. وكان من واجب المسلمين أن يتنبّهوا إلى هذا الأمر منذ البداية. ولو فعلوا لكانت اللغة العربية اليوم لغة ٨٠٠ مليون مسلم، ولكانت اللغات القومية لغات ثانوية تكاد أن تكون قد تلاشت. وإن الله سبحانه وتعالى لم ينزل القرآن باللغة العربية ولم يجعل ترجمته عسيرة، إذا لم نقل مستحيلة، إلا لكي يكون المسلمون أمة واحدة، يتكلمون لغة واحدة ويقرأون بالعربية كتاباً واحداً».[2]

ومن المعروف أن السيد سلطان محمد شاه آغا خان، الرئيس السابق للرابطة المسلمة (مسلم ليك) في شبه القارة وإمام الطائفة الإسماعيلية، قدّم فكرة جعل اللغة العربية لغة رسمية وقومية للبلاد في مدينة كراتشي عاصمة باكستان بعد الاستقلال، وأيّد هذه الفكرة رئيس «بنك دولة باكستان» السيد زاهد حسين ورجال آخرون. ثم أيّد هذه الفكرة كثير من القادة البنغاليين لما اشتد النزاع بين الأردية والبنغالية في باكستان الشرقية.

ويؤيد هذه الفكرة السيد أحمد الديدات المبلّغ الإسلامي الشهير من جنوب إفريقيا، الذي ينتمي إلى أسرة سنية من قبيلة «بوهرة» في كجرات كاتهيا وار الهندية. وكان مكث عدة سنين في كراتشي بعد استقلال باكستان. فذكر رأي السير آغا خان مراراً أثناء خطاباته العديدة لما زار باكستان في الماضي القريب، وأكّد اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية ووطنية للبلاد حتى ينتهي النزاع بين اللغات المختلفة في باكستان. ويؤيد هذه الفكرة الآن عدد كبير من العلماء والمثقفين في باكستان.

وقدم الدكتور إسرار أحمد أمير «التنظيم الإسلامي» في باكستان فكرة جعل اللغة العربية لغة باكستان الوطنية أخيراً. وعقد ندوة خاصة حول هذا الموضوع ضمن «محاضرات القرآن السنوية» في مارس عام ١٩٨٨م، وأيّد المشاركون في هذه الندوة من السند والمناطق الأخرى فكرة تعريب البلاد لإنهاء الخلافات اللغوية في باكستان.

١- إحسان حقي، الدكتور، باكستان ماضيها وحاضرها، ص: ٣٣٤.

٢- نفس المصدر.

ملخّص البحث:

نصل إلى النتائج التالية مما تقدم من البحث والتحليل:

١. كانت اللغة العربية لغة رسمية وشعبية في مختلف المناطق الباكستانية لعدة قرون، منذ دخول العرب إلى بلوشستان والسند وملتان في القرن الهجري الأول، وفتح المنطقة الممتدة من لاهور إلى بيشاور وحدود كشمير على أيدى الغزنويين.

٢. بقيت اللغة العربية كلغة علمية ودينية في مناطق باكستان الحالية لما جُعلت الفارسية لغة رسمية بعد انتهاء العصر العربي في بلوشستان والسند وملتان، وبعد تعامل الحكومة الغزنوية بالفارسية بدلاً من العربية في منطقة ممتدة من لاهور إلى بيشاور وحدود كشمير. وبقيت اللغة الفارسية كلغة رسمية في شبه القارة كلها إلى انتهاء العصر المغولي سنة ١٨٥٧م، وكانت تُكتب هذه اللغة الفارسية ولا تزال بالحروف العربية، وأكثر المفردات فيها مأخوذة من اللغة العربية، فهي لغة مختلطة بالعربية إلى حد كبير.

٣. سادت اللغة الإنجليزية كلغة رسمية في شبه القارة بعد سيطرة الاستعمار البريطاني عليها وانتهاء العصر المغولي الإسلامي سنة ١٨٥٧م. ولكنها كانت لغة أجنبية غير مألوفة للشعب تماماً، فاستُخدمت اللغة الأردية مع الإنجليزية في الدوائر الرسمية والتعليمية إلى حد ما. وخاصة في ولاية بنجاب التي كانت ولا تزال تضم أغلبية عدد السكان في المناطق الباكستانية كلها.

٤. أصبحت اللغة الأردية لغة رسمية وقومية في باكستان بعد استقلال البلاد سنة ١٩٤٧م، ولا تزال كما كانت لغة رسمية في «وحدة باكستان الغربية» من ١٩٥٥م إلى ١٩٧٠م، التي كانت تضمّ مناطق باكستان الحالية كلها. ولا تزال لغة رسمية في جميع المناطق الباكستانية، ولكن تُستعمل اللغة الإنجليزية معها في الدوائر الرسمية إلى الآن. وتُكتب اللغة الأردية بالحروف العربية، وأكثر المفردات والكلمات فيها مأخوذة من اللغة العربية مثل الفارسية، فهي لغة مختلطة بالعربية إلى حد كبير. كما لاتزال اللغة العربية باقية معها كلغة علمية ودينية.

٥. تُكتب جميع اللغات المحلية في باكستان بالحروف العربية منذ قرون، وعدد كبير من مفرداتها ومصطلحاتها مأخوذ من العربية، فهي مختلطة بالعربية إلى حد كبير.

٦. إن اللغة العربية هي لغة الدين الرسمي في باكستان، فينبغى الاعتراف بها كلغة رسمية.

٧. وهي لغة الأمة المسلمة المتحدة في كل زمان ومكان، التي تضمّ أغلبية السكان في باكستان، فتستحق أن تكون اللغة الوطنية في باكستان.

٨. وهي لغة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن فتستحق أن تُضمّ إلى اللغات الأم للشعب المسلم في باكستان.

٩. وهي أم اللغات واللهجات الباكستانية، فيجب الاعتراف بمكانتها اللغوية الأساسية أو الكلاسيكية على المستوى الرسمي والوطني والمحلي.

١٠. و هي لغة ذكر لرب العالمين، ولغة رحمة الله للعالمين عليه الصلاة والتسليم، كما هي لغة الإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان، فلذلك تستحق أن تختار كلغة رسمية وطنية في الشؤون العالمية.

وخلاصة القول أن أرض باكستان هى منطقة اللغة العربية وأبجديتها، ومنطقة اللغات واللهجات الممتزجة بالعربية منذ أكثر من ألف سنة. ولا نجد مثل هذه المكانة للغة العربية وأبجديتها في سائر أجزاء شبه القارة، وتستحق اللغة العربية من كل ناحية أن يُعترف بها كلغة باكستان الرسمية والوطنية مع اللغة الأردية.

وأملنا كبير في أن تتحقق هذه الغاية في المستقبل بإذن الله تعالى وعونه، لأن مسلمي باكستان – حكومة وشعباً – يحبّون لغة القرآن والرسول عليه السلام حباً جماً، ويفضّلونها على جميع اللغات واللهجات نظراً إلى ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، كما نتوقع أن يتمّ مثل هذا الأمر في البلاد الإسلامية الأخرى لأسباب وظروف مشابهة، وما ذلك على الله بعزيز.

تعليم اللغة العربية في باكستان [1]

(مشكلات وحلول)

الدكتور خالق داد ملك

رئيس القسم العربي، الكلية الشرقية، جامعة بنجاب، لاهور

للمسلمين لغات متعددة تبعاً لتعدد شعوبهم واختلاف أقاليمهم. ومن أهم الوسائل التي تُقرّب بينهم وتجعلهم متفاهمين متعاونين - كما يوجبه عليهم دينهم الحنيف - أن يكون لهم بجانب هذه اللغات المتعددة لغة مشتركة بين جميع شعوبهم، من أقصى المغرب إلى بلاد الصين. ولا يمكن أن تكون للمسلمين لغة مشتركة غير اللغة العربية، فإنها هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، وجاءت بها سنة الرسول ﷺ، ودُوّنت بها مؤلفات العلماء المسلمين في شتى النواحي الإسلامية والعقلية منذ ظهور الإسلام إلى عصرنا هذا. وفوق ذلك هي لغة العبادة، فالمسلمون على اختلاف لغاتهم يصلّون بلغة القرآن الكريم، ويتعبدون بلغة القرآن الكريم، فوجب على كل مسلم مكلّف أن يتعلم من اللغة العربية القدر الذي يؤدّي به صلواته. بل قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في رسالته: «فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افتُرض عليه من التكبير وأُمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك».[2]

١- نُشرت هذه الورقة البحثية في مجلة الكلية الشرقية، جامعة بنجاب، لاهور، المجلد:٨٥، العدد:١، ٢٠١٠م.

٢- الإمام الشافعي، الرسالة، تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر، مصر، ١٣٥٧هـ، ص: ٤٨، فقرة: ١٦٧.

إن اللغة العربية من أعرق اللغات ذات التاريخ الإنساني والحضاري، فهي حارسة التراث الإسلامي وصانعة الحضارة الإنسانية عبر الأجيال والقرون. ولقد أدت اللغة العربية دوراً خطيراً في المركز الحضاري الذي بلغه العالم؛ عن طريق القنوات التي كانت تصل العالم العربي بالشرق والغرب عبر المحيط الهندي وفارس وما جاورها شرقاً، وعن طريق منافذ البحر الأبيض العديدة إلى أوروبا. وقد عاشت اللغة العربية في تطوّر مستمر، ودخل منطوقها الكثير من الألفاظ الأردية والفارسية واليونانية. وفي القرون الوسطى كانت المؤلفات العربية في الفلسفة والطب والعلوم الرياضية والفلكية وغيرها تُعتبر مراجع ومصادر أساسية للأوروبيين، كما كانت اللغة العربية أداة التفكير ونشر الثقافة في إسبانيا؛ حيث أشرقت منها الحضارة إلى أوروبا وعملت على تبديد ظلماتها ودفعتها إلى التطور والنهوض.

وكما كانت اللغة العربية في الماضي البعيد لغة الغالب المتحضّر، صاحب الدين والرأي والسيادة، فقد أخذت في الحاضر تحتل مكاناً مرموقاً يسعى إليه كل دارس ويتودد إليه كل ساعٍ إلى الدين أو العلم، أو باحث عن كنوزها من الفكر والثقافة والفن. وربما لا يشهد العالم العربي والإسلامي في قريب جداً عملاً أضخم وأكبر أهمية من تعليم اللغة العربية لغير أبنائها؛ من المسلمين أو غيرهم على حد سواء.

وقد أصبحت للغة العربية اليوم شخصية متميزة وكيان واضح، حيث صارت من اللغات الرسمية في كثير من الهيئات الدولية والوكالات التابعة لهيئة الأمم المتحدة. وتُعتبر اليوم رابع لغة قومية في العالم في ضخامة عدد المتحدثين بها، وتأتي في المنزلة والترتيب بعد اللغات الصينية والإنجليزية والإسبانية.[1]

ولكن غالب الاهتمام اليوم منصب على اللغة الإنجليزية، وقد امتد نفوذها إلى جميع مناطق الاستعمار البريطاني، فقد نشرها في البلاد التي حكمها، وشجع اللغات المحلية لتزاحم اللغة العربية وتحل محلها وتقضي عليها. وكانت النتيجة أن الأردية مثلاً (في باكستان) احتلت مكان اللغة العربية في الحياة الثقافية، بينما لم تنافس أو تزحزح اللغة الإنجليزية من مكانها حتى الآن.

وكان من آثار الاستعمار البريطاني أن اللغة الإنجليزية فُرضت في الإدارة والأعمال

١- بهجت، مجاهد مصطفى، الدكتور، «الروح الإسلامية في تعليم العربية لغير الناطقين بها»، السجل العلمي للندوة العالمية الأولى لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، جامعة الرياض، ١٩٨٠م.

الرسمية والمدارس العصرية وامتحانات المنافسة للوظائف المركزية والإقليمية الإدارية. ومن أجل تعلّم هذه اللغة اضطرّ الطلّاب الباكستانيون إلى الدخول في المدارس الإنجليزية، وتركوا تعلّم اللغة العربية وبخلوا على القرآن الكريم بالوقت الذي كانت تبذله الأجيال السابقة في استظهاره واستيعابه.

ولا يكفي أن نتهم الاستعمار وحده في هذه البلاد؛ لأننا مازلنا ولا نزال بعد الاستقلال أيضاً نفضّل اللغة الإنجليزية، وأن الجهود والمساعي التي بُذلت ولا تزال تُبذل في تعليم اللغة العربية للطلاب الباكستانيين ضيقة ضئيلة بالمقارنة مع الجهود التي تبذلها بعض الدول الأوروبية والغربية في تعليم اللغة العربية، بغض النظر عن الأهداف والمرامي من وراء ذلك. فنرى مثلاً أن تعليم اللغة العربية في أمريكا بدأ منذ وقت مبكر لسد احتياجاتها السياسية والثقافية. واتسعت فيها المراكز والمعاهد لتعليم العربية، كما أنشأت الدول الأوروبية معاهد للعربية كذلك، وعلى رأسها: مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، وجامعات كمبردج وآكسفورد وإدنبره ببريطانيا والسوربون بفرنسا وبرلين بألمانيا وروما والبندقية وصقلية بإيطاليا وجامعات أخرى في سويسرا وهولندا.

وكذلك فإننا نرى أن الدول العربية والإسلامية تقوم بخدمة اللغة العربية والنهوض بها، وتخطط لذلك بين فينة وأخرى بما تعده من المشروعات والبرامج، ولكننا نحن في باكستان قد قصّرنا في حق اللغة العربية تقصيراً، حتى أن مستواها قد ضعف عمّا كان عليه قبل إنشاء باكستان واستقلالها، ولم تعد لها المكانة التي كانت تحتلها في المقررات الدراسية خلال عصر الاستعمار البغيض.

ونودّ أن نشير إلى نقطة مهمة جداً هي أنه لا يوجد في باكستان التنسيق الشامل بين تعليم اللغة العربية في الكليات وبين تعليمها في الجامعات، وذلك لأن إدارة الكليات تختلف تماماً عن إدارة الجامعات. فالطلاب الذين يدرسون اللغة العربية في مرحلة البكالوريوس ينقسمون إلى قسمين: قسم منهم يدرس اللغة العربية كمادة اختيارية ومساعدة له، وتكون مواده الأساسية هي: العلوم السياسية، علم الاقتصاد، الفلسفة، التاريخ، اللغة الأردية، اللغة الفارسية، وغيرها، فيكفي لطلبة هذا القسم في هذه المرحلة أن يتعلموا قراءة النصوص العربية المتصلة بمواده وترجمتها إلى اللغة الأردية فقط. والقسم الثاني الذي تكون اللغة العربية هي المادة الأساسية له، ففيه ينوي الطالب

أن يكمل دراساته العالية من الماجستير والدكتوراه في اللغة العربية. إذن من المفروض، حين ينتهي من دراسة البكالوريوس، أن يكون متمكناً من قراءة النصوص العربية الحديثة بجميع أقسامها، وتكون مرحلة الماجستير هي التوسّع في الدراسة والتمرن في كتابة الأبحاث والمقالات والتعرف على الاتجاهات والنزعات في اللغة والأدب، ولا يمكن هذا إن لم يكن الطالب قد أتقن اللغة العربية في مرحلة البكالوريوس وعرف قيمة النصوص، وإلا فإنه يجابه مشكلة كبيرة في مرحلة الماجستير؛ لأن المواد التي يدرسها في هذه المرحلة كثيرة ومتنوعة، وتكون جديدة ومعقدة بالنسبة له، فهو في هذه المرحلة يدرس النقد العربي وتاريخ النقد، كما يدرس البلاغة والعروض وتطور اللغة في الأدوار المختلفة، ويدرس النصوص العربية القديمة شعراً و نثراً التي تحتاج إلى حنكة وخبرة ومهارة لفهمها ودراستها، كالنصوص التي يقرأها من كتاب الكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ والشعر والشعراء وأدب الكاتب لابن قتيبة والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني والأمالي لأبي علي القالي.

ولاشك أن هذه المواد كلها ذات قيمة علمية أدبية كبيرة، ولكن ماذا يستفيد منها الطالب وهو لايعرف مبادئ اللغة العربية ولا يفهم النصوص؟ لذلك يبقى في حيرة ويتخبط خبط عشواء. فعادة يدرس الأساتذة في أكثر الجامعات الباكستانية هذه النصوص ويشرحونها لطلاب الماجستير، كما تُشرح النصوص للطلاب الصغار في المدارس الثانوية وهي أدنى من مرحلة البكالوريوس، ولذلك نرى أنه لابد من التنسيق الشامل بين مرحلة البكالوريوس ومرحلة الماجستير في الجامعات الباكستانية، وينبغي تركيز الجهود لوضع المناهج في مرحلة البكالوريوس؛ لأن الطالب يتزود في هذه المرحلة ويجهز نفسه للمراحل القادمة، وأن هذه المرحلة هي نقطة انطلاق كما هي مفترق طرق.

وكذلك ينبغي أن تكون مرحلة تدريس النقد الأدبي والبلاغة والفصاحة والعروض والقوافي والفنون الأخرى بعد أن يتقن الطلاب اللغة العربية أولاً؛ لأن فكرة النقد العربي والملكة البلاغية والمهارة العروضية تأتي بعد إجادة الطلاب اللغة العربية. ولعمري ماذا يستفيد الطالب بقراءة المختصر والمطوّل للتفتازاني ودلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني والكافي في العروض والقوافي للخفاجي وأدب الكاتب لابن قتيبة والأمالي لأبي علي القالي والنقد الأدبي لأحمد أمين وأصول النقد العربي لأحمد الشائب، وهو لا يقدر أن يقيم جملة واحدة من هذه الكتب العلمية والفنية؟!

ونقول بصراحة، ولا يخفى على أحد أن أغلب الطلاب في الجامعات الباكستانية، وحتى بعض الأساتذة في حالات خاصة، لا يقدرون على التذوق العربي الصحيح، وهم بعيدون عن التحلي بالقدرة الكاملة على فهم اللغة العربية، بل إن أكثر الطلاب عاجزون عن قراءة الكتب العربية قراءة صحيحة. إذن كيف يمكنهم أن يتوصلوا إلى تذوق النقد العربي في اللغة العربية؟ وكيف يمكنهم أن يتمكنوا من التلذّذ ببلاغة وفصاحة اللغة العربية وآدابها؟ فهم لايدركون فحوى الموضوع، كما لايدركون روح الفن من قريب أو بعيد. وقد ذكر الدكتور مير ولي خان مستوى الطلاب الجامعيين ناقداً قائلاً:

«لا ترضى أية جامعة في العالم العربي الحاضر بأن تمنح شهادة عالية في اللغة العربية إلى طالب لا يستطيع أن يعبر عن نفسه باللغة العربية، أو يكتب فيها مقالة أو طلباً أو رسالة بسيطة، ولكن مع الأسف الشديد نجد أن الطالب في الجامعات الباكستانية لا يقدر على أن ينطق نطقاً صحيحاً حتى بجملة واحدة، بل إنه لايستطيع أن يكتب طلباً بسيطاً باللغة العربية، ومع كل هذا فإنه ينجح في اللغة العربية، بل يفوز بدرجة جيدة في هذه اللغة. وهذه ممارسة غير صحيحة في الجامعات الباكستانية، بل هو أمر يؤسَف له؛ لأن هذا العمل لايساعد قطعاً الطالب وإنما يعرقل تطوير اللغة العربية في باكستان».[١]

وندرك مما تقدم أن أكثر الطلاب المتقدمين للقبول في أقسام اللغة العربية في الجامعات الباكستانية يكون مستواهم اللغوي والعلمي ضعيفاً ورديئاً، والسبب في ذلك أن أغلبيتهم لايتمتعون بخلفية ثقافية في العربية و آدابها، وبمجرد نيل شهادة البكالوريوس في الآداب بمادة اللغة العربية ذات المئتي درجة يستحق الطالب القبول في درجة الماجستير باللغة العربية في جميع الجامعات الباكستانية، ويقضي فيها مدة عامين في الدراسة فينال بعد ذلك شهادة الماجستير في العربية، فالطالب الذي لم يقم بدراسة اللغة العربية طول حياته الدراسية إلا بمدة حوالي عامين فقط، كيف نتوقع منه أن يصبح من أصحاب الكفاءات فيها؟![٢]

١- خان، مير ولي، الدكتور، «كيف يمكن للطالب الباكستاني أن يتقن اللغة العربية فهماً ونطقاً وكتابة؟»، مجلة المجمع العربي الباكستاني، المجلد: ١، العدد:١، ١٩٩١م، ص: ١٠.

٢- قد اختلف الوضع بحيث تطوّرت مناهج تعليم اللغة العربية في بعض المؤسسات والجامعات مثل الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد وجامعة الرشيد بكراتشي وجامعة دار العلوم بكراتشي وغيرها كثيراً، فهذا النوع من المعاهد والجامعات الحكومية والدينية يهتم بتدريس اللغة العربية عن طريق المهارات اللغوية الأربع. (المحرر)

والجدير بالذكر هنا أن هناك طلاباً منتسبين غير الطلاب النظاميين، وهم ليسوا بقليلين، لايدرسون اللغة العربية لمدة عامين كما يدرس فيها الطلاب النظاميون في الجامعات، بل يقومون بدراستها في منازلهم معتمدين في ذلك على جهودهم الشخصية بشكل عام، غير أن لديهم حق المشاركة كذلك في امتحانات جميع جامعات البلاد كطلاب منتسبين، ومن هؤلاء من لا يدرس إلا في الفترة المتأخرة جداً والقريبة من الامتحانات، ويقوم بتحضير الامتحانات بمساعدة مدوناتهم ومذكراتهم الموجزة وخلاصات وكتيبات تجارية أخرى.

وكذلك نرى من المناسب أن نذكر أن كتابة البحث العلمي تُعتبر جزءاً أساسياً من متطلبات الدراسات العليا في هيكل التعليم الجامعي الدولي، وبعبارة أخرى؛ إن البحث والتحقيق هما من أهم مسوغات بناء الجامعات ومبرراته، وانطلاقاً من هذا المبدأ العلمي تشتمل دراسة البكالوريوس في جامعات العالم على مدة أربعة أعوام جامعية، وطبعاً تأتى مرحلة البكالوريوس بعد إكمال اثنتي عشرة سنة في المرحلة المدرسية، وبعد إكمال البكالوريوس تستمر دراسات عليا نظامية لمدة عامين، وأحياناً ثلاثة أعوام بحسب الظروف، وذلك للحصول على شهادة الماجستير. ومن المعلوم أن تحضير البحوث والتقارير المتعلقة بجميع المواد الدراسية في مرحلة البكالوريوس، وكتابة الرسالة في مرحلة الماجستير، يعتبران من الأمور الدراسية الإجبارية في النظام التعليمي الدولي في الجامعات، غير أن كلاً من البكالوريوس والماجستير في الجامعات الباكستانية تستغرق دراسته مدة عامين[1] فقط، بدون تحضير بحث في درجة البكالوريوس مطلقاً، وبدون تحضيره إجبارياً في الماجستير، بل يمكن المشاركة لمن يرغب في امتحانات البكالوريوس والماجستير من الخارج كطالب منتسب بدون الحضور في الدروس الجامعية النظامية.

أما مناهج المدارس الدينية فكانت قد وُضعت منذ أكثر من ثلاثة قرون. وحتى الآن لم يحدث فيها أي تغيير، وهذه المناهج الدراسية تُعرف باسم الدرس النظامي؛ نسبة إلى عالم ظهر في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي عُرف باسم الملاَّ نظام الدين، ولاقى هذا المنهج الدراسي رواجاً عظيماً في جميع المدارس الدينية. وكان يحوي إحدى عشرة مادة مع كتب تختص بكل مادة، ثم بعد مُضيّ فترة من الزمن أضيفت إليه مواد أخرى، حتى

١- تبنّت الجامعات الباكستانية أيضاً نظام أربعة أعوام في مرحلة البكالوريوس منذ أكثر من عشر سنوات، غير أن النظام القديم أي البكالوريوس لمدة سنتين مستمر، ولكنه بدأ يتلاشى بحلول النظام الجديد. (المحرر)

تجاوز عدد المواد خمس عشرة مادة على النحو التالي:

١. الصرف: كتاب ميزان ومنشعب[١]، صرف مير[٢]، پنج كنج[٣]، زبدة[٤]، فصول أكبري[٥]، الشافية لابن حاجب.

٢. النحو: نحو مير[٦]، شرح مئة عامل[٧]، هداية النحو[٨]، الكافية[٩]، شرح الجامي على الكافية[١٠].

٣. المنطق: صغرى، كبرى،[١١] إيساغوجى،[١٢] تهذيب،[١٣] شرح تهذيب،[١٤] قطبى مير،[١٥] مرقاة،[١٦] سلَّم الأصول.[١٧]

٤. الحكمة والفلسفة: ميبذي،[١٨] صدره،[١٩] شمس بازغة.[٢٠]

١- لسراج الدين ابن عثمان بالفارسية.

٢- لمير سيد شريف أبو الحسن علي بن محمد بالفارسية.

٣- للشيخ نظام الدين المعروف بالحكيم النظامي باللغة الفارسية.

٤- لأبي الخير الفارسي بالفارسية.

٥- لعلي أكبر بن علي حسيني بالفارسية.

٦- لعلي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني بالفارسية.

٧- لعبد القاهر الجرجاني بالعربية.

٨- لمحمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي.

٩- لجمال الدين بن الحاجب بالعربية.

١٠- للملا عبدالرحمن الجامي بالعربية.

١١- الصغرى والكبرى كلاهما لمير سيد شريف الجرجاني.

١٢- لأثير الدين المفضل بن عمر الأبهري بالعربية.

١٣- لسعد الدين التفتازاني بالعربية.

١٤- لعبدالله بن شهاب الدين الحسين اليزدي.

١٥- لمير قطب الدين التحتاني الرازي بالعربية.

١٦- لفضل إمام بن محمد أرشد العمري الخير آبادي.

١٧- لمحب الله بن عبدالشكور البهاري بالعربية.

١٨- حسين بن معين الدين الميبذي.

١٩- صدر الدين الشيرازي المعروف بالملا صدرا.

٢٠- محمد هداية الله الرامفوري.

٥. الرياضي (الحساب): خلاصة الحساب[١]، تحرير أقليدس،[٢] تشريح الأفلاك.[٣]

٦. البلاغة: مختصر المعاني، المطول.[٤]

٧. الفقه: منية المصلي،[٥] نور الإيضاح،[٦] القدوري،[٧] شرح الوقاية،[٨] كنز الدقائق،[٩] الهداية.[١٠]

٨. أصول الفقه: أصول الشاشي،[١١] نور الأنوار،[١٢] توضيح التلويح،[١٣] مسلم الثبوت.[١٤]

٩. علم الكلام: شرح العقائد النسفية،[١٥] شرح عقائد الجلالي،[١٦] مير زاهد،[١٧] شرح المواقف.[١٨]

١٠. علم التفسير: الجلالين،[١٩] البيضاوي.[٢٠]

١- لبهاء الدين محمد بن حسين العاملي.

٢- لنصير الدين الطوسي.

٣- لبهاء الدين العاملي.

٤- كلاهما لسعد الدين التفتازاني.

٥- لسديد الدين الكاشغري.

٦- لحسن بن عمار الشرنبلاني أبو البركات.

٧- لأحمد بن محمد القدوري.

٨- لعبيدالله بن مسعود المحبوبي الحنفي.

٩- لعبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي.

١٠- لبرهان الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبدالجليل الفرغاني المرغيناني.

١١- لنظام الدين الشاشي.

١٢- لأحمد بن أبي سعيد ملاجيون الحنفي.

١٣- لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني.

١٤- لمحب الله بن عبدالشكور البهاري.

١٥- لسعد الدين التفتازاني.

١٦- لمحمد بن أسعد الدواني.

١٧- حاشية على شرح المواقف لمحمد «مير زاهد» بن محمد أسلم الحسيني الهروي.

١٨- لعلي بن محمد بن علي الشريف الحسني الجرجاني.

١٩- لجلال الدين المحلِّي، وجلال الدين السيوطي.

٢٠- أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي.

١١. علم الحديث: مشكاة المصابيح،[١] الصحاح الستة.

١٢. أصول الحديث: رسالة الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوي.

١٣. الفرائض: شريفية،[٢] السراجي.[٣]

١٤. علم المناظرة: الشريفية في فن المناظرة.[٤]

١٥. الأدب العربي: نفحة اليمن،[٥] المعلقات السبع، ديوان الحماسة لأبي تمام، ديوان المتنبي، مقامات الحريري.

ويشمل الدرس النظامي في المراحل الابتدائية والثانوية من التعليم مادة باسم اللغة الفارسية؛ ولها أهمية قصوى، وأما منهج مادة الفارسية فهو كما يلي:

١. النثر الفارسي: نسخة تعليمة،[٦] تعليم عزيزى،[٧] دستور الصبيان،[٨] إنشاء فائق،[٩] رقعات عالمگيري،[١٠] گلستان سعدي،[١١] مكتوبات أبى الفضل،[١٢] بهار دانش،[١٣] أنوار سهيلي.[١٤]

١- ليحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي.

٢- لعلي بن محمد بن علي الشريف الحسني الجرجاني.

٣- محمد بن محمد بن عبدالرشيد بن طيفور، سراج الدين السجاوندي.

٤- لعلي بن محمد بن علي الشريف الحسني الجرجاني.

٥- لأحمد بن محمد الأنصاري اليمني الشرواني.

٦- لعبدالعزيز صاحب آردي.

٧- لمؤلف مجهول.

٨- لمؤلف مجهول.

٩- لمحمد فائق (دستور الإنشاء).

١٠- لأورنك زيب عالمكير.

١١- لمصلح الدين بن عبدالله سعدي شيرازي.

١٢- لأبي الفضل بن مبارك.

١٣- لعنايت الله كمبوه لاهوري.

١٤- لحسين واعظ كاشفي.

٢. الشعر الفارسي: كريما،[١] نام حق،[٢] بوستان سعدي،[٣] يوسف زليخا،[٤] قصائد عرفي،[٥] سكندر نامه[٦] و غيرها.[٧]

وتبدأ الدراسة في المدارس الدينية باللغة الفارسية، فيدرسون فيها الكتب القديمة المقررة في النثر والشعر، ولا يقدر الطالب على الحديث والكتابة باللغة الفارسية وإنما يكفيه أن يفهم ما يقرأه. ثم ينتقلون إلى قواعد اللغة العربية، إلا أنهم لا يطبقونها عملياً، فلا يقدر أحد منهم، إلا ما شاء الله، على أن يتحدث باللغة العربية، فيدرسون مقامات الحريري وديوان الحماسة والمعلقات وشيئاً من ديوان المتنبي، ويدرسون بعض الكتب من البلاغة والمعاني والبديع، كما أنهم يدرسون الكتب الفلسفية والمنطقية القيمة التي تقوم على منطق اليونان وفلسفتهم، ثم إنهم يدرسون العلوم الدينية من الفقه وأصوله، ومن التفسير وأصوله، ما يؤهلهم ليفهموا الدين و يقوموا بدور رجال الدين.

وعندما نلقي نظرة على المناهج الدراسية في علم الصرف والنحو والبلاغة والأدب، نجد أنها كتب تقليدية لم تأخذ في اعتبارها نتائج الدراسات اللغوية الحديثة أو التقنية والتكنولوجيا التربوية المترتبة عليها. ومن حيث استخدام اللغة، نرى أن اللغة المقدمة في كتب تعليم اللغات تمثل لب العملية التعليمية، واللغة العربية، شأن معظم لغات العالم، ذات مستويات مختلفة في استخدامها، فعلى المستوى الزماني والرأسي نجد مستويين رئيسيين: أولهما: لغة التراث، ثانيهما: لغة الحياة المعاصرة، (مع الأخذ في الاعتبار أن الفرق بينهما لا يصل إلى حد اعتبار إحداهما غريبة عن الأخرى)، وقد تبيّن لنا من جدول المناهج أن الاتجاه الشائع في المنهج اعتماده على لغة التراث الصعبة في مفرداتها ومصطلحاتها وتراكيبها ومعانيها، ولا نجد كتاباً بالفصحى المعاصرة التي هي لغة الكتابة وأجهزة الإعلام والمحاضرات والأحاديث العامة واللقاءات الرسمية

١– لمصلح الدين بن عبدالله سعدي شيرازي.

٢– للعلامة عبدالحكيم شرف القادري.

٣– لمصلح الدين بن عبدالله سعدي شيرازي.

٤– للشيخ الجامي.

٥– لمحمد بن خواجه زين‌الدين على بن جمال‌الدين شيرازي.

٦– للشيخ النظامي گنجوي.

٧– خان، يوسف حسين، نظام التعليم في الهند خلال العصور الوسطى، مجلة ثقافة الهند، المجلد: ١٢، العدد: ٤، ١٩٦١م، ص: ٧٨، ٧٩.

والتعليم وغير ذلك من مجالات ثقافية وتربوية مختلفة.

ونرى من المناسب أن نذكر هنا أن لغة تدريس هذه المواد كلها هي اللغات المحلية، وعلى رأسها الأردية والبنجابية، وقد علق الدكتور مير ولي خان على هذه المناهج قائلاً:

«إن النظام الدراسي الرائج في المدارس الأهلية في باكستان نظام جيد للغاية، حيث إنه مفيد جداً لتعليم اللغة العربية، إذ يقوم الطالب فيه بالدراسة الحرة، ويبذل الجهود في أن يفهم اللغة العربية بمجهوده الخاص، أو بمساعدة قليلة من الأستاذ، حيث يقرأ الطالب الكتاب في هذا النظام أمام الأستاذ بينما يصحّح الأستاذ له إذا أخطأ، وهذه الطريقة المتبعة في الغرب حالياً بتعديل بسيط جداً، غير أن هذا النظام تنقصه الممارسة في التكلم باللغة العربية والتمرين على الكتابة في الموضوعات الإنشائية، إضافة إلى أن المناهج في تلك المدارس الأهلية عتيقة جامدة معقدة لا تساعد قطعاً الطالب على التقدم في اللغة العربية، بل تعرقله عن السير الطبيعي في تعلّم هذه اللغة، لأنها عقيمة تكسر رغبة الطالب والطالبة في الدراسة، إلى جانب جمودها وعدم فائدتها في تطوير اللغة العربية».[١][٢]

وبحكم هذه المناهج القديمة العقيمة؛ قلَّما يظهر عالم أو أديب يقدر على القيادة الدينية والفكرية على نطاق شعب، ورغم ذلك فقد ظهر فيهم عدد من العلماء لهم مؤلفات قيمة باللغة العربية والفارسية والأردية، كما ظهر فيهم بعض العلماء الذين كانوا يقدرون على اللغة العربية كتابة وحديثاً، لدرجة أن البعض منهم قام بدور هام في فكر البلاد وسياستها، ومع أن هؤلاء العلماء أقبلوا على تعلّم اللغة العربية بدافع ديني، لكن الناحية الدينية لم تصرفهم عن خدمة اللغة وآدابها من حيث اللغة والأدب، فقد مارسوا نشاطهم في مجال الأدب العربي شعراً ونثراً، و أبرزوا للناس دراسات أدبية قيمة تعد مفخرة للمكتبة العربية وتشهد لأصحابها بالبراعة والتفوق.

الصعوبات العامة:

قد مضى أكثر من خمسين سنة على ظهور باكستان في خريطة العالم، ولكن يؤلمنا ويؤلم جميع المسلمين الصادقين في هذه المنطقة أن اللغة العربية لم تُخدم كما ينبغي، ولم تأخذ

١- خان، مير ولي، الدكتور، «كيف يمكن للطالب الباكستاني أن يتقن اللغة العربية فهماً ونطقاً وكتابة؟»، مجلة المجمع العربي الباكستاني، المجلد: ١، العدد:١، ١٩٩١م، ص ١٠.

٢- وقد مضت سبعون سنة في عام ٢٠١٧ م و هو زمن تحرير هذا الكتاب (المحرر).

مكانتها في هذه الدولة الإسلامية على الرغم من الحصول على الاستقلال والخلاص من براثن الاستعمار، ولم يكن لها وجود ملحوظ طوال هذه المدة ولم تزدهر؛ مع أنه كان من المتوقع لها أن تنتشر في البلاد، نظراً إلى التقدم الكبير الذي حققته الأمة الباكستانية في حقول التعليم الأخرى من الطب والزراعة والصناعة والهندسة والمجالات الأخرى، لكنها تواجه صعوبات ومشاكل عديدة في تعليم اللغة العربية نلخصها هنا للفت أنظار المهتمين بالعربية، وندعو المسئولين في كل منها لتداركها، وبالله التوفيق:

١. إن أهل باكستان قد تحرروا من استعمار الإنجليز على أساس الإسلام، وحصلوا على وطن مستقل لهم بجهدهم المستمر المتواصل، ولكنهم لم يحصلوا على الاستقلال الثقافي عن الإنجليز، فاللغة الإنجليزية لغة إجبارية في باكستان حتى هذا الوقت، ويجب على كل طالب أن يدرسها كمادة إجبارية إلى مرحلة البكالوريوس، وبالإضافة إلى ذلك فإن العربية لا تدرس في المدارس الإنجليزية النموذجية مطلقاً، وكذلك لا يمكن لطلاب العلوم أن يختاروا هذه المادة في المدارس والكليات.[١]

٢. والمشكلة الثانية التي يجب ذكرها هنا هي أنه منذ عام ١٩٤٧م، أي بعد استقلال جمهورية باكستان الإسلامية، تحارب اللغة الأردية واللغات المحلية الأخرى (البنجابية والسندية والبلوتشية) اللغة العربية إلى جانب اللغة الإنجليزية، وذلك لأن اللغة الأردية مثل الإنجليزية قُررت لغة إجبارية في المدارس والكليات، وأصبحت اللغات المحلية بديلة للعربية في المواد الاختيارية، فعندما يختار الطالب الباكستاني لغة من زمرة اللغات غير الإجبارية؛ فطبيعي عندئذ أن يفضّل لغته الأم على لغة أخرى حتى ولو كانت هي العربية.

٣. المشكلة الثالثة هي عدم توفر العمل للمتخرجين، فالطلاب يقضون معظم حياتهم في تعلّم العلوم العربية، ويحصلون على شهادات عالية كالماجستير، ثم لا يجدون أي عمل لهم، فتخيب آمالهم، ويتأثر بهم الآخرون فيفضلون المواد الأخرى على اللغة العربية، ويرونها خير وسيلة للوصول إلى المراكز المهمة في الدوائر الحكومية.[٢]

٤. المشكلة الرابعة هي أن طرق تدريس اللغة العربية ليست حديثة، والأساتذة

١– جشتي، غلام حيدر، اللغة العربية في باكستان، المجلة العربية، العدد:٩، س ٢، ١٩٧٨م، ص: ٥٤.

٢– النقوي، محمد حسين، مشكلات تعليم اللغة العربية للباكستانين، خاصة في المرحلة الجامعية، الدراسات الإسلامية، المجلد ٢٤، العدد: ٢، ١٩٨٩م، ص: ٦٦.

لا يستخدمونها لتدريسها. ومن المعلوم أن تأهيل الأستاذ وتمكّنه من اللغة وتحضيره للدروس كل ذلك له دور فعال وهام في تنمية اللغة عند الطلاب، وله صدى بعيد في تنشيط الطلاب للإقبال على تعلّم اللغة العربية؛ لأن الطالب إذا فهم الدرس فبطبيعة الحال يجتهد في التعلّم أكثر، وبالعكس إذا لم يفهم الدرس فإنه يبقى كسلان مهملاً، وتنقص عنده الرغبة في التعليم تدريجاً، حتى أنه يترك تعلّم اللغة العربية نهائياً ويبحث عن الانتساب في مادة أخرى غير العربية. وهذا ما يحدث فعلاً في الكليات والجامعات الباكستانية بكثرة، ويرجع سببه الأصلي إلى أن الأستاذ يثقل على الطلاب في أولى محاضراته التي يلقيها عليهم، إذ يفاجئهم بكلمات غريبة ضخمة وعبارات غير مألوفة معقدة؛ تنفّر الطلاب من تعلّم اللغة العربية في اليوم الأول.[1]

وبالإضافة إلى ذلك، نشاهد المناهج والمقررات التي أُعدت لطلاب المدارس والكليات، فهي لا تساعد في عملية التعلّم من حيث العرض المناسب الذي يجذب الدارسين إلى اللغة العربية، أو الاستزادة منها أو تذوّقها، لأنها لا تحتوي على سلسلة متكاملة تغطي جميع المراحل في تعلّم اللغة العربية، ولا تحقق المستوى اللغوي المطلوب؛ الذي يمكّن الدارس من الثقة بنفسه في قراءة الكتب العربية وفهمها وإجادة الحديث والكتابة باللغة العربية السليمة. بل بالعكس من ذلك تساعد هذه المناهج في زرع النفور والكراهية في النفوس، لأنها تقدم اللغة العربية للطالب في دروس صعبة متلاحمة مع قواعد جافة مملة وعبارات ركيكة، ومن الأمثلة على ذلك ما قررته الوزارة الفيدرالية في مادة اللغة العربية وترجمة القرآن الكريم في المدارس الثانوية والمتوسطة، حيث يكثر في الكتب المقررة القواعد، وتقتصر المحتويات على القواعد فحسب، مع إهمال تام لمهارات اللغة من فهم المسموع والقراءة والتعبير الشفوي والكتابي.

الصعوبات التي تواجه معلمي اللغة العربية:

إن أكبر الصعوبات التي تواجه معلمي اللغة العربية وأهمها هي مشكلة عدم الاعتراف بمكانتهم الاجتماعية. فجميع المشاكل والصعوبات التي تواجه معلمي اللغة العربية وطلابها الباكستانيين ليست إلا نتيجة لهذه المشكلة، ولو لم تكن هذه لما كانت

---

١ - خان، مير ولي، الدكتور، كيف يمكن للطالب الباكستاني أن يتقن اللغة العربية فهماً ونطقاً وكتابة؟ مجلة المجمع العربي الباكستاني، المجلد: ١، العدد: ١، ١٩٩١م، ص: ١٤.

تلك، وتتلخص هذه المشكلة في النقاط الآتية.

١. على الرغم من القداسة والحرمة التي تتمتع بها اللغة العربية عند جميع أفراد الشعب الباكستاني، فهي لم تحظ – مع الأسف الشديد – بالصدارة التي تستحقها في النظام التربوي والإداري بباكستان، بل على العكس فإن الكلمة الأولى والأخيرة في جميع الأوساط التعليمية والكتلات الإدارية في باكستان هي للغة الإنجليزي؛ الذي دخل هذه البلاد في زي تاجر واحتلها وحكم عليها أكثر من قرن من الزمان، وخلّف فيها لغته الإنجليزية أداة غزو ثقافي ضد شعوب شبه القارة المضطهدة المغلوبة على أمرها، فإننا نرى اللغة العربية كذلك مضطهدة مغلوبة على أمرها كأصحابها المسلمين حتى يومنا هذا في هذه الأمصار والبلاد، ونرى أن الدرجات الوظيفية لمعلم اللغة العربية في المدارس الحكومية أقل من درجات معلم الإنجليزية ومعلم العلوم، وليس هناك أمل في ترقيتهم على السلالم الوظيفية مثل ترقية معلمي اللغة الإنجليزية عليها.

٢. إن أصحاب الثقافة الإنجليزية يتمتعون بمناصب الدولة الإدارية والحساسة، وأما أصحاب الثقافة العربية فأكبر منصب في حياتهم – وهذا يمكن لو كانوا من أصحاب الحظ الأكبر – هو منصب معلم اللغة العربية في المدارس الثانوية براتب لا يكسو بدناً ولا يشبع بطناً.[١]

وهناك مشكلة أخرى تواجه معلمي اللغة العربية هي مشكلة الوسائل التعليمية الحديثة، فإن المعلم أو الطالب لمادة اللغة العربية لا يزال يتبع الطرق والوسائل القديمة العقيمة،[٢] والحقيقة العلمية أن الوسائل التعليمية المعاصرة لها دور فعال ومتميز في تدريس اللغات وتكوين المهارات اللغوية، أي الاستماع والنطق والقراءة والكتابة، فالصور والرسوم والخرائط والبطاقات والصور الضوئية وبطاقات القراءة والأسئلة والأجوبة والمفردات والتسجيلات الصوتية وأفلام القراءة وجهاز العرض العلوي والحاسب الآلي، كلها من الوسائل التي تقوم بإسهام كبير وتلعب دوراً فعالاً في عملية تعليم اللغات وتعلّمها، ولكنه من المؤسف أن الطالب الباكستاني بشكل عام، وبسبب

١– النقوي، محمد حسين، مشكلات تعليم اللغة العربية للباكستانين، خاصة في المرحلة الجامعية، الدراسات الإسلامية، المجلد ٢٤، العدد: ٢، ١٩٨٩م، ص: ٦٧.

٢– أظهر، ظهور أحمد، تقرير عن أوضاع الثقافة الإسلامية واللغة العربية في باكستان، مجلة المجمع العربي الباكستاني، المجلد: ١، العدد: ١، ١٩٩١م، ص: ٢٦.

ظروفه الخاصة، لا يتوفر له معظم هذه التسهيلات، ولذلك عدة أسباب منها:

أ- إن ميزانية المؤسسات التعليمية الحكومية في باكستان محدودة، فليست لديها إمكانية كافية لاشتراء تلك الوسائل.

ب- وإن معلمي اللغة العربية في المدارس بباكستان بشكل عام ليست عندهم معرفة ولو بسيطة باستعمال هذه الوسائل.

وهناك مشكلات أخرى تواجه معلمي اللغة العربية في الجامعات الباكستانية بصورة خاصة، منها أن الطلاب الذين يلتحقون بالجامعات في مرحلة الماجستير يكونون على مستويات مختلفة من معرفة اللغة العربية؛ فمنهم من تخرجوا في المدارس الدينية الأهلية ودرسوا اللغة العربية وتعلموها مدة غير قصيرة وألَـمُّوا بجوانب كثيرة منها. ومنهم من يأتون من المدارس والكليات الحكومية وقد درسوا فيها اللغة العربية في المراحل المتوسطة فقط، أو في المراحل الثانوية فقط. ومنهم من يلتحق بالأقسام العربية بالجامعات ولم يدرس العربية في حياته إلا في مرحلة البكالوريوس فقط. فعندما يجتمع هؤلاء كلهم في فصل دراسي واحد، وهم على هذه المستويات المختلفة، وعلى المعلم الجامعي أن يدرّسهم مقرراً واحداً، فهل يمكن أن نتصور مشكلة المعلم الذي عليه أن يعلّم هؤلاء معاً؟ فكيف يدرّس الذين ليس لهم إلمام بألف باء العربية مع أولئك الذين قد درسوا مدة طويلة ويدرسهم مقرراً واحداً؟ وعليه أيضاً أن يكمل المقرر خلال السنة الدراسية المحددة، فإذا حاول أن يرفع هؤلاء إلى المستوى العالي المناسب للجامعة، أو على الأقل حاول أن يقربهم بالمستوى الدراسي في الفصل، يفوت عليه إتمام المقرر، ولو انصرف إلى تدريس المقرر وتكميله في الموعد الدراسي اضطر إلى إهمال تعليم هؤلاء الضعاف، فما أرضى ضميره ولا أدّى واجبه المهني، ويصبح غير قادر على أداء هذا ولا على تكميل ذلك.[1]

الصعوبات التي تواجه دارسي اللغة العربية:

من المعلوم أن الدارس الذي يقبل على تعلّم لغة أجنبية يجد فيها بعض الظواهر اليسيرة السهلة، بينما يجد بعضها الآخر في غاية الصعوبة والعسر، وذلك لأن اللغة الأمّ تتداخل في قوانين اللغة الهدف في بعض الأحيان، ومن المعلوم أيضاً أن بعض قوانين

١- من تجاربي الذاتية في التدريس بقسم اللغة العربية بجامعة بنجاب بلاهور، باكستان.

اللغة الأمّ يماثل اللغة الهدف، غير أن كثيراً من قوانين اللغة الأم يخالف قوانين اللغة الهدف، وقد يكون الاختلاف كلياً؛ وهو أمر نادر، وقد يكون جزئياً في بعض الصفات مما قد يخدع الدارس فيعمم قانون لغته الأم على قانون لغته الهدف، دون انتباه إلى قيود اللغة الهدف في ذلك، فيعتقد الدارس بسبب هذا التداخل اللغوي بين لغته الأم ولغته الثانية أن الأخرى مقاربة للغته وسهلة في التعلّم، بينما هي تتميز بالفروق الدقيقة التي تحتاج إلى تحليل دقيق وفحص عميق، وكذلك هي حال التداخل والتشابه بين اللغة الأردية واللغة العربية؛ فإن كلتيهما متشابهتان إلى درجة كبيرة في الأبجدية والمفردات والأصوات، فالطالب الباكستاني الناطق بالأردية يواجه صعوبات التشابه والتماثل عندما يبدأ يتعلم اللغة العربية، ونستطيع أن نقسم هذه الصعوبات إلى ثلاثة أنواع هي:

١. صعوبات في الأصوات.

٢. صعوبات في القواعد.

٣. صعوبات في المفردات.

١. صعوبات في الأصوات:

إن الطالب الباكستاني حين تعلمه اللغة العربية يتعرض لسماع أصوات لم يسبق له سماعها أو نطقها، ويواجه بألوان مختلفة من النبر والتنغيم والمقاطع التي لم يتعود عليها جهازه السمعي والصوتي، وتتركز المشكلة هنا في عدة مواضع؛ فهي تبدأ بخطأ في السمع عندما يتلقى جهاز السمع صوتاً غريباً لم يألفه من قبل، فيفسره بأقرب الأصوات إليه في اللغة الأم. فعلى سبيل المثال يوجد في اللغة العربية ثمانية وعشرون صامتاً، وهذه الصوامت كلها مستخدمة في اللغة الأردية، وتشكل صعوبة وسهولة في نفس الوقت لناطق الأردية عندما يتعلم اللغة العربية، وذلك لأنه عندما يرى الدارس صوامت لغته الأم في اللغة الهدف يطبق نظام صوت لغته الأم على اللغة الهدف؛ فينطق الكلمات بالأصوات التي توجد في اللغة الأم مع أنها تختلف اختلافاً واضحاً عما هي عليه في نظامها الصوتي على الرغم من التشابه بينها، فمثلاً: الأصوات / ث/ ص/ ذ/ ظ/ ط/ ح/ع/ ق/ لا يوجد لها مماثل في اللغة الأردية، أما من ناحية الرموز الكتابية فهي مثل العربية، فالطالب الباكستاني الناطق بالأردية ينطق هذه الأصوات على النحو التالي:

ث	>	س	ط	>	ت
ص	>	س	ح	>	هـ
ض	>	ز	ع	>	ء
ذ	>	ز	ق	>	ك
ظ	>	ز			

وهذه الأصوات العربية ناشئة بالتفخيم والترقيق، والتفخيم هو تعظيم الصوت في النطق حتى يمتلئ الفم بصداه،[1] ففي نطق كل من الصوتين (ص، س) في كلمتي (صادق، سالم) يتبيّن لنا كيف أن الصاد تملأ الفم بصداها بخلاف السين، ويرتفع معها مؤخر اللسان نحو الحنك الأعلى، فإن وصل إلى الحنك الأعلى وانطبق عليه سُمّي إطباقاً، والإطباق جزء من التفخيم، وليس كل المفخمات تصل إلى درجة الإطباق، وأصوات الإطباق هي: ص، ض، ط، ظ، وبما أن مؤخر اللسان يستعلي نحو الحنك الأعلى فإن العرب يسمون التفخيم استعلاء، والتفخيم أعمّ من الاستعلاء، فكل استعلاء تفخيم وليس العكس.[2] وهكذا نرى أن ظاهرة التفخيم والترقيق والإطباق لم توجد في اللغة الأردية، رغم أن اللغتين (الأم والهدف) تستعملان أبجدية واحدة، ولكن بوجود فوارق صوتية كما هو الحال بين العربية والأردية. فقد تنجم أخطاء نطقية بسبب الشبه بين الرموز الهجائية مع الاختلاف في النطق، وذلك في حالات مثل:

وجود رمز كتابي واحد يعبّر عن صوتين مختلفيْن في اللغتين؛ فيميل الدارس إلى نقل الصوت المعبّر عنه برمز في لغته الأم إلى اللغة الهدف مثل: الرمز |ض| في العربية والأردية، حيث إنه يمثل صوتين مختلفيْن في النطق في كل لغة على حدة. فهو في العربية: صوت انفجاري مجهور كما في (رمضان)، ولكنه في الأردية صوت احتكاكي مجهور كما في (رمزان).[3]

١- عمر أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ١٣٩٦هـ، ص: ٢٨.

٢- بشر، كمال، علم اللغة العام، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥م، ص: ٨٨ وعمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص: ٢٨.

٣- صيني، محمود إسماعيل، الدكتور، والأمين، إسحاق محمد، التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٢م، ص: ٣.

فهذه المشكلات ليست مشكلات نطقية، بل هي في واقع الأمر مشكلات سببها التهجئة، فالناطق بالأردية يخطئ كثيراً في أداء الأصوات العربية التسعة المذكورة أعلاه بسبب عدم الممارسة على هذه الأصوات تفخيماً وإطباقاً وترقيقاً، أو عدم وجودها في لغته الأم، فهو لا يفرّق مثلاً بين المفردات التالية عند النطق:

ثار/ سار	صمت/ سمت	طاب/ تاب
عثر/ عسر	فصد/ فسد	مطر/ متر
غيث/ غيس	قص/ قس	شط/ شت
عمل/ أمل	حان/ هان	ظهر/ زهر
وعد/ وأد	سحر/ سهر	عظم/ عزم
شاع/ شاء	شبح/ شبه	فظع/ فزع
ضل/ زل	ذل/ زل	قفل/ كفل
رضع/ رزع	عذل/ عزل	رقد/ ركد
فرض/ فرز	عاذ/ عاز	شق/ شك

ويواجه الدارس الباكستاني في نطق /ء/ نفس الصعوبة، ففي نطق /ء/ العربية ينطبق الوتران انطباقاً تاماً؛ فلا يحصل مرور الهواء إلى الحلق مدة هذا الانطباق، ومن ثم ينقطع النفس، ثم ينفرج الوتران فيخرج صوت انفجاري نتيجة لاندفاع الهواء الذي كان محبوساً في حالة الانطباق التام، وهذا الصوت هو همزة القطع، فهمزة القطع العربية إذن صوت صامت حنجريّ انفجاريّ لا هو بالمهموس ولا بالمجهور.[١] أما الهمزة في

١- بشر، كمال، علم اللغة العام، ص: ٨٨.

الأردية فمعظم الباحثين لا يعدونها في هجاء الأردية، و لذلك لا نجدها في القواميس الأردية كحرف مستقل، يقول المولوي عبدالحق في كتابه «قواعد الأردية»:

«عد الهمزة في هجاء الأردية خطأ، الهمزة تقوم بدورها مع الياء والواو مثلما تقوم المدّة بدورها بالألف أو الواو، أي تمدد صوت الياء والواو مثلاً: «كئي»، «تئيں»، «كهاؤں»»[1]

وكذلك يقول الباحث فرمان فتحبوري عن الهمزة في الأردية:

«الهمزة خاصة بالعربية، وتأتي كحرف مستقل في بداية اللفظ ووسطه وآخره مثل: «أمر» و«سائل» و«سوء» و«ابتداء»، أما في الأردية والفارسية فالهمزة لا تُستخدم كحرف أصلي في اللفظ، ولذلك تُكتب وتُنطق المفردات المستعارة من العربية بدون الهمزة».[2]

فالدارس الباكستاني لم يتعود على أداء الهمزة العربية، فيتلفظ في مثل هذه الكلمات تلفظاً خاطئاً تحت التأثر بلغته الأم، فينطق القارئ < القاري، والدعاء < الدعا، والدواء < الدوا، والمسألة < المسلة.

أما / ق/ فمعظم ناطقي الأردية لا يحسنون أداءها فينطقونها / ك/ ، فيجعلون القلب < الكلب، والقائل < الكائل. ويقول الباحث شرف الدين الإصلاحي بهذا الصدد:

«القاف صوت عربي صرف، اختارته الهند تحت تأثير اللغة العربية، ونطقه معروف في البيوت التي تهتم بقراءة القرآن».[3]

وأما فيما يتعلق بالاجتناب عن التداخل الصوتي والتغلب على المشكل النطقي التعليمي، فمن المعلوم أن الإنسان يولد وجهاز نطقه قادر على أي صوت وفي أي نظام لغوي كائناً ما كان، وثمة في جهاز نطقه عدد معين من العضلات التي لكل منها عمل معيّن، على أنها تتحرك دفعة واحدة في تناسب وتوافق بعضها مع بعضها الآخر؛ بما يؤدّي في النهاية إلى نطق الصوت المراد نطقه، وفي العادة يبدأ الإنسان منذ مرحلة الطفولة بترويض جهازه على وضعية من الحركات بعينها هي الوضعية اللازمة لإنتاج الأصوات في لغته الأم، فيشب وقد اكتسب ملكته في النطق بنحو ما تدرّب عليه منذ

١- عبدالحق، المولوي، قواعد أردو، باكستان، لاهور، بدون التاريخ، ص: ٣٣

٢- فتحبوري، فرمان، اردو املا و رسم الخط، كراتشي، جامعة كراتشي، بدون التاريخ، ص: ٢٢.

٣- إصلاحي، شرف الدين، روابط السندية والأردية، لاهور، نيشنل بك فاونديشن، ١٩٨٦م، ص: ١٥٦.

الصغر، وفي ضوء هذا الوضع يكون طبيعياً أن يواجه المرء مشكلة نطقية إذا أراد أن ينطق أصواتاً لا عهد له بها في لغته الأم، وإزاء هذا المشكل النطقي يكون المرء مضطراً إلى إحلال أصوات اللغة الأم في اللغة الهدف.

ولكن هذا العيب ليس من العيوب التي لا تُعالج كالخرس والحبسة، وبإمكان علم الأصوات العلاجي أن يقدم للدارس تدريبات معينة، فتعينه على التحكم في حركات لسانه في أوضاع مختلفة داخل الفم وخارجه، حتى يصل به إلى الغاية المنشودة أو قريباً منها.

ويجب على معلم العربية أن يتغلب على هذه المشكلة بتدريب الدارسين على التمييز بين الأصوات بطريقة الثنائيات الصغرى، وذلك مثلاً بعرض الصوت المطلوب في مجموعات زوجية متقابلة، تشتمل إحداهما على الصوت الجديد والأخرى على أقرب الأصوات شبهاً بذلك الصوت الذي يجنح الدارس إلى الخلط به، فمثلاً يتلو المعلم الأزواج المتشابهة من الكلمات ويسأل الطلاب عما إذا كان الذي يتلوه هو نفس الشيء أو أنه مختلف؟ فإذا كان يدرس / ص/ فيقول: صام – سام ويسأل عما إذا كان هناك فرق بين الكلمتين أم لا، أو يقرأ صام – صام ويسأل نفس السؤل، وهكذا يقرأ المعلم الكلمة ويحاكي الطلاب حسب ما يسمعون، ويكرر التمرين حتى يتأكد من قدرة الطلاب على التمييز بين / س/ و / ص/ .

٢ . صعوبات في القواعد:

من المعروف أن اللغة الأردية تنتمي إلى الأسرة الهندية الآرية للغات، بينما اللغة العربية من الأسرة السامية، فلا تتشابه الأردية والعربية في تركيب الجمل وترتيب الكلمات النحوية والصرفية، وإن معظم أفعال الأردية وضمائرها وحروفها هندية الأصل، واللغة العربية لغة اشتقاقية متصفة بنظام المادة والمصادر والمشتقات. ولكن على الرغم من هذا التباعد البيّن؛ فقد دخل كثير من التراكيب النحوية والصرفية العربية والأساليب العربية للتحيّة والتهاني والتعازي في اللغة الأردية، وكذلك أخذت الأردية من العربية كثيراً من مصادر الثلاثي المجرد والمزيد فيه والرباعي المجرد والمزيد فيه، وأصبحت جزءاً لا ينفك منها، كما أشار إلى ذلك المولوي عبدالحق قائلاً:

«توسّعت الأردية بسبب العربية والفارسية من ناحية اللغة والنحو، فازداد جمالها وبهاؤها، وتضاعفت صلاحيتها في الاتصال اللغوي».[1]

أما الصعوبات التشابهية في القواعد، فيوجد لدى الطالب الباكستاني اتجاه نقل البنية النحوية من لغته الأم إلى اللغة العربية، فهو ينقل صيغ الجملة وأنماط العدد والجنس والحالات الإعرابية، وهذا يحدث بطريقة لا شعورية؛ فمثلاً في اللغة الأردية تسبق الصفة الموصوف، والمضاف إليه يأتى قبل المضاف. والدارس عند تعلّم اللغة العربية يخطئ في تكوين مثل هذه التراكيب بقياسه الخاطئ على لغته الأم، فيسبق النعت المنعوت ويقول: كبيرة جامعة، صالح رجل، مجتهدة طالبة، وما إلى ذلك. وكذلك قد يقدم المضاف إليه على المضاف ويقول: زيد كتاب، الحكومة مدرسة، الرجل بيت.

ويمكن أن يخطئ أيضاً في العدد والجنس والتعريف؛ لأن الصفة في اللغة العربية تتغير تبعاً للعدد والجنس والتعريف والحالة الإعرابية، خلافاً للأردية، فيقول مثلاً: جاء الطلاب المجتهد، أو رأيت اثنان رجلاً. وقد يخطئ الدارس في التذكير والتأنيث، فكثير من الأسماء المذكرة في اللغة العربية تؤنث في الأردية، مثل: كتاب، سرير، كرسي، فيقول: هذه كتاب، وهذه سرير، وهذه كرسي، ويخطئ في استخدام الصلات كثيراً جداً، ففي الأردية تأتي صلة «على» مع كلمات: ظلم ورحم وركب وآمن وقنع ووثق ووصل، فيقيس الدارس عليها ويقول في العربية: ظلمت علينا، أو ارحم علينا، أو ركبت على الحافلة، وكذلك يقول: آمنت على الله، ولا تقنع على الأدنى، ووثقت عليه، ووصل القطار على المحطة، وكذلك تأتي صلة «مِن» في الأردية مع كلمات: خاف ودعا وكره وسمع واتقى، فينقل هذه الصلات من لغته الأم إلى اللغة العربية ويقول: خاف من الحية، ودعا من الله دعاء، وأكره من الكذب، وسمعت منه، واتقوا من الله، وغيرها. ويمكن أن يخطئ في تركيب الجمل الفعلية، لأن تركيب اللغة العربية على العكس تماماً من التركيب الأردي، ففي الأردية يأتى الفاعل ثم المفعول والفعل، فيقول الدارس خاطئاً: زيد كتاباً قرأ، وعلي طعاماً أكل.[2]

١- عبدالحق، المولوي، قواعد اردو، ص: ٩.

٢- هذه مجرد أمثلة افتراضية قد يقع الدارس في بعض منها، رغم أن الموازنة بين التركيب الأردي والتركيب العربي حقيقة لغوية. (المحرر)

٣. صعوبات في المفردات:

تنتج السهولة أو الصعوبة عن التشابه والاختلاف في المفردات من حيث الشكل والمعنى بين اللغتين الأردية والعربية، فنجد تدخّل اللغة العربية في الأردية في حقل المفردات بنسبة مرتفعة جداً، فيبلغ عدد المفردات العربية في الأردية ما يقارب أربعين إلى سبعين في المئة، وهذه الظاهرة تجلب السهولة والصعوبة في نفس الوقت، ويمكن لنا أن نقسم المفردات العربية في الأردية إلى نوعين:

أ. المفردات التي وردت في الأردية فتغيرت صيغتها، فلبست لباس اللغة الجديدة، وانصبغت في قالبها، مثل كلمات: ليكن، طمانيت، تميز، تمنا، تماشا، ورا، التي كانت في الأصل: لكن، طمأنينة، تمييز، تمنى، تماشى، وراء.

ب. المفردات العربية التي دخلت إلى الأردية ولم يحدث فيها تغيير لفظي أو إملائي، فتُستخدم بنفس الشكل الذي في العربية، وقد سماها بعض الباحثين الكلمات المستعارة،[١] ولها نوعان من ناحية المعنى:

١. المفردات المتشابهة في الشكل والمعنى، وتوجد في الأردية واللغات المحلية الباكستانية الأخرى مئات بل آلاف[٢] من الكلمات والعبارات العربية التي ظلت ولا تزال باقية على شكلها ونطقها الأصليين، ومن أشهرها و أكثرها تداولاً كلمة «بالكل» التي تستعمل للتأكيد، أو لما يرادف الكلمات العربية مثل: تماما، قط، قطعاً، كلياً، وكذلك من الكلمات العربية كلمة «وغيره»؛ فهي تُستخدم بالمعنى نفسه في اللغة الأردية، و كلمة «على حدة» التي تُكتب بالأردية «عليحده»[٣] – وصلاً – لا تزال باقية صيغتها الأصلية في اللغة الأردية بدون تغيير في المعنى، وأيضاً من الكلمات العربية «ما حول» الشائعة الاستعمال في الأردية، وتُستعمل بمعنى الجو السائد أو المحيط.

٢. المفردات التي تتشابه في الأشكال وتختلف في المعاني، وهي التي تشكّل صعوبة على درجة عالية جداً، ومنها مثلاً: كلمة «اتفاقية»،[٤] تشترك بين اللغتين إملاء وكتابة

١– إحسان الحق، الحافظ، الدكتور، «جوانب صعوبة التشابه والاختلاف بين اللغتين العربية والأردية»، الدراسات الإسلامية، إسلام آباد، المجلد ٢٣، العدد: ١، ١٩٨٨م، ص: ٧٠.

٢– الدراسات التقابلية الحديثة لا توافق على هذا العدد، وذلك لأن عدد هذا النوع من الكلمات قليل جداً. (المحرر)

٣– يختلف نطق الصوت /ح/ في الأردية وفي هذه الكلمة أيضاً. (المحرر)

٤– تُكتب هذه الكلمة في الأردية: اتفاقيه (المحرر)

ولكنها تدل على معنيين مختلفيْن تماماً، فبالعربية معناها: معاهدة، وبالأردية معناها: فجأة وصدفة، وكلمة «عمدة»[1] في العربية تعني: رئيس القرية، وفي الأردية جيد وطيب، وكلمة «محنة»[2] في العربية تعني: بلاء، وفي الأردية: مشقة وجهد، وكلمة «غريب» في العربية تعني: أجنبي، وفي الأردية: فقير، وكلمة «دفتر» في العربية تعني سجل، وفي الأردية: مكتب، وكلمة «هجوم» في العربية تعني: حملة، حمل على، وفي الأدية: ازدحام، وما إلى ذلك من المفردات الكثيرة التي تشكّل صعوبة على الدارس الباكستاني للغة العربية، بسبب التشابه شكلاً والاختلاف معنى.

خلاصة البحث:

قد أسفر هذا البحث عن تعليم اللغة العربية في باكستان وبيان مشكلاته وتقديم بعض الحلول لها، ومما تقدم نصل إلى النتائج التالية:

١. منذ سيطرة الاستعمار على هذه البلاد عُرف فيها نظامان للدراسة، الأول: حكومي، والثانى: أهلي، ولا تزال هذه الازدواجية باقية إلى الآن في باكستان. أما النظام التعليمي الحكومي فهو يتبع النظم التعليمية البريطانية، فيبدأ الطالب بالمرحلة الابتدائية ثم المتوسطة ثم الثانوية ثم الثانوية العالية ثم التخرج ثم الماجستير ثم ماجستير الفلسفة ثم الدكتوراه، ويقدم هذا النظام المدارس والكليات والجامعات، أما تعليم اللغة العربية في هذا النظام فيبدأ من الصف السادس، وتدرس اللغة العربية كمادة إجبارية[3] في الصفوف السادس والسابع والثامن فقط، أما بقية الصفوف الدراسية من الثانوية إلى البكالوريوس فتدرس فيها كمادة اختيارية يختارها الطالب من بين ثلاثين مادة اختيارية.

وأما الجامعات الباكستانية فيوجد فيها أقسام مستقلة لتعليم اللغة العربية وآدابها في مرحلة الماجستير والدكتوراه، غير أن هذا النظام من المدارس والكليات والجامعات الحكومية لا يوجد تنسيق شامل بين مناهجه الدراسية في المستويات المختلفة، فهي لا تخلو من نقائص عديدة، والمستوى العلمي للطالب الجامعي ضعيف رديء للغاية، ولذلك أسباب عديدة قد أسفر هذا البحث عن بعضها بالتفصيل.

١- تُكتب عمدة بالأردية: عمده (المحرر)

٢- تُكتب محنة في الأردية: محنت (المحرر)

٣- لم تعد الآن مادة إجبارية، غير أن هناك محاولات من قبل المهتمين بالعربية ومن قبل بعض أعضاء الجمعية الوطنية ومجلس الشيوخ لجعلها مادة إجبارية مرة أخرى. (المحرر)

وأما النظام الأهلي فينقسم إلى: المدارس الدينية الأهلية، والجمعيات والهيئات الأهلية، ونعني بالمدارس الدينية: المدارس التي تنظم دراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية على المستوى الأهلي. وهذه المدارس عبارة عن الكتاتيب والمدارس الملحقة بالمساجد في القرى والمدن في جميع أقاليم البلاد، ويشرف عليها رجال الدين. وإن هذه المدارس مظهر بارز من مظاهر عناية المسلمين باللغة العربية والعلوم الإسلامية في هذه البلاد، غير أن هذا النظام تنقصه الممارسة في التكلم باللغة العربية والتمرين على الكتابة والإنشاء، بالإضافة إلى أن المناهج في هذه المدارس الدينية الأهلية عتيقة جامدة معقدة، لا تساعد الطالب كثيراً على التقدم في اللغة العربية بل تكسر رغبته في الدراسة، إلى جانب جمودها وعدم جدواها في تطوير اللغة العربية.

٢. وتوجد مشاكل وصعوبات متنوعة وكثيرة في سبيل تعليم اللغة العربية في باكستان، منها صعوبات تعمّ المعلمين والدارسين والمهتمين باللغة العربية على السواء، ومنها ما يواجه معلمي اللغة العربية، ومنها ما يواجه دارسي اللغة العربية على وجه الخصوص.

وأخيراً وفي نهاية المطاف وخاتمة البحث، وفي ضوء ما تقدم من بيان المشاكل والصعوبات القائمة في سبيل تعليم اللغة العربية في باكستان، أود أن أتقدم ببعض المقترحات والتوصيات فيما يتصل بمعالجة تلك المشاكل والصعوبات وتداركها، ويمكن لنا أن نقسم هذه الاقتراحات والتوصيات إلى نوعين:

منها ما يتعلق بالحكومة الباكستانية:

١. يجب اتخاذ الخطوات التنفيذية نحو تطبيق السياسة التعليمية الجديدة في باكستان، لجعل اللغة العربية مادة إلزامية حتى الصف الثاني عشر، وتكوين لجنة فنية على مستوى رفيع لمراجعة مناهج تعليم اللغة العربية وإعداد الكتب والمواد التعليمية، والاستعانة في ذلك بالخبراء المواطنين والعرب.

٢. يجب أن يكون عدد أساتذة العربية مثل عددهم بالإنجليزية والأردية في جميع المدارس والكليات.

٣. يجب أن تكون اللغة العربية مادة إجبارية كاللغة الإنجليزية والأردية في كافة امتحانات المنافسة للوظائف المركزية والإقليمية والإدارية، وكذلك في امتحانات الضباط في النظام العسكري الباكستاني.

٤. يجب تزويد جميع المعاهد التعليمية التي تقوم بتدريس اللغة العربية بكافة التسهيلات والوسائل الحديثة، وعلى رأسها الكتب ومختبرات اللغة والوسائل السمعبصرية.

٥. دعوة الدول العربية والجامعات والمعاهد والمراكز المتخصصة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لمساعدة الجامعات الباكستانية؛ بإيفاد أساتذة اللغة العربية للتدريس والإشراف على البحوث العلمية في الدراسات العليا، والمعاونة في تدريب المعلمين، وتخصيص منح دراسية وتبادل الوفود والزيارات بين الجامعات الباكستانية وجامعات الدول العربية.

ومنها ما يتعلق بالحكومات العربية:

١. لابد من الكتب لتدريس أية مادة تدريساً حقيقياً صحيحاً، ولا شك أن كتب اللغة العربية في باكستان يتكون جلها من محتوى ليست له علاقة مع الحياة اليومية واللغة الوظيفية، فضلاً عن أن هذه المادة تكون مطبوعة على أوراق رديئة بخط رديء يضر بالبصر والذوق، وبدون الصور والرسوم الملونة اللازمة، وبدون مراعاة التدرج والتكامل والتخطيط المنهجي عند تأليف تلك الكتب، والترتيب التربوي في دروسها في المراحل الثلاث في تعليم اللغة العربية، وهي: الابتدائية، والمتوسطة، والمتقدمة. فيجب على مؤسسات النشر والتوزيع العربية والهيئات الحكومية المهتمة بنشر الكتب العربية في البلاد العربية الشقيقة أن تزوّد المعاهد التعليمية الباكستانية بكل ما يمكن من المطبوعات والكتب المدرسية والمناهج التعليمية.

٢. إن الجامعات السعودية، وعلى رأسها جامعة الملك سعود وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تعطي المنح المالية السخية للطلاب الباكستانيين للدراسة في هذه الجامعات وتقوية اللغة، وقد تخرجت دفعات عديدة من هذه الجامعات السعودية، ولكننا لا نراها في باكستان تقوم بدورها في خدمة اللغة العربية والثقافة الإسلامية على المستوى القومي والرسمي، ولعل السبب في ذلك أن معظم الطلاب الباكستانيين الذين يلتحقون بهذه الجامعات ينتمون إلى المدارس الدينية الأهلية، علماً بأن شهادات هذه المدارس غير معترف بها رسمياً في باكستان، وقد اعترفت الحكومة بالشهادة العالمية في العلوم العربية والإسلامية فقط التي تصدر من قبل المجلس التعليمي المسجل للمدارس، وبعد

الدخول في امتحان المجلس العام، ويُسمّى هذا المجلس بـ«وفاق المدارس».

ومعظم هؤلاء الطلاب عندما يرجعون - ولا يرجع معظمهم - إلى بلادهم بعد إكمال الدراسة في الجامعات السعودية، لا يجدون لهم مجالات في الوظائف الحكومية بسبب النقص في شهاداتهم، وكذلك بسبب تجاوزهم الحد الأقصى للعمر الذي هو شرط أساسي في الوظائف الحكومية، وبسبب عدم معرفتهم بالإنجليزية التي هي مادة إجبارية في جميع المستويات التعليمية في باكستان، فهم يشتغلون بالتجارة والأعمال الأخرى للحصول على أسباب الرزق ولا يجدون مجالاً لخدمة اللغة العربية والثقافة الإسلامية، فهكذا يضيع عليهم ما تنفق هذه الجامعات من مبالغ ضخمة.

أما طلاب الكليات والجامعات الحكومية؛ الذين يتولون بعد التخرج المناصب الحكومية من مدراء التعليم إلى وكلاء الوزارة ومن معلم اللغة العربية في المدارس الحكومية إلى أستاذ في الكليات والجامعات الحكومية، فهم محرومون من الاستفادة من مناهل العروبة هذه، ولا نعرف أسباب هذا الحرمان وعدم إتاحة الفرصة لهم، في حين أنهم أحق بكثير من طلاب المدارس الدينية الأهلية لأنهم لا يجدون فرصاً كثيرة لدراسة الثقافة والعقيدة الإسلامية الغرّاء في الكليات والجامعات الحكومية، فتبقى ألواح أذهانهم صافية خالية تتأثر بكل ما يُلقى إليها من الخرافات والضلالات في الحياة العلمية، وأما طلاب المدارس الدينية الأهلية فهم يدرسون الكثير من هذه المواد؛ فلذا نرى أنه لابد من تقديم منح كافية لطلاب اللغة العربية الممتازين في الكليات والجامعات الحكومية، وذلك لأن هؤلاء الطلاب عندما يرجعون إلى بلادهم بعد الارتواء من مناهل العروبة والثقافة الإسلامية العذبة لا يواجهون البطالة والتعطّل وعدم فرص العمل، بل يصبحون موظفين كباراً وأولي الأمر في مصلحة التعليم والتربية والدوائر الحكومية الأخرى، فيكون لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية وانتشارهما شأن آخر بسبب هؤلاء المحبين لهما والمهتمين بهما.

٣. رغم عدم التسهيلات لتدريس اللغة العربية في باكستان؛ فإنه يوجد إقبال ملحّ في قلب كل باكستاني مسلم على اللغة العربية، وإن كل أسرة ووالد ووالدة تتمنى أن يدرس ابنها وابنتها اللغة العربية ويتقنها، إذن؛ نرى أن يُنشأ معهد للغة العربية في باكستان ويشرف على أربع مدارس نموذجية خاصة على أحدث الطراز وأرقاه، تبدأ بتدريس اللغة العربية من المرحلة الابتدائية، ويمكن أن تهتم بذلك المملكة العربية

السعودية، علماً بأنها تمد البلاد الشقيقة في كل مكان وزمان، كما أنه ليس غريباً أو بدعاً ونحن نرى الجاليات الأجنبية في باكستان وغيرها تنشئ معاهد ومدارس متعددة، كمدارس الإرساليات البريطانية والأمريكية والفرنسية والإيطالية. وأن تكون هذه المدارس الأربعة موزعة بين: لاهور عاصمة إقليم بنجاب، وكراتشي عاصمة إقليم السند، وبشاور عاصمة إقليم سرحد،[1] وكوئته عاصمة بلوشستان، وأن ترعاها الجامعات السعودية وتحترم شهاداتها وتجعل لها امتيازاً، بحيث لا يقبل في معاهد اللغة العربية بالمملكة من طلاب باكستان إلا من كان حائزاً لشهادة من إحدى هذه المدارس، على أن يتسع نظام التعليم هذا في باكستان بعد ذلك، فتُنشأ مدارس ثانوية هناك، يؤخذ المتخرجون فيها للدراسات العليا في كليات الجامعات السعودية.

أما معهد اللغة المقترح، فبالإضافة إلى الإشراف على المدارس النموذجية، فإنه يقوم بتدريب المعلمين المكلفين بتعليم اللغة العربية في باكستان، ويجب أن يكون الأساتذة جميعهم من العرب المؤهلين لتحمل المسؤولية، ويتم التدريب في جوّ عربي خالص، وبذلك نتمكن من إعداد عدد أكبر من المعلمين بدل أن نرسل عدداً قليلاً إلى الجامعات العربية، حيث لا يجد الطالب الأجنبي جواً عربياً للفصحى التي لا توجد إلا داخل الفصل الدراسي في الجامعات العربية. ولاشك أن هذا من شأنه أن يثمر ثمرات طيبة، ويقضي على كل ألوان الضعف والرداءة التي نشاهدها في تعليم اللغة العربية في باكستان.

وبالله التوفيق، وهو نعم المولى ونعم النصير.

---

١ - أي خيبر بختون خواه. (المحرر)

مناهج تدريس اللغة العربية وآدابها في المدارس والجامعات الدينية في باكستان؛ تقويم واقتراح [1]

السيد محمد زاهد

نائب رئيس الجامعة الإسلامية الإمدادية، فيصل آباد

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛

فأرى من الواجب عليّ أن أتوجّه أولاً بالشكر الجزيل لجامعة الكلية الحكومية بفيصل آباد وقسم اللغة العربية وآدابها؛ على ما أتاحت لطالب علم عادي مثلي من الفرصة للإسهام في هذا المؤتمر العظيم، وفي هذه المناسبة الكريمة، وأثني بالتهنئة للقائمين على الجامعة عامة، والمسؤولين عن قسم اللغة العربية وآدابها خاصة، على ما قاموا به من خطوة إيجابية نحو هدف سامٍ بتنظيم هذا الملتقى العظيم.

اللغة العربية بين العالمية والعولمة:

لما علمت أن جامعة الكلية الحكومية بفيصل آباد عازمة على عقد مؤتمر حول اللغة العربية، وتفضّل فضيلة رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بتكليفي بالإسهام في هذا المؤتمر، أردت أن أبدأ حديثي بسؤال يطرح نفسه في مثل هذا الموقف وهو: لماذا الحديث عن اللغة العربية وآدابها والبحث عن سبل نشرها وطرق تطوير مناهج تدريسها في

---

١ - قدم المؤلف هذا المقال في مؤتمر أقيم بعنوان «دور العربية العالمي» بجامعة جي- سي، فيصل آباد باكستان عام ٢٠٠٥ء.

باكستان؟ اللغة الرسمية في باكستان هي الأردية والإنجليزية،[1] واللغة القومية هي الأردية، واللغات المحلية هي البنجابية والسندية والبشتوية والبلوشية، وما إليها من لغات شتّى ليست العربية منها، فما أهمية الحديث عن اللغة العربية بهذه البلاد التي ربما تبدو بعيدة الصلة عنها من الناحية اللغوية البحتة؟!

أردت أن أبدأ حديثي بالإجابة عن هذا السؤال، لكن لما اطلعت على البرنامج التفصيلي للمؤتمر رأيت أن منظميه قد كفونا –موفقين- الإجابة عن هذا التساؤل؛ حيث إن عنوانه«دور العربية العالمي». فالإحساس بضرورة جمع هذه النخبة من أساطين العلم والأدب للتنقيب عن الجوانب المختلفة لموضوع اللغة العربية وليد الإحساس بأن هذه اللغة العظيمة ليست لغة شعب من الشعوب أو منطقة من المناطق، و إنما هي لغة عالمية لا يمكن تحديدها بالحدود السياسية أو الجغرافية أو العنصرية الضيفة، إنها أدت في الماضي دوراً عالمياً في شتّى مجالات الحياة، وأسعدت البشرية،ومن الواجب، ليس العربي فقط وليس الإسلامي فحسب بل من الواجب الإنساني، أن يعاد إليها دورها العالمي، وتُعاد هي الأخرى إلى أداء هذا الدور.

إن اللغة العربية التي نشأت ونمت في شبه الجزيرة العربية، بين واحات النخيل وكثبان الرمل، لم يكن بحسبان أحد إلى العقود السبعة الأولى من منتصف القرن السادس الميلادي أنها ستكون في يوم من الأيام لغة عالمية، لغة علم ومعرفة ترتوي من منهلها الأمم، وتروي غلَّتها الثقافية وتبني على ثرواتها ومعطياتها صرحها الحضاري، لم يكن أحد في ذلك الوقت ليتنبأ بذلك، لأن اللغة تعكس الحالة السياسية والاجتماعية والثقافية للناطقين بها، وكان العربي يعيش في ذلك الوقت حياة انطواء وانزواء بمعزل عما يُسمّى بـ«الأممية» أو «العالمية». يقول حنّا الفاخوري:

«وعزلة البدوي أنمت فيه الروح الفردية، فتعذّر عليه أن يرفع مستواه إلى مصاف الإنسان الاجتماعي المعروف بنزعته الأممية».[2] ويقول أيضاً:

«وهنالك نزعة تلفيها مسيطرة على الشعر الجاهلي هي النزعة التي تمتزج فيها الذاتية بالشخصية القبلية.... فالشاعر الجاهلي، شأن البدائي، أناني إلى حد بعيد، لا يكاد يرى

١- ومن الجدير بالذكر هنا أن دستور جمهورية باكستان الإسلامية ينص على أن رسمية اللغة الإنجليزية أمر مؤقت.

٢- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، منشورات ذوي القربى (بلد النشر غير مذكور)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ١/ ٨٥.

على مسرح الوجود إلا ذاته، ماثلة أمام عينيه منفردة أو متلبسة بالقبيلة والعشيرة».[1]

لكن شاء الله أن تكون هذه اللغة وعاء للرسالة الإلهية الخالدة، وقدّر الله أن يُكتب لها الخلود مع خلود هذه الرسالة، وأن تبرُزَ بفضل هذه الرسالة مواهبها وإمكانياتها الكامنة لأن تكون لغة عالمية واسعة النفوذ سريعة الانتشار والازدهار، وأن تكون لغة الدين والعلم، لغة البحث العلمي والاكتشافات العلمية، لغة الريادة الفكرية والقيادة الاجتماعية، لغة تفرض زعامتها على اللغات المتحضرة آنذاك.

نحن اليوم نعيش في عصر رقيّ باهر في وسائل الاتصال، عصر الدعوات المتجددة إلى العولمة، فبما أن العالم كله أصبح قرية كروية، بل بعبارة أصحّ بيتاً كروياً، كان من الطبيعي أن تظهر الدعوات إلى توحيد الأنظمة وجميع ما يشكّل الحياة، فالقرية الواحدة - بل البيت الواحد - لا يصلح فيه إلا نظام واحد، فاختلاف الأنظمة إنما كان قد جاء لتعسّر اتصالات الأمم بعضها مع بعض، فإذا تقلّصت البشرية في قرية واحدة فلا مبرر هناك إلى بقاء هذا الاختلاف، لكن هناك فرقاً بين العالمية والعولمة، فالعولمة معناها أن تجعل الشيء عالمياً، والعالمية أن يصير الشيء عالمياً. والعولمة تعني شيئاً تفرضه الدول القوية على البشرية أجمعها، والعالمية تعني أن تُترك البشرية وسجيتها وإرادتها فتختار شيئاً وهي على بينة من أمرها بغية وحدة النظم.

والإسلام دعا إلى العالمية قبل أربعة عشر قرناً، فأخبرنا أن الرب هو رب العالمين، وأن الكعبة هدى للعالمين، وأن الرسول أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، وأرسله الله إلى كافة الناس بشيراً ونذيراً، دعا إليها في بيئة الانطواء والتقوقع، في عصر لم يكن أحد يتصور فيه هذا التقدم الهائل في مجال الاتصال، مع ملاحظة أن الدين يقتضي في معظم الديانات اختيار إحدى الحسنيين، إما الدنيا وإما الآخرة، والدين يعني عندها الاعتزال عن معترك الحياة والهروب عن مواجهة الواقع العملي، فجاء الإسلام وأخبر أن الجمع بين حسنة الدنيا وحسنة الآخرة أمر مطلوب، فالدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي دعا إلى العالمية بهذا الوضوح، وهو المرشّح الوحيد في مضمار العالمية من بين الأديان.

فالعولمة أمر يراد به أن يفرض على البشرية؛ على ما فيه من زيف واصطناعية، والعالمية أمر طبيعي لا محيص للعالم عنه، والبشرية بطبعها أبيّة تأنف أن يُفرَض عليها

١- نفس المرجع.

شيء، فنحن، وإن كنا نعيش في عصر العولمة فالبشرية صائرة - إن شاء الله - إلى العالمية، فإذا أرادت البشرية أن تختار لها بنفسها وهي تملك أمرها غير مغشوشة ولا مخدوعة فإن اختيارها سيقع على ما دعا إليه الإسلام، وعندئذ تبلغ اللغة العربية في عالميتها ذِروتها.

إنني أخشى أن ينأى بي الحديث عن عالمية هذه اللغة الحبيبة عن صميم موضوعي؛ فالحديث عن عالميتها ذو شجون وفنون، والذي أردت أن أقوله باختصار هو أن الإحساس بضرورة دراسة موضوع اللغة العربية في هذا المؤتمر منبثق عن الإحساس بعالميتها، وعالميتها منبثقة عن إسلاميتها، فلا غرو أن تكون هذه اللغة موضع اعتناء ومصدر اعتزاز في بلد أُنشئ باسم الإسلام، ويجتمع أولو العلم والأدب للبحث عن سبل إحيائها ونشرها وتحسين وضعها في هذا البلد، فكل من اللغة والبلد يكسب أهميته من إسلاميته، وفصل هذا أو تلك عن الإسلام يعني حرمانها من هويتها ومصدر عزها.

هذا، ولا يجحد ما لموضوع اللغة العربية من أبعاد أخرى اقتصادية وتجارية وسياسية ودبلوماسية، ولكن إسلاميتها أهم منظور يدرس منه موضوع هذه اللغة، ومن هنا تتضح أهمية دراسة مناهج تدريس اللغة العربية المرتبطة بنظام التعليم الديني في باكستان، وبيان ما فيها من مواطن ضعف، والبحث عن وسائل تطويرها وتحسينها وجعلها أكثر فائدة وأداء للهدف المنشود منها، وهذا ما سيحاول القيام به هذا البحث المتواضع.

ونظراً لقلة الوقت المتاح لكتابة هذا البحث، وتوخياً للاختصار وتركيزاً للبحث على عينة واحدة من عينات نُظُم التعليم الديني في باكستان، ركزتُ دراستي على المناهج المتبعة في وفاق المدارس العربية بباكستان؛ بوصفه أكبر نظام أهلي للتعليم الديني في باكستان من حيث عدد الطلبة والجامعات والمدارس المنتسبة إليه.

أهمية دراسة وتطوير مناهج تعليم العربية في المدارس الدينية في باكستان:

هناك أسباب أخرى لأهمية دراسة وتطوير مناهج تعليم اللغة العربية في المدارس الدينية في باكستان، منها:

١. المساحة الزمنية التي يستغرقها تدريس اللغة العربية وآدابها وقواعدِها أكبر من أي مجموعة من المواد الأخرى المدروسة فيها، وإليكم جدولاً[1] بمجموعات المواد

---

١ - مأخوذ من فعاليات المجلس العام لوفاق المدارس العربية بباكستان المنعقد في ٢٣ شعبان ١٤٢٤هـ.

المختلفة والساعات الدراسية (سنوياً) المخصصة لكل من هذه المجموعات في المراحل التعليمية من الثانوية إلى العالمية (ماجستير):

المواد	عدد الساعات	النسبة المئوية
(من الثانوية إلى العالمية)		
اللغة العربية وآدابها و قواعدها	١٥	٪٣٠
الحديث وعلومه	١٢	٪٢٤
الفقه وأصوله	٩	٪١٨
القرآن وعلومه	٦	٪١٢
العقيدة والمنطق والفلسفة	٥	٪١٠
السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي	٢	٪٤
الاقتصاد الإسلامي	١	٪٢
المجموع	٥٠	٪١٠٠

فحسن استخدام هذا الوقت بتصميم وتخطيط متقَن، يجعلنا نجني من هذا المجهود ثمرات أفضل من ذي قبل.

٢. لعل النظام في المدارس والجامعات الدينية هو النظام الوحيد في باكستان الذي يقضي فيه الطالب ثمانى سنوات متتابعة في الكتب المكتوبة باللغة العربية.

٣. وبفضل ما ذكرنا، فقد شهدت التجارب أن طلبة وخريجي المدارس الدينية خام طيّع؛ يسهل صهره في شكل عالم متمكن من اللغة العربية أكثر من أي طالب منتمٍ إلى أي نظام آخر، فبذل المجهود فيهم أكثر إيتاء للثمرات المرجوّة، شريطة أن يكون ذلك بطريقة منظمة مع مراعاة الأسس والقواعد الحديثة في هذا الصدد.

ما الغرض من تدريس اللغة العربية في هذه المدارس؟

وهنا قد يتساءل البعض: إن كان الغرض الأساسي من التعليم في هذه الجامعات والمدارس هو تمكين الطالب من فهم الكتاب والسنّة وما أُلّف في مجالات المعرفة الإسلامية المختلفة، وتكفي لإيفاء هذا الغرض إحدى المهارات اللغوية الأربع وهي مهارة القراءة، أي فهم النص المكتوب واستيعابه، ولاشك أن النظام المتبع في هذه المدارس والجامعات ناجح إلى حد كبير في هذا الصدد، فهل تبقى هناك حاجة إلى تدريس اللغة العربية كلغة حية، وبطريقة شاملة للمهارات الأربع الأساسية وهي: الاستماع أي فهم المنطوق، والتكلم والقراءة والكتابة؟ والإجابة عن هذا السؤال تتضمّن أموراً منها:

١. إن المهارات اللغوية مهارات متشابكة بعضها مع بعض، يُكمّل بعضها بعضاً؛ فالعوز في بعضها يعود على الأخرى بالنقص فيها، فتحسين مهارات الاستماع والكلام وخاصة الكتابة يعود بجميل الأثر على مهارة القراءة أو فهم النص المكتوب، والعكس بالعكس، ولاشك أن مهارة القراءة من صميم أهداف التعليم في هذه المؤسسات.

٢. إن المشتغل بالعلوم الإسلامية لا يسعه أن يعيش منغلقاً على نفسه بعيد الصلة بما يصدر في العصر الراهن في الفكر الديني، خاصة فيما يستجد من أفكار ومسائل ومشاكل، ويقدَّم لها ما يراه من حلول، وإن الطريقة المتبعة لتدريس اللغة العربية في معظم هذه المدارس والجامعات، و إن كانت تؤهل الطالب للاستفادة من الكتب القديمة لكنها لا تغني في فهم ما استجد من بحوث وأفكار؛ لأن للبحث في المسائل والمشاكل وليدة هذا العصر أسلوباً ومصطلحات لا تزال غير مألوفة لهذا الطالب، فتدريس اللغة العربية وآدابها بالطريقة الشاملة لجميع المهارات اللغوية، وتوسيع نطاق المادة المقدمة للطالب إلى الأدب العربي المعاصر، مما يمكنه من الاستفادة مما أنتجه الفكر الديني المعاصر في هذا الصدد.

نظرة عامة على المواد المدروسة في هذه المدارس والجامعات:

وإليكم جدولاً بالكتب المقررة في المراحل التعليمية المختلفة لتدريس اللغة العربية وقواعدها وآدابها:

الكتب المقررة	المواد
علم الصرف[1] (باللغة الأردية-أربعة أجزاء)، تيسير الأبواب[2]، صفوة المصادر،[3] علم الصيغة[4] (باللغة الفارسية أو الأردية)	الصرف
علم النحو[5] (بالأردية)/ نحو مير[6] (بالفارسية أو ترجمته إلى العربية)، شرح مائة عامل،[7] المنهاج في القواعد و الإعراب[8]/ النحو اليسير،[9] هداية النحو،[10] الكافية،[11] شرح الملا الجامي على الكافية.[12]	النحو
الطريقة العصرية في تعليم اللغة العربية ج١، و ٢،[13] معلم الإنشاء[14](بمعونة اللغة العربية ج ١ و ٢ و ٣)	اللغة العربية

١- لمشتاق أحمد جرتاولي.

٢- لمولانا خير محمد.

٣- لمشتاق أحمد جرتاولي.

٤- لعنايت أحمد الكاكوروي بتعريب الأستاذ ولي خان المظفر.

٥- لمشتاق أحمد جرتاولي.

٦- لعلي بن محمد بن علي الشريف الحسيني الجرجاني.

٧- لعبدالقاهر بن عبدالرحمن جرجاني.

٨- لمحمد الأنطاكي الحلبي.

٩- لمولانا نذير أحمد.

١٠- لمحمد بن يوسف بن على بن حيان الأندلسي.

١١- لجمال الدين بن الحاجب.

١٢- للملا عبدالرحمن الجامي.

١٣- للدكتور عبدالرزاق إسكندر.

١٤- لعبدالماجد الندوي ومحمد رابع حسني الندوي.

المواد	الكتب المقررة
النثر العربي	القراءة الراشده ج١،[١] نفحة العرب،[٢] مقامات الحريري، مختارات من أدب العرب[٣]
الشعر العربي	السبع المعلقات، ديوان الحماسة[٤]
البلاغة	دروس البلاغة،[٥] تلخيص المفتاح،[٦] المختصر شرح تلخيص المفتاح للتفتازاني.

إيجابيات هذه المقررات:

ولهذه المناهج والمقررات إيجابيات وسلبيات، فمن إيجابياتها:

١. بعض الكتب من هذه المقررات تُعد من أشهر وأروع نماذج التراث العربي، فالمعلقات السبع هي زبدة الإنتاج الشعري العربي في أهم عصوره وهو العصر الجاهلي، وديوان المتنبي ديوان نابغة من نوابغ الشعر العربي وقلّما استرعى شاعر من انتباه النقاد ما استرعاه هو منه، وقد أُذكيت حول عمله الشعري معارك نقدية أثرت النقد العربي الأدبي بثروة لا يُستهان بها، وديوان الحماسة لأبي تمام هو عصارة الإنتاج الشعري في العصريْن الجاهلي والإسلامي، وفي حين يقف الطالب بقراءة المعلقات السبع وديوان المتنبي على نماذج من القصائد الكاملة ويطلع على كيان القصيدة العربية القديمة وميزاتها، يقف بقراءة ديوان الحماسة على مقطوعات شعرية مختارة.

٢. مقامات الحريري، وإن كان غير مقدور الاتباع من ناحية أسلوبه، يزيد من حصيلة الطالب من المادة المعجمية ويثري قاموسه.

١- لأبي الحسن علي الحسني الندوي.

٢- مولانا محمد إعزاز علي.

٣- لأبي الحسن علي الحسني الندوي.

٤- لأبي تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي.

٥- لحفني ناصف وآخرين.

٦- لمحمد بن عبدالرحمن القزويني.

٣. بعض الكتب من هذه المقررات أُلِّفت في عصرنا الحاضر ورُوعيت فيها – إلى حد كبير – متطلبات تدريس اللغة الثانية غير لغة الأمّ، مثل الطريقة العصرية للدكتور عبدالرزاق إسكندر.

٤. بعض هذه الكتب أُعدت في دار العلوم التابعة لندوة العلماء لكنو الهند، ولا يخفى ما لندوة العلماء من أيادٍ على اللغة العربية في شبه القارة، ومما يميّز هذه الكتب أنها جمعت بين مراعاة أوضاع الطالب الذهنية والثقافية واللغوية، لأنها أُعدت على أيدي أبناء هذه القارة الناطقين بلغاتها، وبين جودة اللغة وارتفاع مستواها بدون شائبة من العجمة، كأنها كتبت بأقلام أهل اللغة، وهذه الكتب أُدخلت في المناهج الدراسية فيما قامت به الهيئات المسئولة من التحسينات في السنوات الأخيرة.

مآخذ واقتراحات:

و بالرغم مما ذكرنا من إيجابيات هذا النظام، والأخرى التي لم نشر إليها، وبالرغم من بعض التحسينات التي أُدخلت في السنوات الأخيرة، لم يزل هناك – شأن كل عمل إنساني – مجال للتحسين والتطوير، ومواطن من الضعف من حيث المادة المدروسة ومن حيث الطريقة التي تُعالج وتُقدم بها هذه المادة، وفيما يلي نقدم ما ينبغي الإشارة إليه من مواطن الضعف؛ مع اقتراح ما يزيله:

أولاً: من ناحية المادة:

١. الشعر العربي:

يُؤخذ على المادة الشعرية المقررة من المرحلة الثانوية إلى العالية ما يلي:

١. عدم شمول هذه المادة لجميع العصور الأدبية، فأُخذت فيها نماذج من العصر الجاهلي (ممثلة في المعلقات السبع) وعصر صدر الإسلام (ممثلة في بعض مقطوعات ديوان الحماسة) ثم العصر العباسي الثاني، وأهملت العصور الأدبية الأخرى، ثم وقع الاختيار في العصر العباسي الثاني على شاعر واحد فقط هو المتنبي، فلا يعرف الطالب شيئاً عن الشعراء الممتازين في بقية العصور ولا عن أعمالهم الأدبية، كما أنه لا يزال جاهلاً بشعراء العصر العباسي الثاني ما عدا المتنبي.

٢. يُعوز هذه المادة شمولها للأغراض والمعاني الشعرية التي طرقها الشعراء العرب طيلة قرون.

٣. بعض هذه الكتب مقررة بكاملها، مثل المعلقات السبع، وبعضها قُررت أجزاء منها، ولكن اختيار هذه الأجزاء لا يخضع لأسس فنية وأدبية؛ وإنما بدأ واضعو هذه المناهج الكتاب من أوله وقرروه إلى حيث رأوه مناسباً للوقت المخصص لهذه المادة، فديوان المتنبي مقرر من البداية إلى نهاية قافية الباء، فجاء في هذا القدر المقرر ما يعد من جيد شعره كما جاء فيه ما هو دون ذلك، وأُهمل ما هو أجود و أروع مما جاء في الحصة المقررة. فلو اختيرت الأبواب والمقطوعات على أساس حظها من الجودة لكان أحسن، وهذا هو الشأن في ديوان الحماسة؛ فالمقرر منه باب الحماسة فقط وهو أول أبوابه، وأُهملت أبواب تعد من أهم وأشهر الأبواب في الشعر العربي مثل الغزل والرثاء، مما يؤكد أن واضعي هذه المقررات لم يكن نصب أعينهم اختيار الأجود والأروع.

فالحاجة ماسة إلى إعادة اختيار الشعر العربي المقرر على الطلبة في مراحله التعليمية المختلفة، مع مراعاة ما يلي في هذا الاختيار:

(١). أن يُوسّع هذا الاختيار إلى جميع العصور الأدبية ومعظم الأغراض الشعرية والاتجاهات الأدبية والقوالب الفنية التي اختارها الشعراء لصياغة تجاربهم وأحاسيسهم.

(٢). ينبغي ألا يُقصر هذا الاختيار على مجرد شهرة الشاعر في الأوساط الأدبية، بل يكون أساس هذا الاختيار هو الجمال في التعبير وعذوبة اللفظ وصدق العاطفة وعمق التأثير والبعد عن التكلّف، فيجده الطالب كأنه صدى لما في نفسه، ويجد الطالب نفسه بما فيه من المتعة والتجاوب مع أحاسيسه مدفوعاً إلى أن يتذوقه تذوقاً ويحفظه حفظاً. وإن المناهج التي نتكلم عنها هي من الثانوية إلى العالية (المعادلة لمرحلة البكالوريوس)، وظاهر أن هذه ليست مرحلة التخصص في الأدب العربي وإنما يلمّ فيها الطالب به إلماماً، فعلينا أن نقدم له فيها مادة تحبب إليه الأدب العربي واللغة العربية ولا تكرههما إليه، وينبغي أن يكون غرضنا من هذه المادة المطروحة لديه أن نجعلها أداة لإرهاف ذوقه الأدبي وتثقيف لسانه، وإقداره على التمتع ببديع المعاني وجميل التعبيرات في اللغة العربية، وترسيخ هذه التعبيرات في ذهنه حتى يستطيع أن يستخدمها في مواضعها، فالشعر كلما كان أسهل لفظاً وأعذب جرساً وأعمق تأثيراً وأكثر استمالة للقلب كان أوقع في القلب و أبقى في الذهن و أدعى للحفظ؛ ومثل ما ذكرناه من الشعر يأبى إلا أن يتبوّأ مقعده من ذهن قارئه، وبفضله تأتي الطالب التعبيرات الجيدة والكلمات المناسبة للموقف عند إرادته التكلم أو الكتابة، وهذا هو أعظم الغرض من تعليم الشعر العربي

في هذه المراحل التعليمية، وإلا فما قيمة قصيدة شاعر معروف يُحشى بها ذهن الطالب حشواً ولا يقبلها إلا كرهاً؟ فينبغي أن يكون أكبر تركيزنا في اختيار المادة الشعرية على ما ذكرناه، وإن كانت لشعراء غير معروفين نسبياً، ومثل هذا الشعر غير قليل في الشعراء الذين لم يشتهروا بوصفهم شعراء، وأذكر على سبيل المثال: الإمام الشافعي ﵀ فإنه عُرف فقيهاً ومحدثاً، وله ديوان شعر معروف، ولا أدري ما يقول فيه النقاد والمؤرخون للأدب العربي، ولكن من الواضح أن نماذج كثيرة من شعره يجدها الطالب - لو قُدمت له هذه النماذج - أعلق بقلبه من كثير من كلام فحول الشعراء.

(٣). ينبغي أن يكون هناك جزء لا يُستهان به من هذه المادة للحفظ، فيطالب الطلبة بحفظها، وأن يكون اختيارها على أساس سهولة الحفظ.

(٤). ينبغي أن تكون هناك مادة تُقدم على أساس ما يُسمى بـ«القراءة الموسعة»، ويقصد بهذا النوع من القراءة ما لا يركز على تفاصيل النص ومفرداته، وإنما يُراد به أن يفهم الطالب النص فهماً عاماً. فيقدم له مادة شعرية ويُطالب بقراءتها بنفسه دون أن يشرحها له الأستاذ شرحاً وافياً، ويُطالب الطالب أيضاً أن يختار من هذه المادة ما كان أكثر إعجاباً به؛ فإن مما يُختبر به ذوق الأديب وخبرته اختياره، وبهذه الطريقة نبعث في الطالب ثقة بنفسه بأنه يستطيع أن يستقل بفهم التراث العربي وتذوّقه.

٢. النثر العربي:

إن دارس لغة ما كلغة حية يكون إلى دراسة النثر أحوج منه إلى دراسة الشعر، طبعاً لا يُجحد ما للشعر من دور في إرهاف الذوق وزيادة التشويق والتمتع بالجمال الفني، ولكن الدارس العادي للغة لا يحاكي الشعر في التعبير عما يخطر بخاطره، فإن الذي يحاكيه هو النثر، فالنثر أكبر دوراً في تدريس اللغة وتنمية المهارات الأربع، خاصة مهارة التعبير بنوعيه الكتابي والشفوي؛ فهو أحق بأن يحظى بأكبر عناية واضعي المناهج والمقررات، وقد استُحسن الوضع في مجال النثر بعد إدخال بعض كتب الشيخ أبي الحسن الندوي ﵀ في المقررات الدراسية، لكن لم تزل هناك بعض المآخذ على هذه المقررات، بعضها من ناحية المادة وأكثرها من ناحية عرضها ومعالجتها، وسوف نتعرض لناحية العرض والمعالجة فيما بعد، ونكتفي هنا بالإشارة إلى بعض ما يُؤخذ عليها من حيث المادة:

١. مقامات الحريري: مقررة من المقدمة إلى المقامة العاشرة، وهنا أيضاً نلاحظ ما لاحظناه في الشعر من فرض المادة المسلسلة دون الاختيار على أسس فنية أو تعليمية،

فينبغي اختيار بعض المقامات مع اختيار بعض النماذج الأخرى من المؤلفين الذين اتبعوا نفس الأسلوب أو قريباً منه، من أمثال بديع الزمان الهمذاني.

٢. إن أسلوب المقامات وما شابهها يمثل عصر الانحطاط، وأيضاً اتباع هذا الأسلوب للطالب من الصعوبة بمكان، وقيمة تدريس الكتابات الممثلة لمثل هذا الأسلوب إنما تكمن في الثروة المعجمية التي يحصل عليها الطالب، واشتمال مثل هذه الكتابات على ثروة قاموسية وافرة أمر لا يمكن جحده، ولكن من الواضح أيضاً أن حفظ الكلمات الجديدة من خلال العبارات الثقيلة دون أن تقع هذه الكلمات في سياق مناسب جذاب لا يُجدي كبير نفع لإثراء المادة المعجمية لدى الطالب، فلعله يكون من المناسب التقليل من حظّ مثل هذه الكتابات في مناهجها.

٣. لقد خطا الأدب العربي في القرنين التاسع عشر والعشرين من الميلاد خطوات واسعة التقدم إلى الازدهار والتطور، ولعل ما قطعه النثر العربي من الأشواط في هذا المضمار كان أكثر مما قطعه الشعر العربي منها، فرجع أدباء العصر الحديث بالنثر العربي من الزخرفة اللفظية والألاعيب اللغوية إلى ما كان عليه في عصوره الأولى من الصفاء والبساطة والطبيعة؛ مع الاحتفاظ برونقه وقدرته على إثارة الإعجاب. فمن حق الطالب في هذه المدارس والمعاهد على واضعي المناهج والمقررات أن يعثر على نماذج منها، وقد أدّى شيئاً من هذا الحق الشيخ أبو الحسن علي الندوي ﵀ في كتابه مختارات من الأدب العربي، ولكن هناك ثلاثة مجالات من النثر العربي الحديث لم يزل الطالب بحاجة إلى أن ينال نصيبه الأوفر منها، الأول: الأدب الصحفي؛ فإن الطالب أحوج ما يكون إلى هذا النوع من الأدب، لكي يتمرّس على بيان مواقفه تجاه ما يحدث في الحياة، والثاني: الأسلوب العلمي أو العلمي المتأدب، لكي يقدر على كتابة البحوث والدراسات في مجالات المعرفة الإسلامية المختلفة، والثالث: هو الأدب الروائي والقصصي؛ فإن ما صدر في عصرنا في هذا المجال أمتع من فن المقامة وما يشبهه. والمتعة مما يحبب اللغة إلى الدارس ويسهّل تحصيلها.

٣. البلاغة والنقد:

إن الغرض من دراسة كل من النقد والبلاغة هو القدرة على معرفة حظ النص الأدبي من الجودة والجمال، وما كتب له من النجاح في التعبير عن المعنى حسب ما يُرام، بيد أن النقد يتناول العمل الأدبي ككل، في حين تتناوله البلاغة جملة جملة، وقد كان النقد الأدبي

أسبق ظهوراً من البلاغة، وظلا ممتزجين في القرنين الثالث والرابع من الهجرة؛ ثم بدأت البلاغة تتبلور ملامحها وتظهر كعلم مستقل عن النقد، إلى أن بلغ استقلال البلاغة عن النقد أوجه على يد السكاكي (٥٥٥هـ-٦٢٦هـ) في كتابه مفتاح العلوم،[1] ثم جاء بعده القزويني (ت/ ٧٣٩ هـ) ولخّص ما جاء في كتاب السكاكي من مباحث المعاني والبيان والبديع في كتابيه: تلخيص المفتاح والإيضاح، وكان التخليص أوفرهما حظاً من إقبال الناس عليه شرحاً ودرساً، ومن أشهر شروحه شرحا سعد الدين التفتازاني: المختصر والمطول.

وكانت البلاغة في أدوار امتزاجها بالنقد أقرب إلى ذوق العربية الصافي، وبعد استقلالها أصبح يسودها قدر كبير من الجفاف، فكانت إلى القواعد الرياضية الحاسمة أشبه منها إلى تذوق اللغة والأدب، و مرد ذلك - إلى حد كبير - إلى النزعة العقلية السائدة في الأوساط العلمية والأدبية في ذلك الوقت، ومن هنا كان إقبال الناس على التلخيص أزيد من إقبالهم على الإيضاح، مع أن القزويني كان أرهف ذوقاً في هذا الأخير منه في الأول، ولقي شرحا التفتازاني من القبول والذيوع ما لم يلقه شرح آخر على التلخيص، بالرغم من أن هذين الشرحين من أجف شروحه.

والمقرر في مناهج هذه المدارس والجامعات لتدريس البلاغة هي دروس البلاغة وتلخيص المفتاح والمختصر، ودروس البلاغة إنما أُدخل في السنوات الأخيرة، أما التلخيص والمختصر فلم يزالا موجودَيْن على قائمة الكتب المقررة منذ عهد الملا نظام الدين السهالوي (ت/ ١١٦١هـ) الذي يُنسب إليه النظام التعليمي المعروف بـ«الدرس النظامي». ويتضح مما ذكرناه أن اختيار هذين الكتابين لم يكن من أجل قيمتهما البلاغية والفنية، وإنما كان ذلك الاختيار مما فرضه الوضع السائد آنذاك، فكأنهم اختاروا مثل هذه الكتب تمشياً منهم مع مقتضيات ذلك العصر، أما الآن وقد تغيرت الأذواق وتطورت النزعات فلم نعُد نحن بحاجة إلى مثل هذه الكتب التي لا تُسمن ولا تُغني من جوع. إن الطالب ليبدأ في هذه الكتب ليتعلم البلاغة العربية ويتمرس عليها، فإذا هي تتيه به في أودية من المباحث العقلية الجافة التي لا تمتّ بكبير صلة ولا بصغيرها إلى البلاغة.

١- يراجع: الدكتور علي عشري زايد، النقد الأدبي والبلاغة في القرنين الثالث والرابع، مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، ١٩٨٥م.

فالأمر بمسيس الحاجة إلى استبدال بمقررات هذه الكتب مقررات تدرس فيها البلاغة والنقد جنباً إلى جنب، مع إعطاء النصيب الأكبر للجانب التطبيقي، ويمكن أن يُستفاد في هذا الصدد من مقررات بعض البلاد العربية في المرحلة الثانوية، ولا ننكر هنا ما لبعض القواعد المذكورة في التلخيص وأشباهه من قيمة دلالية تفيدنا في تفسير النصوص من القرآن والسنّة، لكن يمكن انتقاء هذه المادة وعرضها بأسلوب سهل مبسّط.

فإذا أبينا إلا الإصرار على البلاغة السكاكية والاقتصار عليها، فالإيضاح للقزويني أولى وأنفع من التلخيص وشرحه المختصر، شريطة أن تُزاد إليه دراسات تطبيقية على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف - على صاحبه الصلاة والتسليم - وتفسير الكشاف للزمخشري وأشباهه يمكن أن يمدنا بكبير عون في هذا الصدد.

ثانياً: من حيث عرض المادة ومعالجتها:

وهناك خطوات نرى من المناسب اقتراحها هنا؛ من حيث هذه المادة اللغوية والأدبية ومعالجتها، نوجزها كالآتي:

١. مما يُعوز هذه المناهج أنها ليست مصممة على أساس المهارات اللغوية الأساسية الأربع، وبالتالي لا تُكسب الطالب إلا مهارة الاستيعاب للنص المكتوب، وقد سبق أن هذا القدر لا يكفي في تدريس اللغة، كما بينا أسباب حاجة طالب العلوم الدينية إلى اكتساب هذه المهارات، ليس من الناحية اللغوية فحسب بل من الناحية الدينية أيضاً، فينبغي أن يُعاد ترتيب هذه المادة وتصميمها على الأسس الحديثة.

٢. ومما يرجع إلى الاكتفاء بمهارة واحدة فقط أن هذه المناهج ينقصها وجود تمارين مع المادة المدروسة، وقد يقال إن المعلم يستطيع أن يُعد تمارين ويجريها في الفصل حسب ما يراه لائقاً لمستوى تلاميذه، لكن- كما يعلمه من له إلمام بعمليات التعليم - إعداد التمارين من أصعب عمليات التعليم وأحوجها إلى الدقة والمهارة الفنية، فليس بوسع كل مدرس أن يقوم بهذا العمل، ولذلك ينبغي أن تكون التمارين جزءاً لا يتجزأ من الكتب المقررة على الطالب.

٣. الطريقة السائدة في هذه المعاهد لتدريس اللغة العربية تعتمد أساساً على استعمال اللغة الوسيطة والترجمة إليها، وقد شهدت التجارب أن هذه الطريقة لا تؤتي كبير ثمر، ومن مساوئ هذه الطريقة أن الطالب لا يتعود التفكير باللغة التي يريد تعلمها، بل

يتفكر أولاً بلغته الأم أو باللغة الوسيطة - وهي الأردية في حالتنا - ثم يترجم ذلك إلى العربية، وبهذا يتورط في كثير من الأخطاء لما بين اللغتين من فروق في النظم اللغوية، فالأَوْلى اتباع الطريقة المباشرة وهي أقرب إلى الطريقة الطبيعية التي يتعلم بها كل إنسان لغته الأم. نعم! هناك فوائد للترجمة لا يمكن غض النظر عن أهميتها، والترجمة فن قائم برأسه يحتاج الطالب إلى التدرب عليه، لكن يمكن تحقيق هذا الغرض بتخصيص ساعات للترجمة، والأَوْلى أن تكون هذه ساعات القرآن الكريم والحديث الشريف؛ حتى يتعلم الطالب أساليب الترجمة ويتمكن من بيان معاني القرآن الكريم والحديث الشريف باللغة الأردية واللغات المحلية في نفس الوقت.

٤ . مما يعين كثيراً في تدريس اللغة بطريقة مباشرة استخدام المعاونات المسموعة والمبصرة، فباستخدام المعاونات المسموعة نستطيع أن نجيد نطق الطالب وطريقة التقائه للنص العربي؛ من خلال إسماعه نماذج من القراءات والخطب بأصوات العرب، والمعاونات المرئية - خاصة الفيديو - تساعد على خلق جو مناسب لما يدرسه الطالب في كتابه، فكأنه يعيش في البيئة التي تجري فيها الأحداث بمسمع منه ومرأى، وكأنه لا يدرس اللغة في الفصل ومن المعلم وإنما يدرسها في البيئة العربية ومن الحياة نفسها، وهذا أمر مهم جداً في تعليم اللغة بطريقة مباشرة، وهو يوفر كثيراً من وقت الطالب والمعلم وجهدهما.

ولعله يكون لبعض هذه المدارس والجامعات تلكؤ في استخدام الصور الحيوانية والفيديوهات من حيث عدم جوازها شرعاً، وليس هذا موضع الخوض في نقاش فقهي، لكنني أجرؤ بعض الجرأة في دعوة فقهاء هذه المدارس والذين يتولون الإفتاء فيها إلى أن يبحثوا بجدية فيما إذا كانت حرمة الصور الحيوانية شاملة لما يُستعمل منها للأغراض العملية والتربوية.

٥ . لقد رأينا خلال جدول المناهج والمقررات أن الأدب والبلاغة يُدرس كل واحد منهما منفصلاً عن الآخر، ثم الأمر كذلك في نوعي الأدب: الشعر والنثر، فهناك سنوات يدرس فيها الطالب النثر فقط، وسنوات يدرس فيها الشعر فحسب، ولعله يكون من الأنفع أن يحصل الطالب في كل عام على قدر من الشعر والنثر، وكذلك يبدو من المناسب أن تُدمج مادة البلاغة مع مادة الأدب حتى تجتمع النظرية والتطبيق، ويكون كل واحد منها عوناً على فهم الآخر.

٦. لقد جرت العادة في وضع المناهج الجديدة لتعليم اللغات بتخصيص جزء من المقرر للقراءة الموسّعة التي يستقل بها الطالب؛ ولا يشرح فيها المعلم النص المطلوب قراءته، وإنما يراد بها فهم الطالب المعنى والمغزى العام للنص. فينبغي تخصيص بعض النماذج الطويلة نسبياً لهذا الغرض، ومما يوظف له هذا النوع من القراءة التدريب على إجادة الكتابة باللغة العربية، فيؤمر الطالب بقراءة مقال صحفي أو خاطرة أو قصة قصيرة وما إلى ذلك، وبالإضافة إلى الأسئلة والتدريبات الأخرى يُطالب بأن يقوم بكتابة نفس الموضوع، ولا بأس - في البداية - أن يعيد فيها كثيراً من التعبيرات الأصلية، لأن الغرض ترسيخ هذه التعبيرات في ذهنه وحمله على محاكاة هذا النموذج الأدبي، وليست اللغة إلا محاكاة، وفي البداية يؤمر الطالب بالكتابة في نفس الموضوع، وبعد حصول شيء من المران يؤمر بالكتابة في الموضوع المشابه لذلك الموضوع. وقد جرّب هذه الطريقة كاتب هذه الأسطر على عدد من الطلبة فوجدها مفيدة، ويجد الطالب فيها كبير تشجيع وثقة بنفسه بأنه يستطيع أن يحاكي هؤلاء الكتاب، وقد أشار إلى شيء من هذا ضياء الدين ابن الأثير في كتابه المثل السائر، غير أنه طبّق هذه الطريقة على الشعر، ونرى أن تطبيقها في زماننا وفي مدراسنا على النثر أسهل وأنفع؛ فإن التدريب على كتابة النثر الجيد يقع على رأس قائمة الأولويات، وقد بيّن ذلك ابن الأثير في فصل طويل من كتابه، ونرى أن ننقل شيئاً من عبارته فيقول:[1]

«من أحب أن يكون كاتباً أو كان عنده طبع فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد، ولا يقنع بالقليل من ذلك، ثم يأخذ في نثر الشعر من محفوظاته، وطريقه أن يبتدئ فيأخذ قصيداً من القصائد فينثره بيتاً بيتاً على التوالي، ولا يستنكف في الابتداء أن ينثر الشعر بألفاظه أو بأكثرها؛ فإنه لا يستطيع إلا ذلك، وإذا مرنت نفسه وتدرب خاطره ارتفع عن هذه الدرجة وصار يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده...، وهذا شيء خبرته بالتجربة ولا ينبئك مثل خبير».

يضيف مبرراً اقتراحه التدريس على أساس الشعر فقط:

«فإن قيل: الكلام قسمان منظوم ومنثور، فلم حضّضت على حفظ المنظوم وجعلته مادة للمنثور؟ وهلاَّ كان الأمر بالعكس؟ قلت في الجواب: إن الأشعار أكثر، والمعاني

---

١ - ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م، ١/ ١٠٠.

فيها أغزر، وسبب ذلك أن العرب الذين هم أصل الفصاحة جُلّ كلامهم شعر، ولا نجد الكلام المنثور في كلامهم إلا يسيراً، ولو كثُر فإنه لم يُنقل عنهم بل المنقول عنهم هو الشعر، فأودعوا أشعارهم كل المعاني... فكان الشعر هو الأكثر، والكلام المنثور بالنسبة إليه قطرة من بحر...، فكان حثّي على حفظها واستعمال معانيها في الخطب والمكاتبات لهذا السبب».

ولاشك أن ما قاله ابن الأثير صحيح إذا وضعنا في الاعتبار الأدب العربي في عصوره المتوسطة، وأما إذا وسّعنا أساس الأدب إلى العصر الحديث فتبرير تخصيص التدريس بالشعر من الصعوبة بمكان، وإنما أخذنا المادة الأدبية من حيث إنه يصلح للمحاكاة، وما من شك في صلوح النثر للمحاكاة، كما لاشك في أن جيد النثر غير قليل إذا أخذنا الأدب العربي في جميع عصوره.

عوائق وصعوبات:

لعلنا نكون غير منصفين لهذه المدارس والجامعات لو لم نذكر أنه قد قام بعض المدارس والجامعات بإدخال بعض التحسينات في المناهج وفي طرق التدريس، بعضها من قبل وفاق المدارس العربية بباكستان، وبعضها من التي قامت بها بعض المعاهد بنفسها، وبعضها من المعاهد خارج نطاق وفاق المدارس العربية، كما نرى من الواجب علينا أن نذكر أن هناك بعض الصعوبات والعوائق التي تقوم بدورها في الحيلولة بين هذه المدارس والجامعات وبين إدخال بعض التحسينات، بما فيها ما ذكرنا من الاقتراحات، ونوجز أهم هذه الصعوبات فيما يلي:

١. قلة الموارد المالية، فكثير من لوازم تدريس اللغة العربية بطرق جديدة، مثل استعمال المعينات الصوتية والبصرية واقتناء الكتب الجديدة والحصول على خدمات ذوي خبرات في هذا المجال وما إلى ذلك، يكلف نفقات باهظة قد لا تستطيع هذه المعاهد تحملها.

٢. قلة الخبراء في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها على مستوى مقنع، والخبراء في وضع مناهج لهذا الغرض.

٣. قلة الفرص المتاحة للتدريب الكافي لمعلمي اللغة العربية على مستوى يليق بهذه المدارس والجامعات.

توصيات:

وقبل الختام نود أن نقدم توصيات إلى الجهات المسئولة عن الأمر خاصة، والمسلمين والغيورين على اللغة العربية عامة، رجاء أن تقع منهم موقع القبول:

١. نرجو من أصحاب الفضيلة العلماء المسئولين عن هذه المدارس والجامعات والمنظمات أن يولوا المزيد من العناية لتدريس اللغة العربية فيها، وتطوير مناهجها وتحسين طرقها، حتى يصبح المجهود الكبير المبذول فيها للغة العربية أكثر وأجود ثمرة مما هو عليه الآن.

٢. إن وضع المناهج لتدريس لغة ما لغير الناطقين بها يحتاج إلى دراسات مقارنة بين اللغتين، اللغة المراد تدريسها واللغة التي ينتمي إليها دارسو هذه اللغة كلغة ثانية. فبهذه الدراسات يمكن معرفة الفروق التي تورّط كثيراً من الدارسين في الأخطاء، ولم تزل الحاجة إلى مثل هذه الدراسات في بلادنا ملحّة، والأمر يحتاج إلى دراسات نظرية كما يحتاج إلى دراسات حقلية. والمتاح الموجود من الدراسات النظرية في هذا الصدد قليل جداً، وأقل منه بكثير الدراسات الحقلية، فنلتمس من أقسام اللغة العربية في جامعات باكستان أن تهتم بملء هذا الفراغ، وأن تصرف إلى مثل هذه الموضوعات أكبر عنايتها عند فرضها عناوين البحوث على طلبة الدراسات العليا من ماجستير وماجستير الفلسفة ودكتوراه.

٣. نرجو من البلاد العربية الشقيقة الغيورة على اللغة العربية أن تكثر من مبعوثيها إلى هذه المعاهد من ذوي الخبرات الواسعة في تدريس اللغة العربية.

٤. كما نوجّه النداء إلى البلاد العربية والهيئات الخيرية وأهل الخير والفضل من محبي هذه اللغة العظيمة أن يمدوا يد العون إلى المعاهد التي تريد الرفع من مستوى تدريس هذه اللغة، لكن قلة الموارد تعوق دون تحقيق هذا الهدف النبيل.

والحمد لله أولاً وآخراً.

دور اللغة العربية في ارتقاء الوعي الديني في باكستان[1]

الدكتور محمد علي غوري

أستاذ بكلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد

إن اللغة العربية هي لغة الإسلام والمسلمين وليست خاصة بالعرب وحدهم، فهي لغة الدين الذي دان به الناس في مشارق الأرض ومغاربها من العرب ومن غيرهم، وتُعد بلاد الهند واحدة من بلاد العالم التي وصلها الإسلام مبكراً عبر الفتوحات الإسلامية، وعبر العلاقات التجارية البرية والبحرية على يد التجار الذين كانوا تجاراً ودعاة في الوقت نفسه. وبعد الفتح استقرت الثقافة الإسلامية في المنطقة بشكل رسمي في أرجاء كثيرة من شبه القارة الهندية، وأصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية للحكام ولكثير من أهالي السند والبنجاب.[2] وقد قام المسلمون في هذه المنطقة بدور كبير في المحافظة على لغة القرآن، فقدموا للعالم الإسلامي تحفاً نادرة بهذه اللغة العظيمة، كما وظّفوا هذه اللغة في خدمة القرآن الكريم والحديث الشريف وبقية العلوم الدينية، مما أدَّى إلى انتشار الوعي الديني في شبه القارة الهندية.

اهتم المسلمون باللغة العربية لكونها لغة كتاب ربهم، فسارعوا إلى دراستها والاهتمام بها، وحين انتشر الإسلام في أنحاء المعمورة في البلاد المفتوحة ودخل الناس في دين الله

١- نشر هذا البحث في مجلة الكلية الشرقية، جامعة بنجاب، لاهور، المجلد: ٨٩، العدد:٣، ٢٠١٤م.

٢- وضح الدكتور مظهر معين هذه القضية بالتفصيل في كتابه «حاضر اللغة العربية» الصادر عن قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، ٢٠٠٨م، ص: ٢١١-٢٢٦.

أفواجاً، شاع اللحن، فسارع العلماء إلى ضبط المصحف ووضع علمي النحو والصرف و غيرهما من علوم العربية. كان الدافع الديني- أكثر من غيره - وراء الاهتمام باللغة العربية وتطورها وازدهارها وانشارها في كل العالم. ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عُني بها وثابر عليها وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمداً ﷺ خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقّه في الدين وسبب إصلاح المعايش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء والزند للنار.[1]

من سنن الله أن اللغات تقوى بقوة أصحابها وتضعف بضعفهم، لذلك كانت اللغة العربية قوية حين كان المسلمون أقوياء وكانوا خير أمة، وحين ضعفوا واستكانوا وأصبحوا دويلات وأصبح كل حزب بما لديهم فرحون، تكالبت عليهم الأمم وتآمر عليهم أعداء الإسلام ومزقوهم كل ممزق، و تداعوا عليهم كما يتداعى الأكلة إلى قصعتهم، وكانوا يتحيّنون كل فرصة سانحة لينقضوا عليهم وعلى دينهم منذ أيام الحملات الصليبية حتى الآن، مروراً بفترة الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين، وكان إضعاف اللغة العربية ومحاربتها من أهم الأسلحة التي استخدمها الاستعمار لتحقيق أهدافه الدينية، ليحول بين المسلمين ودينهم المرتبط بهذه اللغة ارتباطاً لا ينفك. وهذا ما حدث في كثير من البلاد الإسلامية ومنها شبه القارة الهندية، التي كانت تخضع كلها لحكم المسلمين قبل الاستعمار الإنجليزي عام ١٨٥٨م، وهو في الحقيقة استخراب وليس استعماراً. وحين خرج منها بعد حكم دام قرابة مائة عام، و ذلك في عام ١٩٤٧م، كان المسلمون قد أصبحوا أضعف الأقوام والأمم وأفقرها في هذه المناطق، بينما حظي الهندوس بمكانة خاصة في العهد الإنجليزي الظالم، كما حاولوا إضعاف اللغة العربية وإحلال اللغة الإنجليزية محلها، وقد نجحوا في مسعاهم إلى حد بعيد.

وكما أن الاهتمام باللغة العربية من قبل المسلمين - من العرب ومن غير العرب -

---

١- عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الملقب بأبي منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٢٥.

كان لدوافع دينية في الأساس، فكذلك كانت أهداف الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين دينية محضة؛ وإن بدت اقتصادية أو سياسية حسب الظاهر، فقد كان الإسلام يقلق مضاجعهم، لأنه كان يعمل على إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار.

يجب أن ندرك جيداً أن اللغة العربية هي لغة الإسلام والمسلمين وليست خاصة بالعرب، فهي لغة الدين الذي دان به المسلمون شرقاً وغرباً، سواء من العرب أو من غيرهم، وحين فُتحت البلاد المختلفة مثل مصر والشام والعراق والأندلس دخل أهلها في الإسلام، وأقبلوا على اللغة العربية يتعلمونها حباً في الدين الإسلامي الذي أنقذهم من الضلال، ونقلهم من الظلمات إلى النور، فكان منهم كبار العلماء في العلوم العربية مثل الإمام عبدالقاهر الجرجاني وسيبويه والخوارزمي والجاحظ والقرطاجني وآخرين، وأصبحوا حجة فيما يرجع إليهم - في تخصصاتهم - حتى العرب أنفسهم، وبرز منهم أئمة في التفسير والحديث والفقه، وفي العلوم الدينية الأخرى.

وضع اللغة العربية في شبه القارة الهندية:

إن اللغة العربية من شعائر الإسلام التي أُمر المسلمون بالمحافظة عليها، وقد عدّها الإسلام من تقوى القلوب، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[1] وبناء على ذلك أصبحت المحافظة عليها مسئولية كل مسلم من العرب ومن غيرهم، الأمر الذي أدركه المسلمون الأوائل في شتّى بقاع العالم، وفي شبه القارة الهندية أيضاً.

تُعد الهند واحدة من بلاد العالم التي وصلها الإسلام مبكراً عبر الفتوحات الإسلامية الأولى وعبر العلاقات التجارية البرية والبحرية، فقد فتحها القائد المسلم الشاب محمد ابن القاسم الثقفي أثناء ولاية عمه الحجاج ابن يوسف الثقفي عام ٩٢هـ، وسيطر على بعض الأجزاء من الهند، ثم توسعت الفتوحات في زمن الأمويين والعباسيين فيما بعد. ولكن هذه الفتوحات توقفت بمجيء الخليفة العباسي المهدي؛ حين اشتد النزاع بين القبائل العربية التي هاجرت إلى هذه البلاد خلال المائة الأولى من دخول الإسلام فيها، ورغم ذلك استمرت الدعوة الإسلامية واستمر الإسلام ينتشر فيها عن طريق التجار

١- الحج: ٣٢.

المسلمين الذين كانوا تجاراً ودعاة في نفس الوقت، وجذور العلاقات التجارية بين الهند والعرب قديمة جداً تعود إلى ما قبل الفتح بمئات السنين، وبعد الفتح استقرت الثقافة الإسلامية في المنطقة بشكل رسمي في أرجاء كثيرة من الهند، وكانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للحكام، وفي المراكز العلمية التي سرعان ما انتشرت في المناطق المفتوحة، وهي أصل ما يُعرف اليوم بالمدارس الدينية. بدأ استخدام اللغة العربية في الهند منذ الأيام الأولى للفتح الإسلامي للهند، وأول نقش عُثر عليه في الهند هو نقش المسجد الجامع في مدينة «بنهبور» بالسند المؤرخ عام ١٠٧هـ. استُخدم فيه الخط العربي.(١) حظيت اللغة العربية بمكانة خاصة بين اللغات الموجودة في مناطق كثيرة من السند والبنجاب التي دخل أهلها في الإسلام؛ لكونها لغة القرآن الكريم ولغة أحاديث النبي ﷺ ولسان الدعوة الإسلامية ولسان المنتصر آنذاك، فكان من الطبيعي أن تنتشر مع انتشار الإسلام وتعاليمه الراقية في هذه المناطق، وكما انتشر الإسلام انتشرت اللغة العربية على نطاق واسع بين سكان البلاد، فقد كان الهنود الذين أسلموا يتعاملون مع العرب الحكام باللغة العربية. يقول الإصطخري: «ولسان أهل المنصورة والملتان ونواحيها العربية والسندية».(٢) كما كانوا يفتخرون بارتداء زي العرب ويحاولون محاكاتهم في أمور كثيرة حباً في الدين الإسلامي. ويؤكد الأستاذ خورشيد أشرف إقبال الندوي أن انتشار اللغة العربية في الهند على نطاق واسع كان في القرن الرابع الهجري، حين وصلت أسر مثل المماليك والخليجيين والتغلقيين والسادات واللودهيين إلى سدة الحكم في الهند. وتمتاز فترة حكم هذه الأسر بتقدم ملموس في تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي، حيث عُني كثير من ملوكها وأمرائها بتأسيس المدارس ومراكز التعليم، وبذل العلماء جهوداً جبارة في توسيع نطاق اللغة العربية؛ حرصاً على لغة القرآن والسنّة، فأثمرت جهودهم وأتت بنتائج مبشرة.(٣) وكان لجهودهم هذه آثار عظيمة ودور كبير في نشر اللغة العربية في ربوع تلك البلاد.

---

١ – د. محمد يوسف صديق، الخط العربي و أثره الحضاري، مقال منشور على الشبكة الدولية في موقع «هبة ستوديو»، http//:hibastudio.com/calligraphy-and-its-cultural-effects/

٢ – أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي (ت: ٣٤٦هـ.)، المسالك و الممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ص: ٧٥

٣ – الأستاذ خورشيد أشرف إقبال الندوي، اللغة العربية في الهند عبر العصور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط:١، ٢٠٠٨م، ص: ٢٣

قام المسلمون في شبه القارة الهندية بدور كبير في المحافظة على لغة القرآن؛ فقدموا للعالم الإسلامي تحفاً علمية نادرة وعظيمة بهذه اللغة العظيمة، ولم يكن اعتناؤهم بها أقل من غيرهم، فمنذ أن دخل الإسلام في هذه البقاع أخذت اللغة العربية تكتسح الساحات فيها، وأخذت تكسب أرضاً جديدة كل يوم على حساب اللغات المحلية الموجودة قبلها. اضمحلت أمام اللغة العربية كل اللغات المحلية في البلاد المفتوحة، حتى أن كثيراً من مناطق السند والبنجاب الغربيتين كان أهلها يتحدثون بهذه اللغة، وكانت فيها مراكز علمية كبيرة وكثيرة. يتحدث الدكتور نبيل فولي عن الوضع في شبه القارة الهندية فيقول: «لكن العربية بقيت في كل الأحوال لغة العلوم الدينية والدنيوية الأولى طوال فترات التفوق الحضاري للمسلمين، وكانت تصنع لنفسها في بعض المناطق خنادق خاصة بها في أوساط العلماء والطلاب؛ وسط خضم من اللغات الأعجمية التي تأثرت بها تأثراً لم يتوقف عند حدود استعارة الألفاظ، بل استعارت منها ألواناً أدبية متعددة أيضاً».[١]

كثرت المؤلفات العربية لعلماء شبه القارة الهندية بشكل لافت للنظر في العلوم الشرعية والعربية، فظهرت شروح الصحاح الستة وغيرها من كتب الحديث، وبعض المؤلفات في بعض المسائل الفقهية الدقيقة، كما أنجبت شبه القارة شعراء نظموا الشعر بالعربية. ولكن الذي يدعو إلى الأسف أن اللغة العربية لم تصبح لغة هذه البلاد كما أصبحت لغة مصر والشام والعراق، وحتى بلاد الأندلس البعيدة، و كان ذلك لأسباب كثيرة، أهمها عدم اتخاذ الفاتحين العرب من هذه المناطق مستقراً لهم مثلما اتخذوا العراق ومصر والشام وشمال إفريقيا والأندلس البعيدة عن جزيرة العرب موطناً لهم، لجمال الطبيعة في هذه المناطق ولصعوبة الجو وحرارته في السند وجنوب البنجاب، التي فتحها العرب وحكموها منذ أيام الخليفة الوليد بن عبدالملك الأموي، ولكنهم لم يتخذوها موطناً يستقرون فيه. يقول الدكتور نبيل: «حين انطلق الإسلام في أرجاء العالم التي سعدت به لم ينطلق وحده؛ بل أخذ اللغة العربية في صحبته، يُتلى بها القرآن الكريم وتُروى بها السنّة الشريفة ويتخاطب بها الفاتحون، ولولا السياسة وتقلباتها وأمور أخرى تتعلق بضعف كثافة الهجرات العربية وتغير لغة الفاتحين في الأجيال التالية

١ – د. نبيل فولي، الشعر العربي في شبه القارة الهندية، مقال منشور في مجلة الوعي الإسلامي الصادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، العدد ٥٣٢ بتاريخ ٣ سبتمبر ٢٠١٠م.

لتعربت مناطق من العالم أكثر اتساعاً مما نجد الآن».[1] ومن أسباب عدم تمكّن العربية من شبه القارة الهندية منافسة اللغة الفارسية لها، فحين جاء المغول من أفغانستان وإيران عملوا على نشر اللغة الفارسية، وكان ذلك على حساب اللغات الأخرى الموجودة في الهند، ومنها اللغة العربية. وكان لظهور اللغة الأردية المائلة إلى السهولة أثر كبير على تأخّر اللغة العربية في هذه البلاد.[2] أما اللغة الإنجليزية فقد دخلت البلاد بقوة دخول الفاتحين، وذلك حين سيطر الاستعمار البريطاني على البلاد سيطرة تامة بعد انتصاره الساحق في عام ١٨٥٧م. وقد حارب هذا الاستعمار اللغة العربية إبان فترة احتلاله الغاشم، وأبعد أصحاب الثقافة الإسلامية ومن كانت لديه خلفية في اللغة العربية من المجالات الحيوية، وخاصة من مجال التعليم والقضاء، وقدموا عليهم أصحاب الثقافة الغربية ومن كانت لديه خلفية في اللغة الإنجليزية، وتأثير ذلك باقٍ إلى يومنا هذا، فمن يجيد اللغة الإنجليزية اليوم في باكستان يجد عملاً بسهولة، كما يحظى بمكانة لا يحظى بها الآخرون ممن لا يجيدونها، أما العربية فأصبحت - كما يقال - لا تُطعم خبزاً. يقول الدكتور مظهر معين: «وتمت سيطرة الاستعمار البريطاني في باكستان وشبه القارة كلها بعد أن سقطت الحكومة المغولية المسلمة، وفشلت حرب استقلال أو الثورة الشعبية سنة ١٨٥٧م، وكانت نقطة التحوّل في تاريخ الهند الإسلامي، فأخرجت اللغتين العربية والفارسية من دواوين الحكومة وفرضت عليها اللغة الإنجليزية المكتوبة بالأبجدية اللاتينية، والمتأثرة باللغتين اليونانية واللاتينية، كما استُبدلت المحاكم الشرعية بالمحاكم الإنجليزية؛ فجعلت اللغة الإنجليزية لغة أساسية في النظام التعليمي والقانوني الجديد، فأصبح المسلمون الناطقون بالعربية والفارسية والمحلية غير المثقفين عند المستعمرين، وحدث ذلك في لمح البصر، وبكت عليهم السماء والأرض».[3] ورغم هذا استمرت المراكز العلمية تؤدي دورها في مناطق متعددة من شبه القارة الهندية في نشر اللغة العربية، لغة القرآن وأحاديث النبي ﷺ والعلوم الدينية، وأصبحت هذه المراكز العلمية تُعرف فيما بعد باسم المدارس الدينية، أو ما يُسمّى عندنا بالدرس النظامي. وهذه

١- المرجع السابق.

٢- وكانت نتيجة اختلاط لغات كثيرة أهمها: الفارسية، التي تعد أم الأردية، والسنسكريتية، وهي لغة الهند القديمة، والتركية والعربية، وكلمة «أردو» تعني "معسكر" باللغة التركية.

٣- «حاضر اللغة العربية»، د. مظهر معين، ص: ٢٢٠.

المدارس تهتم بالعربية إلى جانب الفارسية والأردية الناشئة، فكانت تدرس فيها مواد النحو والصرف والبلاغة والأدب، وبعض المواد الأخرى المتعلقة بالعربية مثل الترجمة، إلى جانب العلوم الدينية مثل التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه، وما إلى ذلك، ولكن - للأسف الشديد - تُقرأ متون هذه الكتب بالعربية ثم تُشرح باللغات المحلية المختلفة، لذلك بقيت اللغة العربية وسيلة لفهم الكتاب والسنّة وكتب التراث، ولكنها لم تصبح لغة التخاطب وبقيت لغة غير حية. وهكذا بقيت بعيدة عن عامة الشعب الذي كانت تتنازعه لغات محلية كثيرة. ومع دخول الاستعمار فُتحت مدارس عصرية تدرس العلوم الحديثة واللغة الإنجليزية، وأخذت هذه المدارس مع الزمن تنافس المدارس الدينية، بل سحبت البساط من تحتها لأسباب كثيرة، منها التآمر على لغة القرآن، ومنها تقصير المسلمين في شبه القارة الهندية وضعفهم؛ حيث كانت المناهج المعتمدة في تدريس العلوم الدينية واللغة العربية في هذه المدارس قد تقادم عليها العهد وأكل عليها الدهر وشرب، فكان ذلك من أسباب تأخّر المسلمين في هذه البلاد، ولأجل ذلك أشيع بينهم أن اللغة العربية صعبة فقصّروا في تعلمها وتعليمها. ومن جهة أخرى، حين دعا المستعمر البريطاني الشعب الهندي إلى تعلّم اللغة الإنجليزية صدرت بعض الفتاوى التي تدعو المسلمين إلى عدم تعلّمها، وأجازوا للبعض بأن يتعلمها ليأمنوا مكر الإنجليز الذين كانوا يتربصون بأهل البلاد - خاصة المسلمين - الدوائر، أما أن ينصرف الناس جميعاً إلى تعلم هذه اللغة ففي ذلك خطر كبير على كيان الأمة الإسلامية، لأن اللغات في نظر هؤلاء - وهذا حق - ليست مجردة، فهي تحمل معها عقائدها وعاداتها وتقاليدها التي نشأت تلك اللغات في ظلها، فإذا انكب المسلمون جميعاً على هذه اللغات يتعلمونها دخلت العقائد الغربية وعاداتهم وتقاليدهم المتصلة بها إلى عقر دارهم من أوسع أبوابها، والأمة التي تفرّط في لغتها تفرّط في أساس وجودها، لأن اللغات أوعية لثقافات أهلها وحضاراتهم، وما حدث بعد ذلك يؤكد أهمية تلك الفتاوى ويبررها، ويبرز وعي أولئك العلماء بحقائق الواقع، ويكشف عن نظرتهم الثقافية للمستقبل.

ويحس الكثير من الباكستانيين في الآونة الأخيرة بأهمية اللغة العربية لأسباب كثيرة، أهمها السبب الديني، وإن كان السبب الاقتصادي ليس غائباً عنهم، فظهرت كتيبات تركز على تعليم اللغة العربية، ولكن أغلبها لم يصل إلى المستوى اللائق أو الملائم لتحقيق الهدف المنشود؛ لأسباب كثيرة أهمها أن أكثر الذين قاموا بتأليف هذه الكتيبات لم يكونوا

مؤهلين لهذا العمل، وذلك لأن بعضهم كان من العرب الذين لا يعرفون طبيعة البلد ولا عاداتهم اللغوية والاجتماعية ولا طرق تفكيرهم، فلذلك ألّفوا تلك الكتيبات لأغراض دينية بحتة؛ غير مفرّقين بين الحاجات المختلفة للمتعلمين، وأغلب هذه الكتيبات أُلفت في البلاد العربية ثم نُقلت إلى شبه القارة الهندية، وبعض الذين ألّفوا مثل هذه الكتيبات كانوا من أهل شبه القارة من الهنود والباكستانيين، وهؤلاء - رغم معرفتهم لمشاكل أهل هذه البلاد وطبيعتهم وعاداتهم اللغوية وتقاليدهم الاجتماعية - فإنهم كانوا هم أنفسهم يعانون من ضعف في اللغة العربية، ولم يكونوا بمستوى العلماء السابقين، وفاقد الشيء لا يعطيه كما نعلم. وهكذا لم تُغن هذه الكتيبات، ولم ترفع مستوى اللغة العربية بقدر ما حققه الاتصال المباشر والممارسة العملية لهذه اللغة مع أهلها؛ من خلال الاتصال بهم في بلادهم بعد أن سافر بعض الباكستانيين إلى البلاد العربية للدراسة.

وخلاصة القول في هذا الشأن أن الكتب التي أُلفت في باكستان بهدف تعلّم التحدث باللغة العربية لم تكن مناسبة، ولم تحقق الهدف المطلوب منها، لأنها لم تراعِ أصول تعليم اللغات ولا طرق تعليمها، ولم تضع نصب عينها الأغراض الخاصة التي تهتم بها الدراسات الحديثة، ثم - كما ذكرت - لم تصدر عن مؤهلين لهذا الغرض الخاص.

اللغة العربية والمؤسسات التعليمية في باكستان:

إن اللغة العربية لها مكانة خاصة في قلوب الباكستانيين، لارتباطها الوثيق بالثقافة الإسلامية وبالقرآن بشكل خاص، لذلك توجد في اللغة الأردية واللغات المحلية فيها مثل البنجابية والسندية والبلوشية والبشتوية كثير من المفردات العربية، ففي اللغة الأردية من أربعين إلى ستين في المائة من الكلمات العربية على اختلاف الإحصائيات.[1] ومن مظاهر تأثير اللغة العربية في اللغات المحلية استعمالها للخط العربي واستخدامها للكلمات العربية بكثرة.[2]

١- مهيوب خضر، الباكستانيون يقبلون على اللغة العربية لدوافع دينية، مقال منشور على الشبكة الدولية في موقع «إسلام ويب»، ...A=lang&article=page?php.index/media/net.islamweb.articles

٢- د. محمد بن إبراهيم الفوزان، واقع تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها لأغراض خاصة في جامعة الملك سعود، بحث منشور في كتاب المؤتمر العالمي الرابع في تعليم اللغة العربية وآدابها لأغراض خاصة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، مايو ٢٠١٣م، الجزء الثاني، ص: ١٤٥. والدكتور مظهر معين، حاضر اللغة العربية، ص: ٢٢٠.

وترجع رغبة الباكستانيين في تعلّم اللغة العربية إلى عمق العاطفة الدينية لديهم، وهذه الرغبة كانت الدافع الأكبر لقيام دولة باكستان – وتعني الأرض الطاهرة – وكان استقلالها عن بريطانيا وانفصالها عن الهند عام ١٩٤٧م، وهذا الأمر كان له أثر كبير على إقبال الناس على القرآن الكريم قراءة – وتُسمّى عندنا «ناظرة» – وتعلماً وحفظاً، ففي باكستان والهند أعداد كبيرة من حُفّاظ القرآن الكريم تتجاوز أية دولة أخرى، علاوة على ما اشتهر بين الباكستانين من أن اللغة العربية هي لغة أهل الجنة، كما ورد في الحديث الذي لم تثبت صحته.[١] وانتشار اللغة العربية في باكستان لا يعود إلى رغبة المتدينين من الشعب فحسب، بل يتعدى إلى بعض الحكام من أصحاب الميول الدينية مثل الجنرال ضياء الحق، الذي أمر عام ١٩٧٨م بتعليم اللغة العربية كمادة أساسية في جميع المراحل الدراسية بدءاً من الصف الأول حتى الصف العاشر، ولكن المنفذين لهذا الأمر من البيروقراطيين قصروه على ثلاثة مستويات أو مراحل فقط، تبدأ من الصف السادس حتى الصف الثامن، وفي عهد الحكومات التالية اقتصر تدريس هذه اللغة على مرحلة واحدة أو مستوى واحد فقط هو الصف السادس، وهذه المادة اليتيمة اليوم لا يهتم بها أحد ولا تحمل أي مضمون حقيقي يفيد الطلاب. ومن إنجازات الرئيس الراحل ضياء الحق إنشاء الجامعة الإسلامية العالمية في العاصمة عام ١٩٨٠م، التي تعتمد على هذه اللغة في عدد من التخصصات، وخاصة في الكليات الأساسية مثل كلية اللغة العربية وكلية الشريعة والقانون وكلية أصول الدين، علاوة على تدريسها مادة إجبارية في باقي كليات الجامعة وأقسامها – حتى العلمية منها – كمتطلب عام. كما أُسست أقسام اللغة العربية في معظم جامعات باكستان، الحكومية منها والأهلية. وعلى الصعيد الشعبي، قامت المدارس الدينية المنتشرة في طول البلاد وعرضها، التي يزيد عددها على عشرين ألف مدرسة، بدور كبير في تعليم اللغة العربية والأدب العربي، فيدرس فيها الطلاب النحو والصرف والبلاغة والأدب،[٢] و كان – كما أسلفت – للبعثات التي أُرسلت

١– ونصه كالتالي: «أحبوا العربية لثلاث: لأني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي». رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وهذا الحديث موضوع، فقد حكم عليه ابن الجوزي والذهبي بالوضع، وأدرجه الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة»، رقم : ١٦٠.

٢– تحدث الدكتور محمود محمد عبدالله بالتفصيل عن دور المؤسسات التعليمية في نشر اللغة العربية في باكستان في الباب الأول من كتابه «اللغة العربية في باكستان، دراسة وتاريخاً»، من منشورات وزارة التعليم الفيدرالية بإسلام آباد، ط١، ١٩٨٤م، من ص: ٨١– ١٩٨.

إلى البلاد العربية المختلفة للدراسة وعودتهم حاملين الشهادات العليا والعلم الغزير واللغة العربية دور كبير في الارتقاء بهذه اللغة في باكستان. هذا ويستغل الباكستانيون فرصة وجود العرب في باكستان ليتعلموا منهم أي قدر يتيسر لهم من اللغة العربية، وذلك بشوق عظيم ورغبة شديدة، وذلك بسبب القرآن الكريم ومكانته في قلوبهم. وهنا لابد من الإشارة إلى دور المؤسسات العربية التي تأسست خلال السنوات الثلاثين الماضية في باكستان، والتي فتحت معاهد لتدريس اللغة العربية، ولتحقيق هذا الغرض وفّرت عدداً لا بأس به من المدرسين العرب، وأقامت دورات لتعليم اللغة العربية في مختلف أرجاء البلاد، كما أقامت دُوراً ومدارس للأيتام اعتمدت فيها المناهج العربية، وخاصة في مدينة بيشاور والمدن المجاورة. وكان لهذه المؤسسات والمدارس دور كبير في نشر الوعي الديني في باكستان، ومواجهة مد العلمانية الذي بدأ يتسرب إلى الشعب الباكستاني. ولكن أكثر هذه المؤسسات أُغلقت لأسباب سياسية، مما أدى إلى تراجع اللغة العربية في باكستان خطوات إلى الوراء، بعد أن كانت قد حققت بعض التقدم، وهذه السياسات التي اتبعتها الحكومات المتعاقبة في باكستان كانت ضمن منظومة دولية هدفها التآمر على الإسلام وعلى لغة الإسلام.

تنقسم برامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بشكل عام إلى نوعين:

برامج لتعليم العربية للحياة، وهي برامج عامة للجمهور دون تمييز بين الدوافع التي من أجلها يتعلم الناس العربية، والنوع الثاني برامج لتعليم العربية لأغراض خاصة، وهي برامج نوعية ذات طبيعة خاصة ولأناس من ذوي الحاجات الخاصة، كمن يتعلم اللغة العربية ليفهم دينه ويفهم كتاب ربه.[١] وبرامج النوع الثاني هي التي يجب أن نهتم بها في باكستان أكثر.

ويتعلم تسعون في المائة من مسلمي العالم اللغة العربية اليوم لأغراض دينية، ونسبة الباكستانيين الذين يتعلمون اللغة العربية لأغراض دينية، وخاصة لغرض فهم القرآن، أكثر من ذلك.[٢]

١- د. ريا بنت سالم المنذري، تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة في ظل تحديات العولمة، بحث منشور في كتاب المؤتمر العالمي الرابع في تعليم اللغة العربية و آدابها لأغراض خاصة، الجزء الأول، ص: ١٨٦.

٢- الدكتور عبدالرحمن حسين،تجربة المنهج في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، بحث منشور ضمن «وقائع ندوات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها» (الجزء الثالث)، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٥م، ص: ٦٧.

ثم إن معظم هذه الكتب ومعظم المعلمين الذين يدرسون اللغة العربية في باكستان يعتمدون في تدريسهم على لغة وسيطة هي في الغالب اللغة الأردية، وأحياناً تكون اللغة الإنجليزية، وهذه الطريقة تُسمّى بطريقة الترجمة، وهي تختلف عن الطريقة المباشرة، الأمر الذي يبطئ من تعلّم اللغة العربية، لأن تركيز المتعلمين يبقى على اللغة التي يعرفونها وهي اللغة الأردية، ولا يجتهدون في تعلّم اللغة الجديدة وهي اللغة العربية و إن أحبوها.

دور اللغة العربية في نشر الوعي الديني في باكستان:

إن العلاقة بين اللغة العربية والوعي الديني علاقة طردية، بمعنى أنه إذا زاد الوعي بالدين الإسلامي في مجتمع ما فإن الاهتمام باللغة العربية يزداد فيه، والعكس صحيح؛ أي: إذا انتشرت اللغة العربية في مجتمع زاد فيه الوعي الديني، فكل واحد منهما يؤثر على الآخر ويتأثر به إيجاباً. ومن هذا المنطلق؛ لو أردنا أن يعود الناس إلى الدين الذي جاء به خير البشر وسيد الرسل محمد ﷺ من عند رب العالمين رب السماوات والأرض؛ الذي فيه صلاحهم الدنيوي والأخروي، علينا كأفراد وجماعات وحكومات أن نتحرك ونغير ثوابت خاطئة كثيرة استقرت في حياتنا، وأن نتخذ خطوات كبيرة تتناسب مع الهدف العظيم الذي نسعى إليه، ومن هذه الخطوات الكبيرة الاهتمام باللغة العربية لغة القرآن؛ أهم مظهر من مظاهر الإسلام وأهم شعيرة من شعائره الكبرى، أليست لغة كتاب الله ولغة المصطفي التي خاطبنا بها في أحاديثه الشريفة ولغة تراث فكري عظيم أنتجه علماؤنا الكرام خلال قرون مديدة؟ واللغة العربية هي المفتاح الذي نستطيع به فتح مغاليق هذا التراث القيم بكل المعايير. يقول الدكتور عبدالغني بن محمد دين: «تُعد اللغة العربية وعاء الثقافة الإسلامية، وهي الأداة المثلى لمعرفة مبادئ الدين الحنيف وفهم أحكامه، وبذلك يصبح تعلمها واجباً، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».[1] ومما هو معروف أن الهدف الأسمى من تعلّم اللغة العربية هو الثقافة الإسلامية، لذلك يجب ألا تقتصر برامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها على تحصيل اللغة المجردة بمعزل عن المحتوى؛ وهو الثقافة الإسلامية ومبادئها وعقائدها، وهذا لا يمكن أصلاً لأن اللغات

١- د. عبدالغني بن محمد دين،تعليم النحو والصرف والبلاغة لمتعلمي اللغة العربية لأغراض خاصة، بحث منشور في كتاب المؤتمر العالمي الرابع في تعليم اللغة العربية وآدابها لأغراض خاصة، ص: ١١٨.

لا تكون مجردة أبداً، فإذا درسنا اللغة الإنجليزية – على سبيل المثال – فإننا شئنا أم أبينا ننقل عقائد القوم وأفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم، لأننا لا نستطيع أن نعزل اللغة عن البيئة التي نشأت فيها، وكذلك لو أردنا أن ندرس اللغة العربية فإننا – شئنا أم أبينا – سوف نتعرض للقرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة وسيرة المصطفى ومبادئ الإسلام وأصوله. ومن المنطقي أننا إذا أولينا اللغة الإنجليزية اهتماماً أكبر من القدر المطلوب فإننا سنسير في ركب أصحابها، وخاصة إذا اتجه الجميع إلى تعلّمها. ومن الطبيعي كذلك أننا إذا اهتممنا باللغة العربية اهتماماً حقيقياً وفق خطة ومنهج حقيقيين فإننا – من حيث شعرنا أو لم نشعر – سوف نقترب من الدين الحنيف أكثر. وأستطيع أن أقول من خلال تجربتي الشخصية في تدريس اللغة العربية للباكستانيين إن حماسهم و إقبالهم على تعلمها يزداد حين ترتبط بالقرآن أو أحاديث المصطفى ﷺ، بعكس ما لو درست مجردة بعيدة عن محتوى الثقافة الإسلامية، لأن أكثرهم يتعلمون اللغة العربية ليفهموا بها القرآن وسنة الرسول ﷺ. لذلك يفضل عند وضع مناهج ومقررات لتدريس اللغة العربية للباكستانيين اختيار موضوعات ونصوص دينية، وعلى كل المستويات؛ مستوى الأصوات والمفردات والجمل والعبارات، وهكذا يمكن تنمية مهارات اللغة العربية من خلال القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ قراءة وسماعاً وحفظاً ومحادثة وكتابة[1]

وفي هذا الصدد يمكن استغلال مراكز تحفيظ القرآن المنتشرة في مساجد باكستان ومدارسها الدينية، فتعلّم اللغة العربية إلى جانب حفظ القرآن، وهذه القضية ليست سهلة، فالأمر يحتاج إلى تخطيط وإعداد وميزانيات، وهذا كله فوق طاقة الأفراد والجماعات، ولابد من رعاية حكومية مخلصة.

وهناك قضية لها علاقة بموضوع البحث تتعلق بما أشيع بين الباكستانيين من أن اللغة العربية صعبة؛ فهل هذا صحيح؟

لو رجعنا إلى أصل هذه المقولة الشائعة بين الناس في هذه المنطقة لوجدنا جذورها ترجع إلى أيام الاستعمار البريطاني الذي استمر قرابة مائة عام، من عام ١٨٥٧م إلى عام ١٩٤٧م، والذي حاول أن يفرض لغته على البلاد وإضعاف اللغة العربية، كما بينت في هذا البحث، واستمرت آثار ما بدأه المستعمر إلى يومنا هذا.

١– د. محمود حسن الجاسم، توظيف النصوص القرآنية في تعليم العربية للناطقين بغيرها، بحث منشور في كتاب المؤتمر العالمي الرابع في تعليم اللغة العربية وآدابها لأغراض خاصة، ص: ٢١٥–٢٢١.

أصحاب كل لغة يرون أن لغتهم هي أفضل اللغات، فعلى سبيل المثال يرى جالينوس الطبيب اليوناني الشهير أن لغة اليونانيين أفضل اللغات وسائر اللغات في رأيه تشبه نباح الكلاب أو نقيق الضفادع.[١] وفي مقابل كلام جالينوس عقد ابن فارس باباً تحت عنوان: «القول في أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها»، وقال: «فلما خُص اللسان العربي بالبيان، عُلم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه».[٢]

يُرجع الدكتور مصطفى محمد حسين إبراهيم صعوبة أية لغة أو سهولتها إلى عاملين اثنين: الأول: علاقة اللغة الأم باللغة المراد تعلمها، والثاني: تأثير المجتمع في العملية التعليمية. وقرر في نهاية بحثه أنه كلما كان التشابه والاتفاق كبيراً بين لغة المتعلم الأم واللغة التي يتعلمها كان التعلّم سهلاً، وكان تفاعل المتعلم معها أكثر، ومتى كانت اللغتان مختلفتين ومتنافرتين كان التعلم صعباً ومرهقاً.[٣]

وإذا نظرنا إلى اللغتين: الأردية والعربية، وهي اللغة التي نريد أن نعلمها لهم، وجدناهما متفقتين في أمور كثيرة، فكلتاهما تكتب بحروف عربية، ثم هناك بين أربعين إلى ستين في المائة – على اختلاف الإحصائيات – من الكلمات العربية في اللغة الأردية، ويكفينا في هذا الصدد أن نذكر أن اللغة العربية كانت من أهم اللغات التي ساهمت في إثراء اللغة الأردية اللفظي، ثم إن المجتمع الباكستاني المحافظ على دينه متعاطف جداً مع اللغة العربية، وتأثير هذا المجتمع إيجابي في تعلمها.

كان المفترض وفقاً لهذه المعطيات أن يكون تعلّم اللغة العربية عملية سهلة، فلم الأمر ليس كذلك؟ نحن خلال الحكم الإنجليزي للبلاد وحكم من تبعهم التصقنا باللغة الإنجليزية وابتعدنا عن اللغة العربية التي جُهِّلت بيننا، واقرأوا إن شئتم لافتات المحلات والدكاكين، ليس في المدن فحسب بل في القرى أيضاً، واسمعوا إن شئتم حديث الناس وخاصة المثقفين منهم، فستعرفون ما أرمي إليه. لهذه الأسباب أصبحت اللغة العربية صعبة في باكستان وأصبح تعلّمها شاقاً، رغم أنها لغة كتاب ربنا الذي

١- جلال الدين بن عبدالرحمن السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ الطبع، الجزء الأول، ص: ٣٢٢- ٣٢٤.

٢- أبو الحسين بن أحمد، الصاحبى، في فقه اللغة، دار الكتب العلمية ط: ١، ١٩٩٧م، ص: ٧ وما بعدها.

٣- د. مصطفي حسين إبراهيم، تأثيرات اللغة الأم والمجتمع في تعليم اللغة الأجنبية للناطقين بغيرها، بحث منشور في كتاب المؤتمر العالمي الرابع في تعليم اللغة العربية وآدابها لأغراض خاصة، ص: ٢٠٢-٢١٣.

أرسله إلينا وفيه ذكرنا ولغة نبينا، ورغم ما هو شائع في المجتمع الباكستاني من أنها لغة أهل الجنة! بينما نجد اللغة الإنجليزية سهلة والسبب في ذلك شيوعها بيننا.

خلاصة البحث:

حاولت في هذا البحث أن أربط بين اللغة العربية والوعي الديني في باكستان، وأثبت أن العلاقة بينهما لا تقبل الفصام، فهما في الحقيقة وجهان لعملة واحدة، وأكثر المحاولات التي جرت للفصل بينهما باءت بالفشل لأنها غير فطرية. وأقصد بهذه المحاولات تلك المناهج والمقررات والكتب الخاصة بتعليم اللغة العربية؛ التي ألفها المستشرقون الجدد لتعليم اللغة العربية حسب مخططاتهم الرامية إلى إبعاد المسلمين عن دينهم، والتي يروج لها أذنابهم في بلادنا، وللأسف الشديد بدأت هذه الكتب تنتشر في بلادنا.

إذا أردنا أن ننشر الوعي الديني وأن يعمّ التعليم الديني بين المسلمين في باكستان؛ فعلينا – ضمن أشياء أخرى – أن نهتم اهتماماً حقيقياً باللغة العربية، وأن نعلمها بكل الطرق والوسائل، وأن نقررها مادة إجبارية في كل المستويات المدرسية، وأن نعمل على تقويتها وتفعيلها في المدارس الدينية، وأن نهتم بها على المستوى التجاري أيضاً بفتح مؤسسات ومعاهد وكليات ومدارس تهتم بها مادة أساسية، وبرعاية حكومية جادة، حتى تتخرج الأجيال القادمة وهي تعرف هذه اللغة، فتكون أساساً قوياً لخلق بيئة علمية على أسس دينية صحيحة، تخرّج علماء على غرار العلماء الذين نقرأ عنهم في تاريخنا العظيم. وكل ما قيل في ثنايا البحث من أن الدافع الأقوى لتعلّم اللغة العربية كان الدين منذ البداية وحتى اليوم، وخاصة في هذه المنطقة، يمكن أن يُقال مثله في أن من أراد أن يتعلم الدين على أصوله وعلى أسسه السليمة فعليه أن يتعلم اللغة العربية، لأنها الوسيلة المثلى لتحقيق ذلك الهدف.

نتائج البحث وتوصياته:

من خلال هذا البحث توصلت إلى بعض النتائج والتوصيات، فيما يلي أهمها:

- الاهتمام باللغة العربية على جميع المستويات وخاصة على المستوى الرسمي، فالناس على دين ملوكهم.
- حثّ كل فئات الشعب الباكستاني المحب لهذه اللغة والذي يعتبرها جزءاً من دينه على تعلّمها.

- وهذا يتطلب إعداد مناهج وبرامج قوية وخاصة تلك التي تدرس اللغة العربية لأغراض خاصة، وبالأخص لغرض تعلّم القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ ومبادئ الدين الحنيف، ويمكن في هذا الصدد الاستفادة من تجارب الآخرين والقيام بدراسات ميدانية وعمل بحوث؛ لمعرفة المشاكل التي تعيق عملية تعلّم اللغة العربية وكيفية التغلب على تلك المشاكل وتوظيف التقنيات الحديثة في تعليم اللغات.
- وهذا بدوره يتطلب إعداد معلمين أكفاء يحملون هذا العبء الكبير ويؤدون واجبهم على أكمل وجه وأفضل طريقة، ويستخدمون عنصر التشويق وتحبيب المتعلمين في هذه اللغة بهندامهم وسلوكهم وعلمهم ومعرفتهم.
- استغلال المدارس الدينية ومراكز التحفيظ المنتشرة في باكستان في وضع اللبنات الأولى لتعليم اللغة العربية التي تتناسب مع أعمار الطلاب ورغباتهم.
- إدراج الأدب الحديث وفنونه والنظريات الحديثة في اللغة ضمن مناهج ومقررات المدارس العصرية والمدارس الدينية والكليات والجامعات.
- الحرص على تعليم اللغة العربية حية، ومحاولة خلق بيئات لغوية تساهم في أن تكون هذه اللغة هي لغة الشعب الباكستاني في المستقبل.
- توفير فرص عمل مناسبة لخريجي كليات اللغة العربية وأقسامها وبرواتب مجزية، أو على الأقل متساوية مع العاملين في الحقول الأخرى.
- إقامة مؤتمرات وعقد ندوات وترتيب محاضرات لبيان أهمية اللغة العربية في المجتمع الباكستاني وفي حياة المسلمين.

اتجاهات حديثة في إعداد مواد تعليم اللغة العربية[1]

الدكتور حبيب الرحمن عاصم

أستاذ مشارك بكلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان

«تعلموا العربية فإنها تثبت العقل وتزيد في المروءة»،[2] هذه الكلمة قالها ذلك الرجل الذي قال عنه الرسول العربي ﷺ: «إنّ الله جَعَلَ الحقّ على لسان عمر وقلبه».[3] أدرك المسلمون قيمة العربية لمّا آمنوا بالقرآن العظيم الذي أنزله الله بلسان عربي مبين، يقول الله عز و جل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[4] فعلمت العرب بأنها أمانة وعرف غير العرب بأنها نعمة من الله، فدخلت العربية في قلوب الناس عن طريق الدين، وتعلّم المسلمون الدين الحنيف عن طريق اللغة، فحفظ الدين اللغة العربية وأصبحت العربية وعاءً للدين، وجرت في جسد الأمّة المسلمة مجرى الدّم، ولكن الزّمان قَد بَعُد كلَّ البعد من خير القرون، حتى جاء ذلك الوقت حيث نامت الأمة وغرقت في نومها وكأنّها وجدت ظلاً ظليلاً، فقد انشغلت القيادات السياسية باللّهو واللعب، والعلماء

١- اختير هذا البحث من مجموعة بحوث المؤتمر الذي نظمته جامعة العلامة محمد إقبال المفتوحة في عام ١٩٨٨م، وقد تمت المراجعة والتحديث من قبل المؤلف عام ٢٠١٧م.

٢- شعب الإيمان للبيهقى، باب طلب العلم، قول عمر رقم ١٥٥٢.

٣- سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب ﷺ، رقم الحديث: ٣٦٨٢، وفي رواية أبي داود وعن أبي ذر ﷺ قال: إنّ الله وَضَعَ الحقّ على لسان عمر يقول به.

٤- سورة يوسف: ٢.

بالخلافات التافهة، وأصبح عامة الناس مثل التائهين الضّائعين، فهبّت ريح «الرّوم» من الغرب وسيطرت على بلاد المسلمين تحت تسمية خادعة «الاستعمار»، فأخذت جيوشهم أراضي المسلمين، أمّا مثقّفوهم وعلماؤهم فبدؤوا يقنعون بأنهم يريدون تعمير البلاد، فخلال قرني القهر والخدعة استطاعوا إقناع الشعوب المسلمة بأنّ المستعمرين سادتهم، فكلّ ما يأتي منهم من العلم والثقافة والفكر واللغة جيّد وواجب الاتباع والطّاعة، فبدأت الحكومات والجاليات الأجنبية تخطّط حتى تتغيّر الأمور من جذورها، فبدؤوا يغيّرون نظام التعليم أول الأمر، واتخذوا الخطوات التالية:

- فرّقوا بين العلوم الدينية والعلوم الطبيعية.
- غيّروا لغة التعليم، فأصبحت الإنجليزية لغة أساسية لجميع المراكز التعليمية في المنطقة.
- وفّروا جميع التسهيلات لتلك المراكز التي تعلّم العلوم الطبيعية والاجتماعية بالإنجليزية.
- أهملوا العلوم الإسلامية والعربية إهمالاً شديداً؛ حتى أصبح علماؤها وخريجو تلك المراكز فقراء لا يجدون لأنفسهم مكانة اجتماعية ولا رزقاً كريماً.

وضع اللغة العربية بباكستان:

لقد تم إنشاء باكستان على أسس إسلامية، وقد شارك في تأسيسها آلافٌ من الباكستانيين الذين رفعوا شعار لا إله إلا الله، فاستشهد بعضهم وما زال بعضهم على قيد الحياة، أمّا الخسائر المادية والمعنوية فلاحصر لها، وقد جلب هذا التأسيس الذي قام على أسس إسلامية العداء لباكستان فأصبحت عرضة لأعداء الدّين، وكان التعليم أوّل صيد لهم.

وكان من المفروض أن تؤسس دولة باكستان نظامها التعليمي على أسس إسلامية تجمع بين علوم القرآن والسنّة والطبيعة والاجتماع، كما وضع الرسول الكريم ﷺ اللبنات الأولى في المركز التعليمي الأول بالمسجد النبوي وفق تعليمات ربّانية، حيث جمع ربّنا سبحانه وتعالى بين العقيدة والطبيعة فأنزل وحيه الكريم: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾.[1]

١- سورة العلق: ١.

ثم نزلت آيات متعددة تؤكّد وتكرِّس المعنى نفسه في قلوب المؤمنين، فعلى سبيل المثال قال الله عزّ وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١﴾.[١] وقال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٢].

فبنت الحكومات المسلمة الصرح التعليمي الشامخ في العالم الإسلامي لقرون طويلة، وتشهد آثار المراكز التعليمية على ذلك من الأندلس إلى مناطق ما وراء النهر، ولكن باكستان لعبت فيها أيدٍ خفية فشُكّل نظام التعليم الذي يخلق الطبقات المختلفة بين الناس، مثل طبقة الأغنياء والفقراء، وطبقة الأرستوقراطيين وطبقة العمّال، وطبقة رجال الدين ورجال الدنيا. ثم فرّق ذلك النظام التعليمي رجال الدين إلى فئات مذهبية، فأُسست المدارس الدينية على خلافات مذهبية، فنشأ جيل كامل تسربت فيه روح الخلاف والكراهية، وهذا كلّه أثّر في كلّ شيء؛ في الأساتذة والطّلاب والمناهج الدراسية ولغة التعليم ونظام الامتحان، وخاصّة في اللغة العربية. نذكر كل هذا حتى يعرف القارئ تمام المعرفة أوضاع اللغة العربية في باكستان، وقبل أن ندرس المواد الدراسيّة التي تدرس في المراكز التعليمية دراسة نقدية، ونذكر الاتجاهات الحديثة التي بدأت تظهر في الدّولة، من المستحسن أن نلقي نظرة سريعة على أنواع المراكز التعليمية التي تدرس فيها اللغة العربية.

المراكز التعليمية الحكومية (الجامعات):

بلغ عدد الجامعات بباكستان ١٨٣ جامعة، وتُدَرَّس العربية في اثنتي عشرة جامعة فقط هي: جامعة كراتشي وجامعة سندهـ وجامعة بهاولپور الإسلامية وجامعة ذكريا بملتان وجامعة ديره إسماعيل خان وجامعة بنجاب بلاهور وجامعة سرجودها وجامعة

١- آل عمران: ١٩٠.

٢- البقرة: ١٦٤.

فيصل آباد والجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد والجامعة الوطنية للغات الحديثة (نمل) وجامعة بشاور، أما الجامعات الأخرى فلم تحظَ بالعربية إلى الآن.

وضع اللغة العربية في المراكز التعليمية الحكومية وغير الحكومية:

الجامعات الحكومية: تُدَرَّس اللغة العربية في بعض الجامعات الحكومية للمرحلتين (ماجستير ودكتوراه)، أمّا الجامعة الإسلامية العالمية فهي الوحيدة التي تدرس فيها اللغة العربية وآدابها لثلاث مراحل هي: مرحلة العالية والماجستير والدكتوراه، ولكن مستوى اللغة العربية في معظم الجامعات ضعيف جدًا، سوى الجامعة الإسلامية العالمية، لأنّ الطلاّب في الجامعات يدرسون العربية وآدابها بغير تمكّن من المهارات الأساسية للغة، فإنهم يحفظون بعض النصوص وترجماتها ويجمعون المعلومات من كتب التاريخ والأدب ويستعدّون للاختبارات، فالمناهج المطبّقة بالجامعات لا تساعد الطلاّب على الإتقان اللغوي إطلاقا اللهم إلا إذا كان القليل من المئات يصل إلى المستوى المطلوب بمجهودات شخصية فتلك منّة الله سبحانه وتعالى عليهم.

الكليات الحكومية: بلغ عدد الكليات بباكستان (٣٤٠٠) ثلاثة آلاف وأربعمائة، أمّا اللغة العربية فتتنفّس في قليل منها أنفاسها الأخيرة (والعدد الباقي لم تفتح أبوابها للغة العربية منذ بدايتها إلى الآن).

المدارس الإعدادية والثانوية: كانت فيها العربية كمادة اختيارية في بداية عهد الجنرال ضياء الحق، حيث جعلتها الحكومة مادة إجبارية للصفوف السادس والسابع والثامن الإعدادي، وبعد قتله بسنوات قليلة جُعلت العربية مادة اختيارية مرّة أخرى. فخلت المدارس من اللغة العربية شيئًا فشيئًا، والآن لا تجدها إلا نادرًا، ولعدد قليلٍ جدًا، وذلك نتيجة لمحاولات شخصية من بعض الأساتذة وأولياء الاَمور.

المدارس الدينية: توجد في باكستان مدارس دينية كثيرة، تمثل خمس فئات كبيرة، هي: وفاق المدارس الديوبندية، تنظيم المدارس البريلوية، وفاق المدارس السلفية، رابطة المدارس الدينية للجماعة الإسلامية، وفاق المدارس الجعفرية. وتوجد هناك تقسيمات داخلية أخرى لهذه الفئات ولها مدارسها ونظامها الخاص. لاشك في أنّ عدد المدارس الدينية في باكستان كثير، ويبلغ عدد طلابها مليوناً ونصف المليون، ولكن العربية حالها حال المسكين الضعيف في جميع المدارس مع الفرق البسيط، وعندما أكتب هذه الأسطر

أسكب دمعةً ودمًا؛ لأنّ المدارس الدينية تدّعي بأنّها تخرّج الطلاب الذين يعرفون العربية ولكنّ الأمر ليس كذلك، فإنّهم يقرؤون النصوص التي درسوها في الفصول الدراسية فقط، أمّا النصوص الأخرى من غير الكتب المقرّرة فلا يستطيعون قراءتها قراءة صحيحة ولا يفهمونها فهماً، إلا الذين بذلوا جهودهم الخاصة تحت إشراف الأساتذة المخلصين. أمّا الكتابة بالعربية فإنّ الأغلبية من الطلاب لايستطيعون كتابة فقرة واحدة بأسلوب صحيح، ومهارة الكلام فإنهم بعيدون جدًا عنها.

نظرة في كتب تعليم اللغة العربية بباكستان:

لاشك أن الإنسان يضع أمام عينيه الهدف أوّلاً ثم يقوم بالتخطيطات والأعمال لبلوغ هدفه، فهدف تعلّم العربية كان ولم يزل فهم القرآن والسنّة ومعرفة الكتب الدينية، ولنيل مرامهم وجدوا أنّ الطريقة المثلى لتعليم العربية هي طريقة القواعد والترجمة؛ التي استُخدمت لفترة طويلة في تعليم لغتين ميتتين هما اللاتينية والإغريقية،[1] وكان الهدف منها نقل الكتب اللاتينية والإغريقية إلى لغات حيّة، ولم يكن هناك من يتكلم بهاتين اللغتين لا في الأسواق ولا في البيوت ولا في المجالس العلمية ولا في المكاتب الحكومية، ولكن الطريقة أحرزت نجاحاً ملحوظًا. فتُرجمت مئات من الكتب وانتشرت فلسفة اليونان وحكمتها في العالم كله، وحتى في وقتنا الحاضر تُدرس الفلسفة نفسها في الجامعات المتقدمة علمياً.

والطريقة نفسها اختيرت في شبه القارة الهندية والبلاد المسلمة المجاورة لتعليم العربية في المدارس الدينية وما زالت تُستخدم؛ فتُرجمت آلاف من الكتب العربية إلى اللغة السندية والأردية، منها أمهات كتب التفسير والحديث والفقه والتاريخ واللغة والأدب، واستُخدمت لتعليم اللغة العربية ولا تزال تُستخدم، ولذلك فإن معظم الكتب التي أُلِّفَتْ كانت كتب تعليم قواعد العربية، ومن أشهر كتب تعليم القواعد في المراحل المختلفة ما يلي:

---

١ – حماد إبراهيم، الدكتور، الاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية واللغات الأخرى لغير الناطقين بها، ص: ١٠.

نحومير[١] وصرف مير[٢] وعربى كا معلم[٣] وعلم الصرف[٤] وعلم النحو[٥] وكتاب النحو[٦] وكتاب الصرف[٧] وكتاب الكافية[٨] شرح ابن عقيل[٩] ومختصر قرآنى عربى گرامر[١٠] واللسان المحبوب للرسول الحبيب[١١] وقواعد اللغة العربية[١٢]، وتعليم اللغة العربية (مختصر القواعد)[١٣] ومرقاة القرآن[١٤]، ودروس القرآن[١٥] وآسان قرآنى عربى[١٦] ومبادى الترجمة[١٧] وأساس الصرف[١٨] وغيرها من الكتب، فمعظم الكتب المذكورة تقدم للطّالب قواعد اللغة العربية مزوّدة ببعض الأمثلة والتدريب عليها والطالب يحفظها ويُعِدّ نفسه للامتحان.

علماء اللغة العربية في شبه القارة الهندية كانوا يؤمنون بالمفهوم القديم عن اللغة بأنّها مجموعة العناصر أو المفردات أو التراكيب التي تتألف منها اللغة، بالإضافة إلى القواعد النحوية والصّرفية التي تحكم العلاقات بين هذه العناصر، وعلى هذا الأساس كان تعلّم اللغة أو تعليمها يعني مجرد استظهار المفردات التي تكوّنها والقواعد التي تحكمها،

١- نحو مير لعلي بن محمد بن علي الشريف الحسيني الجرجاني.

٢- صرف مير لعلي بن محمد بن علي الشريف الحسيني الجرجاني.

٣- عربى كا معلم، مولوي عبدالستار خان، قديمي كتب خانه، آرام باغ كراتشى، بدون تاريخ الطبع.

٤- علم الصرف، مولانا مشتاق احمد جرتاولي. دار الاشاعت، كراتشي.

٥- علم النحو، مولانا مشتاق احمد جرتاولي. دار الاشاعت كراتشي.

٦- كتاب النحو، حافظ عبدالرحمن امر تسرى كتب خانه خورشيديه لاهور.

٧- كتاب الصرف، حافظ عبدالرحمن امر تسرى كتب خانه خورشيديه لاهور.

٨- كتاب الكافية لابن حاجب.

٩- شرح ابن عقيل.

١٠- مختصر قرآنى عربى گرامر لعبدالرحمن طاهر.

١١- اللسان المحبوب للرسول الحبيب لعبدالرحمن طاهر سورتى.

١٢- قواعد اللغة العربية للدكتور ظهور أحمد أظهر.

١٣- تعليم اللغة العربية (مختصر القواعد) للدكتور مظهر معين، جامعة بنجاب، لاهور.

١٤- مرقاة القرآن لمولوي محمد عبدالله كامل، انجمن ارباب ذوق، لائل بور، (فيصل آباد).

١٥- دروس القرآن : صوفي نذر محمد سيال أكاديمية الفوز سرجودها.

١٦- لمولانا محمد رفيق.

١٧- مبادئ الترجمة لعاصم الحدّاد، مكتبة دار السلام، جوهر آباد.

١٨- أساس الصرف لمحمد بشير ايم اے، دار العلم، إسلام آباد.

والتدريب على الترجمة من اللغة الجديدة وإليها. ولكن المفهوم الجديد للغة يؤكد لنا أنّ لكلّ لغة نظامها الخاص من التراكيب التي ينبغي أن تُراعَى عند تعلمها، لأنّ اللّجوء إلى الترجمة قبل التمكّن من معرفة تراكيب اللغة التي يتعلّمها قد يوقعه في أخطاء فاحشة، فتدريس اللغة في التصور الحديث يعني تدريس التراكيب وليس المفردات أو القواعد المعزولة، والوحدة الصّغرى في التدريس هي الجملة، وبقدر الإمكان الجملة الحقيقية، والذين يرون أنّ طريقة القواعد والترجمة هي الطريقة المثلى لتعليم اللغة الأجنبية، وعلى ذلك الأساس يؤلّفون كتب تعليم اللغة العربية، لابد لهم أن يعيدوا التفكير في الأمر، لأنّ القواعد اللغوية تؤسّس عمومًا على أساس فلسفي، والطالب الذي يريد أن يستخدم اللغة الأجنبية ويتمتع بها يضطرب ويملّ في كثير من الأحيان من حفظ القواعد ومفردات اللغة، والذي لاشك فيه أن قواعد اللغة العربية متشعبة ومتعدّدة ومبنية في تشعبها وتعدّدها على أسس منطقية وفلسفية لايكاد يدخل إليها الدارس من أبناء العربية نفسها،[1] لذلك بدأت محاولات تيسير قواعد اللغة العربية في العالم العربى أوّلاً، وخاصة في مصر، مع أن هدف تعليم النحو والصرف هو التيسير في تعلّم اللغة، يقول الدكتور المجاور: « أيّاً ما كان مفهوم النحو، فنحن بحاجة، وخاصة في البداية، إلى نوع من النحو والقواعد التي ترتبط ببناء الجملة وترتيب الكلمات، والتركيز على هذا النوع من العمل اللغوي أكثر من التركيز على أواخر الكلمات لما في ذلك من عمل عقلي، وهذا العمل العقلي يشقُّ على المتعلّمين من غير الناطقين بالعربية في المرحلة الأساسية، ولعلّ القصد من ذلك الوصول إلى ما يُسمّى بالنحو الوظيفي، ذلك النحو الذي جرّدناه من فلسفة العامل والتّخريجات التي لا جدوى منها والتمسنا فيه ما يعيننا على صحّة الكلام والكتابة وسلامة الضبط».[2]

الاتجاه السائد لتعليم اللغة العربية في باكستان:

إنّ أوّل محاولة لتيسير النحو قامت بها "لجنة قواعد اللغة العربية التي أُسست في مصر بقرار من وزير المعارف عام ١٩٣٨، ورأت اللجنة أن أهم ما يعسّر النحو على المعلمين والمتعلمين ثلاثة أشياء هي: الإسراف في التعليل والافتراض، والإسراف

١- حسين سلمان قورة، تعليم اللغة العربية؛ دراسة تحليلية ومواقف تطبيقية، القاهرة، دار المعارف ص: ٩.

٢- محمد صلاح الدين مجاور، تدريس العربية بالمرحلة الابتدائية، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٤م، ص: ٤.

في الاصطلاحات، والإمعان في التعمّق العلمي، مما باعد بين الأدب والنحو.[١] ثم انتشرت حركة تبسيط القواعد العربية إلى البلاد الأخرى حتى وصلت إلى باكستان متأخرةً، وما زالت في بداية رحلتها، والذين أسهموا في هذا العمل التعليمي أشهرهم: مولانا عبدالستار خان[٢] والدكتور ظهور أحمد أظهر[٣] وعبدالرحمن طاهر سورتی.[٤] ثم ظهرت كتب أخرى على منوالها ولكنّها لم تنل قبولاً عامًا بين الأوساط التعليمية، ونجد في معظم المدارس الدينية الكتب التقليدية، فيحفظ الطلاب قواعد اللغة العربية وهم لا يستفيدون منها إلا في فهم النصوص الشرعية المقررة في المناهج الدراسية لهم؛ لأنهم يرون أنهم يتعلمون اللغة العربية لفهم كتابات الأئمة والعلماء والقرآن والسنّة وكتب الشريعة الإسلامية، ويستفيدون من الكتب التقليدية التي ألّفها الأقدمون، لذلك يركّزون على أمرين: معرفة القواعد معرفة جيدة، ثم قراءة النصوص؛ فهم يركّزون على مهارة واحدة من مهارات اللغة هي مهارة القراءة، وهذا هو السبب الأساسي لوجود نوعين من الكتب: كتب النحو والصرف وكتب القراءة. أما المهارات الأخرى فإنها مهملة إلى الآن، فجميع الكتب والمقررات المستخدمة في المراكز التعليمية مؤلفة من النصوص المختارة، والطالب يقرأها فيفهمها فيحفظها أو يحفظ ترجمتها ثم ينقلها إلى ورقة الامتحان، وبعد الامتحان يصبح كورقة بيضاء.

نظرة نقدية لكتب تعليم اللغة العربية بباكستان:

كما ذكرنا آنفاً، فإن كتب تعليم اللغة العربية المستخدمة في المراكز التعليمية من المدارس إلى الجامعات تتكون من كتب القواعد والبلاغة والنصوص، فالصورة التي تظهر أمامنا، والتي يمكن تُعدّ تشخيصًا لهذا الأمر، تتلخّص في النقاط الآتية:

---

١ – محمود كامل ناقة، تدريس القواعد في برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، المجلة العربية للدراسات اللغوية، المجلد الثالث : العدد الثانی، ١٩٨٥م.

٢ – من علماء اللغة العربية الأوائل في شبه القارة وصاحب كتاب «عربی کا معلم».

٣ – أحد أعلام اللغة العربية في باكستان، قد ألّف عشرات من الكتب العربية وترجم العشرات من العربية إلى الأردية.

٤ – من أشهر علماء اللغة العربية بباكستان، مؤلف ومترجم عشرات من الكتب، ومن أشهر ترجماته ترجمة تاريخ الأدب العربي لحسن الزيات.

أولاً: عدم وجود التدرج العلميّ:

لا نجد بين معظم هذه المقررات التدرج العلمي، فكلّ كتاب منفصل عن الآخر، بل لا نجد التدرج المنطقي في كتاب واحد في كثير من الأحيان، فيمكن للمعلم أن يدرس الكتاب الثاني قبل الكتاب الأوّل والدرس الثاني قبل الدرس الأول، لأنها لم تؤلف من قَبِل خبراء تعليم اللغة، إذ هي مجموعة من النصوص القديمة والحكم والقصائد والقصص والمقالات وغير ذلك من معلومات أخرى، فكأنها كتب القراءة العشوائية التي تقوّي الثروة اللغوية لدى الطالب.

ثانياً: عدم وجود التدريبات اللازمة:

إن معظم هذه الكتب خالية من التدريبات اللغوية؛ حتى تتكرس اللغة في ذهن الطالب الذي لا يستفيد من هذه الكتب حق الاستفادة، وخاصة في استخدام اللغة لأغراض عامة وخاصة.

وقد أكّد صاحب النحو الوظيفي ضرورة التدريبات العملية بقوله :

«ليست القواعد النحوية مجرد معلومات تُفهم وتُضاف إلى الذخيرة الذهنية من ألوان المعرفة، ولكنّها وسيلة إلى غاية، هي وسيلة إلى استقامة اللسان على أساليب معيّنة وأنماط من النطق خاصة، فإذا لم تؤخذ هذه الوسيلة مأخذ التدريب المتّصل والممارسة المتكررة فلن يستقيم اللّسان، ولن تجد هذه القوالب التعبيرية سبيلها إلى النطق، ومن ثم لا يكون للنّحو أيّ مظهر من مظاهر الحياة».[1]

ثالثاً: عدم الاهتمام بمستوى الطالب:

لا تناسب هذه الكتب مستوى الطالب العقلي والمعرفي، ففي الجامعات الباكستانية تدرس بعض الكتب التي كتبت للأطفال مثل: الأسلوب الصحيح وتعليم العربية للناطقين بغيرها (نشرته جامعة أم القرى) ودروس العربية، وفي الوقت نفسه يدرس الطالب كتاب الكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ والمعلقات السبع وتفسير البيضاوي والكتب القيمة الأخرى، وهذا أمر لايتناسب إطلاقاً مع أسس التعليم.

---

١ – عبدالعليم إبراهيم، النحو الوظيفي، دار المعارف، القاهرة، ط: ٩، عام ١٩٨٤م.

رابعًا: عدم الاهتمام باللغة الأمّ:

نجد أن هذه الكتب لا تهتم باللغة الأمّ للطالب، على الرغم من أن لغته الأمّ تتضمن تقريباً ٤٠ بالمائة من الكلمات العربية. ولو لفتنا نظر الطالب إلى هذه الكلمات لوجدناه يتعلمها بسرعة وبسهولة، وهذا التعلم لا يكون تعلماً عادياً بل يكون تعلماً جيداً، فإنه يبحث عن الكلمات المشتركة بين اللغة العربية واللغة الأمّ، وهذا العمل يخلق مقدرة الملاحظة في ذهن الطالب ويَحُثُهُ على التأمل في الدراسة والعلم.

خامساً: عدم التشكيل:

إن معظم هذه الكتب غير مشكّلة، فإنّ الكلمات المشكّلة بالحركات تساعد الطالب على القراءة الصحيحة، وبعد مدة من الزمن يستطيع أن يقرأها بغير تشكيل، وفي عمل التشكيل يُستحسن أن تشكّل الكلمة الكاملة في الفصل الأول، ويقلّل هذا التشكيل تدريجاً حتى يصل الطالب إلى الثانوية العليا أوالليسانس. فمعظم الكتب المقررة في باكستان خالية من التشكيل تماماً، وبعض الكتب التي شُكّلت فإنها مليئة بالأخطاء. والتشكيل الخاطئ أخطر من عدم التشكيل، فيجب على مؤلفي الكتب مراجعتها مراجعة دقيقة؛ حتى لا يتعلم الطالب تعلماً خاطئاً، لأن الكتاب هو مرجع للطالب ويشكل مع الأستاذ مصدرًا من مصادر تلقّيه.

عدم مراعاة البيئة:

بعض الكتب لا يراعي البيئة التي يعيش فيها الطالب، لأنها لم تؤلف حسب احتياج الطالب بل معظمها أُلفت للعرب، أو لغير الباكستانيين، والحضارة الباكستانية وبيئتها وثقافتها تختلف عن الحضارات الغربية والعربية وغيرها من الحضارات الأخرى، فمثلاً: كتاب النحو الواضح[1] الذي أُلّف خصيصًا للطلبة العرب، نجد فيه أمثلة كثيرة مأخوذة من بيئة مصرية، ومن السهل جدًا استبدال بتلك المفردات والمصطلحات الكلمات التي تمثّل البيئة الاجتماعية الباكستانية.

---

١ – تأليف علي الجارم وأحمد أمين.

خلوّها من المهارات الأساسية:

إن أكثر الكتب المقررة خالية من النصوص والتدريبات التي تعلم الطالب مهارات اللغة الأساسية، فاللغة ليست القراءة فقط ولا الكتابة البحتة ولا المحادثة منفصلة عن الاستماع الجيد ولا الاستماع بغير الكلام، إذ هي مجموعة من هذه المهارات كلّها، ولكن المقررات المستخدمة لتعليم العربية لا تغطّي كلّ هذه الجوانب، فالطالب يتخرج في مدرسة دينية أو جامعة وهو يحمل شهادات الدراسات العليا ولكنّه لا يتلفظ بتلك اللغة ولا يكتب رسالة.

عدم استخدام التكنولوجيا الحديثة:

إن العصر الحديث عصر التقنيات وعصر الأجهزة التعليمية، وإنّ البلاد المتقدمة تستخدمها لتعليم لغاتها بطريقة أجود وأشمل، ولكنّ العربية في باكستان محرومة إلى الآن من التكنولوجيا الحديثة. فنظراً إلى مكانتها بين اللغات العالمية وما تتميز به من خصائص، يجب على أساتذة اللغة العربية ومؤلفي مناهجها الاهتمام بها، فإن النّصوص والتدريبات والحوارات والنّشاطات اللغوية تؤلف وترتب وفق الوسائل التعليمية المتاحة، ومن المستحسن أن تُذكر الوسائل المتنوعة وطريقة استخدامها أثناء العمل التعليمي، ومن أهم الوسائل السبورات واللّوحات المتنوعة والبطاقات والصور الثابتة والصور المتحركة والمسجّلات والكمبيوترات ومعامل اللغة والأفلام، وغيرها من الوسائل، لأن المواد التعليمية إذا كانت قد أُعدّت وفق الوسائل التعليمية ووفق الغرض اللغوي والتعليمي فإنّها تأتي بنتائج جيدة.

عدم الاهتمام بشعور الطالب النفسي والمعرفي والثقافي:

إن علم النفس التربوي قطع شوطاً كبيراً في دراسة نفسية الطالب والمدرّس، وأفاد النظام التعليمي بالنتائج العلمية المفيدة في إنجاح العمل التعليمى. فمن معرفة الشعور النفسي نصل إلى مدى رغبة الطالب في تعلّم اللغة، ومدى استعداده الذهني، ومن الشعور الثقافي نتعرف على ثقافة الطالب، وهو يساعد المعلم والمؤلف على اختيار الأسلوب المناسب للتعليم والتأليف. أمّا الشعور التربوي فيساعد المؤلف على اختيار الموضوعات المناسبة للتعليم والتربية، وبعد الدراسة العلمية يسهل لمؤلف الكتاب أن

يحدد المستوى الحالي للطالب والمستوى المطلوب، ومن ثم يحدد لنفسه خطوات التعليم والتأليف. فعلماء النفس يتحدثون دائماً عن الحافز، لأنه قوة داخلية تدفع الطالب إلى التعلّم، وهذا الحافز يجب أن يكون طبيعياً قدر الإمكان حتى يستمر الطالب في سير تعلّم اللغة وتقويتها تلقائياً، فإنّ المؤلف لكتاب أو المعلم إذا كان عارفاً بالمشاكل النفسية وحلولها، وعالًما بطرق خلق الحوافز المختلفة عند اختيار الكلمات والعبارات والنصوص، فإنه يستطيع أن يخدم اللغة العربية وطلابها.

تحديد المعجم اللغوي عند تأليف وإعداد المواد التعليمية:

أصبح تحديد المعجم اللغوي عند تأليف وإعداد المواد التعليمية أمراً لابد منه، لأنه يأتي بنتائج مثمرة في مجال تعليم اللغة. ونقصد بالمعجم اللغوي أن المؤلف يضع أمامه نوعية الطالب الذي من أجله يؤلف الكتاب، ويحدد مستواه من حيث اللغة والثقافة والسنّ، ثم يبني على ذلك الأساس البناء اللغوي للطالب، فيحدد من أجله المفردات والتراكيب المناسبة من حيث الكمّ والكيف، وعند اختيار المفردات والتراكيب يُراعى سنّ الطالب وثقافته الاجتماعية واللغوية، ومن الممكن جدّاً أن يجد المؤلف المفردات والتراكيب المشتركة بين اللغة العربية ولغة الطالب، فالكلمات والتعبيرات المشتركة تساعده على تعليم العربية في أقل وقت وجهد، وإنّه يتمتع بهذه المعلومة نفسياً، وعند اختيار التراكيب ووضعها في المقرر الدراسي ينبغي عليه أن يراعي ما يلي:

١ - أن يدرّس الجمل البسيطة أولاً ثم المركبة ثمّ المعقدة، لأن المنهج الجديد يأخذ الطالب دائماً من السَّهِل إلى الصعب.

٢ - لا يقدم للطالب التركيب الجديد إلا بعد التدريب الكافي على ما دَرَسَ من تراكيب وتعبيرات، وينبغي أن يكون بين التراكيب الجديدة والتعبيرات المدروسة ربط وتنسيق محكمين جدّا، وكأنّ المؤلف أو المعلم يضع لبنات اللغة في شعور الطالب كبنّاء ماهر.

٣- ومن المستحسن للمؤلف أن يرتب قائمة المفردات والتراكيب من حيث الكمّ والكيف لفترة معينة من المدّة الدّراسية، فعلى سبيل المثال: يريد المعلّم أو المؤلف أن يزوّد الطالب بخمسين كلمة جديدة في الصفّ الثاني خلال ستة أشهر، فإنه يخطّط لذلك من أوّل درس إلى نهاية الدروس المخصصة للفترة المذكورة، ويقدم للطالب تلك المفردات والتراكيب المحددة بطريقة طبيعية وبتدرج منطقي مناسب.

أسلوب الصّياغة:

عند وضع خطة تأليف المواد الدراسية ينبغي للمؤلف أنّ يفكر في أسلوب الصياغة وسرد المعلومات، لأنّ لديه مجالات واسعة وأساليب متنوعة وأمامه طلاب مختلفون من حيث السنّ والثقافة، فلابد له أن يختار للأطفال أسلوباً يختلف عن الكبار، فالصغار يحبون الأناشيد والصور والقصص البسيطة واللغة السهلة والحوارات المبسطة جداً. أمّا الكبار فلهم رغباتهم ومستواهم الثقافي والاجتماعي، فإنهم يحتاجون إلى أفكار ناضجة وقصص وحوارات تناسب سنهم وضروراتهم، فلا نقرر كتاب الأطفال لتعليم الكبار وإن كان مستواهم الابتدائي، كما يحدث في باكستان وأشرنا إليه في الصفحات السابقة.

مشاركة الطالب في تأليف الكتاب:

ليس معنى هذا أن الطالب يساعد المؤلف مباشرة في تأليف كتاب مدرسي أو جامعي، ولكن المراد من المشاركة أن المنهج الجيد لا يترك الطالب في وادٍ والكتاب في وادٍ آخر، فيجب للمؤلف أن يضع الطالب في نظره عند تأليف الكتاب أو المواد الدّراسية، ويحسب نفسه وكأنّه يدرّس الطالب مباشرة، فلا يؤلف الكتاب منعزلاً عن الطالب والبيئة، لأن الكتاب خير جليس للطالب والعكس كذلك، فالمنهج يسير مع الطالب ويرشده ويدفعه إلى التقدم العلمي واللغوي والثقافي.

دخول المنهج المتكامل في تعليم اللغة العربية بباكستان:

لا يختلف في الأمر اثنان أن نظام تعليم العربية بباكستان كان تقليدياً وما زال تقليديًا في معظم المراكز التعليمية، لكن هناك موجة لطيفة عطرة دخلت في مجال تعليم اللغة العربية حينما جاء العرب لأغراضهم السياسية والاقتصادية والثقافية إلى منطقة باكستان وأفغانستان، فجاءوا بكتب تعليم اللغة العربية من المملكة العربية السعودية ومن جمهورية مصر العربية ومن جمهورية السودان وتونس وغيرها من البلاد. فبعض هذه الكتب كانت قد أُلّفت وفق المنهج المتكامل مثل العربية للنّاشئين (٦ مجلات) الكتاب الأساسي من تونس (٣ مجلات) تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها من جامعة أم القرى (٤ مجلّات)، وأوّل من استقبل ورحّبَ بالمنهج المتكامل هم أساتذة الجامعة الإسلامية العالمية، فجعلت الجامعة كتاب العربية للنّاشئين مقررًا دراسياً

لطلابها، ثم قلّدتها مراكز تعليمية أخرى من بشاور ولاهور وكراتشي وبهيره وغيرها من المدن. فوجدوا هذا المنهج المتكامل مفيداً جدًا لتعليم اللغة العربية؛ لأنه يهتم بجميع المهارات اللغوية من مهارة الاستماع والفهم ومهارة المحادثة ومهارة القراءة ومهارة الكتابة، والميزة الأساسية لهذه الأجزاء السّتة أنها تقدم كل المهارات المذكورة بطريقة متكاملة، حيث تربط مجموعة من الدروس بعضها ببعض بمفرداتها وتراكيبها اللغوية وتعبيراتها الشفوية والكتابية، فيتعلم الطالب بطريقة طبيعية ويتدرب عليها عن طريق التدريبات المتنوعة الموزّعة بين الدروس.

فالمنهج المتكامل لا يعلّم الطالب اللغة في دوائر منفصلة، كما كان في المنهج الكلاسيكي القديم؛ حيث يتعلم الطالب قواعد اللغة والنّصوص المختارة ولا يجد أيّ ارتباط بينها، ولا يجد لنفسه فرصة التدريب على ما تعلمه، ولايشعر بمتعة التعلّم لأنّه أخذ المعلومات اللغوية بعيدة عن مواقف الحياة الطبيعية والاجتماعية، ومن المعلوم أنّ تدريس اللغة في موقف يكون أثره اَعمَق وأثبت ممّا لو كان التدريس في فراغ، وينسب الإنجليز إلى الصينيين حكمة تقول: إنّ ما أسمعه (بأذني فقط) فإنّني أنساه، وما أراه (بعينيّ) أتذكّرُه، ومَا أصْنَعُهُ (بنفسي) فأنا أعرفه. فكلّما كانت المواقف التعليمية واقعيّة وحيّة كان أثر التعليم أعمق وأثبت.

إذن فتعليم اللغة الثانية بطريقة عشوائية أو شبه عشوائية لا يأتي بثمار جيدة، وقد فتح المنهج المتكامل بابًا جديدًا للتفكير في وضع المناهج والمقررات الدراسية، فبدأ خبراء اللغة تأليف كتب تعليم العربية على تصور المنهج المتكامل، ولكن العمل بطيءٌ جدًا، وقد اقتصر عملهم على المستوى الابتدائي فقط. فقد أُلّف كتاب ‹لغة الإسلام› في ثلاثة أجزاء للمراحل الإعدادية ونال قبولاً عامًا عند الناس رغم المشاكل اللغوية، وكتاب ‹تدريب المعلمين في تعلم العربية› ويُستخدم في الدّورات التدريبية القصيرة للمعلمين. وهناك محاولات فردية من قبل بعض المهتمين بتعليم العربية مثل الأستاذ مولا بشير أحمد من إسلام آباد، والدكتور عبدالرزاق إسكندر من كراتشي، والدكتور إنعام الحق غازي، وصاحب المقال هذا الدكتور حبيب الرحمن، ولكنها محاولات متواضعة وتحدّي تعليم اللغة العربية كبير جدًا.

من أين نبدأ؟

إن الواقع الذي نعيشه مرّ وهو أن اللغة العربية رغم هيمنتها وأنصارها والناطقين بها تنتظر اتخاذ خطوات حاسمة واعية، أوّلها تصحيح التصور الخاطئ لتعليم اللغة بأنّ مهارة القراءة والفهم كافية لنا ولانحتاج إلى مهارات لغوية أخرى. إن علماء اللغة وخبراء تعليم اللغات متفقون على ضرورة تعليم المهارات الأربع لأية لغة من اللغات الحيّة، وهي: مهارة الاستماع والفهم ومهارة المحادثة ومهارة القراءة ومهارة الكتابة.

مهارة الاستماع والفهم:

إن مهارة الاستماع والفهم أولى مهارات اللغة، وإنها تبدأ من يوم ميلاد الطفل، فإنه يسمع الأصوات حوله لمدة سنة على الأقل ويفهم معانيها وفق مقدرته الذهنية ثم يبدأ التقليد والمحاكاة، فكلّما سمع لغة سليمة صحيحة تعلّم أصواتها ونطقها، ثم المفردات والتعبيرات اللغوية شيئًا فشيئًا، فالطالب الباكستاني يحتاج إلى هذه المهارة أكثر من الطفل العربي لأنه يعيش بعيداً عن البيئة العربية، فكلّ شيء غريب عنده؛ نطق الأصوات العربية والمفردات والتراكيب والتعبيرات....إلخ.

فإن المنهج الذي لا يعطي فرصًا كافية للطالب حتى يميّز بين الأصوات المتشابهة والمتفاوتة، ولا يوفّر للطالب فرصة الاستماع والنطق، فإنه خاطئ يولّد خطأً. ومن المحتمل جداً ألا يميز الطالب بين الاسم والإثم، وإن نطق أو كتب الاسم بالثاء والإثم بالسين فليس إثم الطالب؛ بل الخطأ يعود إلى المعلم أو المنهج المقرر الذي لا يعطي الفرص الكافية للتدريب على النطق الصحيح والتمييز بين الأصوات المتقاربة. ومن المستحسن أن يذكر مؤلف الكتاب الوسائل المناسبة للتدريب على مهارة الاستماع الجيّد.

مهارة الكلام:

وإذا قلنا إنّ اللغة كلام فلانكون مخطئين، لأنّ كلمة (لسان) تطلق على العضو الذي يستخدم للكلام، وهناك لغات عديدة في بلاد مختلفة لم تُكتب إلى الآن. وأمّا التي تُكتب فإنها تُنطق أكثر من كتابتها، لأن اللغة وسيلة للاتصال الاجتماعي أوّلاً؛ ثم تأتي استخداماتها العلمية فيما بعد، لذلك فالاهتمام بتعليم مهارة الكلام الصحيح هدف أساسي من أهداف اللغة، فمؤلف الكتاب يختار النصوص التي تتناول الموضوعات

الاجتماعية والثقافية، والتي لها علاقة بالحياة الواقعية، حتى يتناولها في حوارات ومحادثات يتعلم الدارس من خلالها المفردات والتراكيب، ويتدرب على استعمالها استعمالاً صحيحًا بطريقة طبيعية، ولا يجد لنفسه صعوبات التكلم في مواقف مختلفة، ولا ننسى أيضاً أن الكلام أيسر طرق اللغة، لأنّ المتكلم يجد في نفسه قوّة غريبة تدفعه إلى مزيد من التعلّم، وهو لا يحتاج لهذا العمل إلى وسائل كثيرة، فإنّها غير مكلّفة والتدريب عليها سهل.

مهارة القراءة:

يدّعي علماء باكستان بأنّهم يعلّمون طلابهم فنّ القراءة الصحيحة للكتب العربية العريقة، ولكن الحقيقة تختلف عن هذا الادّعاء، لأن الأغلبية من خريجي المدارس الدينية لا يستطيعون قراءة الكتب والجرائد والمجلات العربية، ولا الجرائد والمجلّات العربية، فيعتذرون بقولهم الخاطئ بأنّهم لا يعرفون العربية الحديثة، ولكن الأمر ليس كذلك، فإنّهم يستطيعون قراءة الكتب المقررة فقط لأنهم يمارسون قراءة تلك النصوص التي تفيدهم في الامتحان، ومهارة القراءة لها أنواع، فمثلا القراءة الجهرية تنمّي في الطالب قدرة النطق الصحيح لنص عربي؛ مع المحافظة على النغمة الصحيحة التي تخلق في ذهن الطالب شعوراً إيجابيًا، وهو يشعر باللّذة اللغوية وكأنه بدأ يتذوق اللغة، أمّا القراءة الصامتة فإنّها تساعد الطالب على فهم النص والحصول على المعلومات في وقت وجيز. فينبغي على المؤلف أن يختار النصوص المناسبة على أساس الفروق الفردية. ثمّ يزودها بتدريبات متنوعة؛ حتى يختبر المتعلّم نفسه بنفسه ويعرف مدى استيعابه للنصوص المقروءة، ثم إنه في المراحل المتقدمة يحتاج إلى قراءة الكتب المتنوعة، إذ هناك أعمال أدبية وثقافية وفكرية تُنشر كسيل جارف، فإن لم نمكّن الطالب من مهارة القراءة خلال العمل التعليمي فأين ومتى يتسنّى له هذه المهارة؟ ولذلك نرى خبراء اللغات الحيّة في الدول المتقدمة يقومون بتجارب متنوعة، وبعد كل فترة وجيزة تأتي مؤلفاتهم بشكل جديد أحسن من الصورة السابقة، وهم يقدمون لطلابهم نوعين من الكتب: النوع الأول هو الكتب المدرسية، والنوع الثاني كتب القراءة الحرّة خارج الفصول الدراسية، فكل هذه الكتب من النوعين يؤدّي دوره في تنمية مهارة القراءة لدى الطالب، فطالب اللغة العربية في باكستان ينتظر من مراكزه التعليمية مثل هذه الجهود.

مهارة الكتابة:

لا نقصد بمهارة الكتابة مهارة الخط؛ رغم أنه جزء منها، ولكننا نقصد بمهارة الكتابة قدرة الطالب في أن يعبّر عما في نفسه كتابة، فيكتب الجمل العربية وعباراتها بأسلوب صحيح حتّى يصل إلى المستوى العلمي الأدبي الراقي. فالمؤلف يدرّب الطالب على كتابة الجمل البسيطة ثم المركبة ثم المعقدة خلال الدروس اللغوية المختلفة، والمنهج المتكامل يقدم لنا هذا التصور بطريقة جيّدة، فإن التدريبات الكتابية تأتي عند مهارتي القراءة والمحادثة، وترتقي بالطالب إلى المستوى الرفيع من اللغة.

ونلاحظ في خريجي المدارس والجامعات هذا النقص بطريقة ملموسة واضحة، والسبب هو ذلك التصور الخاطئ عن اللغة وإهمال تعليم المهارات اللغوية الكاملة.

إنّ الشعور بالنقص والعزم على علاج ذلك الخطأ يفتح باب النجاح والتقدم، فالشعور بالنقص موجود؛ ولكنّ النيّة الحاسمة تحتاج إلى مزيد من الدافعية، حتّى نرى أن متعلمي اللغة العربية في باكستان أو على الأقل مثقفيها، وخاصة علماء الشريعة فيها، بدأوا يقرؤون ما يُكتب في العالم العربي، ثم يسهمون في المجالات العلمية بأبحاثهم وآرائهم المكتوبة، ويهدمون ما كان بينهم وبين علماء العرب من حواجز لغوية.

الخلاصة:

إنّ باكستان دولة مسلمة والأغلبية من سكانها مسلمون، فتعلّم اللغة العربية من واجبهم الديني، وعلاقة المسلمين بالعرب قديمة وذات أبعاد كبيرة، ولذلك فالعربية ضرورة اقتصادية وثقافية وعلمية وسياسية أيضاً، فلابد من اختيار قرارات ذكية وسريعة من قِبَل الحكومة والعلماء ومسئولي التعليم والمثقفين؛ حتى يستفيد سكان باكستان من العربية حق الاستفادة. ولابد من إعادة النظر في المناهج والمقررات الدراسية التي تُستخدم في مجال تعليم العربية؛ حتى تجد العربية مكانتها الحقيقية في الأوساط العلمية، ومن أجل ذلك فإن تأليف المقررات الدراسية وفق الضوابط والأسس العلمية والتعليمية المعاصرة ضروري جدًا، لأن المناهج والمقررات الحالية لتعليم اللغة العربية لا تغطي هذه الضرورة.

التوصيات:

ينبغي على خبراء اللغة العربية بباكستان دراسة الأسس الحديثة لتعليم اللغة الأجنبية، وإعادة النظر في تصوّر تعليم اللغة العربية كلغة حيّة، ولهذا الغرض فإن الاطلاع على الأبحاث والكتب التي ظهرت في مجال تعليم اللغة الثانية يكون مفيدًا، مثل: "منهج ومواصفات الكتاب الأساسي المدرسي لتعليم الناطقين بغيرها" لمجيد دمعة (١٩٨٠)، و"مواصفات الكتاب الأساسي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها" لمحمود كامل ناقة (١٩٨٣)، و"أسس تحليل وتقويم كتب تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها" لرشدى أحمد طعيمة (١٩٨١)، و"معايير تأليف المواد التعليمية والكتب المدرسية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها" لعلي القاسمي (١٩٧٩)، والأعداد المختلفة للمجلة العربية للدراسات اللغوية التي أصدرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وغيرها من الأبحاث وتقارير الندوات والمؤتمرات التي أقيمت وتُقام من أجل تحسين عملية تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. وينبغي على مؤلف الكتاب التعليمي للغة العربية مراعاة ما يلي:

١- تحديد الأهداف العامة من تأليف المقرر الدراسي، مثل فهم اللغة الفصحى، أو تعلم لغة التعايش بين العرب، أو تعلم العربية لغرض علمي.

٢- تحديد الأهداف الخاصة من تأليف المقرر الدراسي لكلّ جزئية لغوية.

٣- تحديد المستوى الذي يؤلف له الكتاب.

٤- تحديد الرصيد اللغوي من المفردات والتعبيرات والقواعد والتراكيب بالكم والكيف، حتى يعرف المؤلف هدف تأليفه من أول الكتاب إلى آخره.

٥- تحديد المهارت اللغوية التي يريد المؤلف أن ينميّها في الطالب، ووضع الأولويات لهذه المهارات، وتحديد الأهداف الخاصة لكل مهارة.

٦- تحديد معرفة التربية الثقافية التي يتعلمها الطالب من خلال الكتاب المقرر والمحتويات اللغوية.

٧- تحديد نقل المعلومات عن الحياة المعاصرة ومواقف الحياة اليومية، حتى يشعر الطالب بأنّه يتعلم اللغة الحيّة.

٨- تحديد أنواع التدريبات التي يستخدمها لتعليم المهارات اللغوية المختلفة.

٩- تحديد الوسائل التعليمية لكل درس ولكل مهارة يريد المؤلف تعليمها من خلال كتابه.

١٠- تحديد وإرشاد طريقة التدريس لكل درس أو مهارة مقدمة في الكتاب.

١١- تزويد الكتاب ببعض أنواع الاختبار داخل الكتاب لتقويم الطالب وما درسه.

١٢- إنّ الندوات والمؤتمرات واللقاءات العلمية لها دور كبير في تهذيب الأفكار وتحسين الأداء العلمي والتعليمي، فينبغي للمهتمين بتعليم اللغة العربية ونشرها تنظيم النشاطات العلمية بصفة دورية؛ حتى تجد العربية مكانتها في الأوساط التعليمية ثم تعمّ الفائدة على الشعب الباكستاني.

١٣- إنّ فهم القرآن والسنّة بطريقة مباشرة حلم وأمنية كل مسلم، وهذا لن يتم إلاّ بتعلّم اللغة العربية، ولذلك فأي جهد نبذله وأيّ عمل نقوم به من أجل خدمة اللغة العربية فإنّه سينال قبولاً حسناً عند الله إن شاء الله.

أغراض تعلّم اللغة العربية لدى الباكستانيين [1]

(طبقات مهنية نموذجاً)

الدكتور إنعام الحق غازي

أستاذ مشارك/ رئيس قسم الترجمة والترجمة الفورية، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد

الخلاصة:

تحظى اللغة العربية في باكستان بمكانة خاصة متميّزة لأسباب؛ يرجع بعضها إلى تأسيس الدولة وكون اللغة العربية لغة القرآن الكريم والإسلام، وبعضها الآخر له صلة بعوامل اجتماعيّة واقتصاديّة وسياسيّة. وتتنوّع أغراض تعلّم اللغة العربية لدى الباكستانيين بتنوّع العوامل مثل الدين والسنّ والانتماء إلى طبقات اجتماعيّة أو سياسيّة أو مهنيّة معيّنة، وما شابه ذلك. تهدف هذه الورقة البحثيّة إلى دراسة الأغراض الّتي تحفّز أعضاء طبقات مهنيّة على تعلّم اللغة العربية. ويقوم كيان الورقة على جمع المعطيات من الدارسين الّذين يتعلّمون اللغة العربية في الكورسات القصيرة الّتي تقدّمها الجامعة الإسلاميّة العالميّة في إسلام آباد بباكستان ودراستها وتحليلها. ويُرجى أن تحقّق هذه المداخلة أهدافاً عمليّة تربويّة، فضلاً عن تحقيق أهداف علميّة نظريّة؛ ومن الأهداف العمليّة المرجوّة لهذه الدراسة استكشاف الأغراض العامة والأغراض الخاصة الدقيقة لتعلّم اللغة العربية لدى أعضاء طبقات مهنيّة في باكستان، والتقييم العلمي للمقرّرات

١- نُشرت هذه الورقة البحثية في مجلة الدراسات الإسلامية، العدد :٢، المجلد: ٥٠، (أبريل - يونيو ٢٠١٥م/ جمادى الثانية - شعبان ١٤٣١هـ).

المدروسة لهذه الطبقات، بالإضافة إلى الاسترشاد العلمي في وضع المناهج الأنسب لهم، وذاك في ضوء مجال تعليم اللغة العربيّة للناطقين بغيرها.

أهميّة اللغة العربية على مستوى العالم وفي باكستان:

تكمن أهمية اللغة العربية - على مستوى العالم - في عدد كبير من الجوانب، مثل النواحي الدينية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية واللغوية، وما يتفرع عن كل ناحية منها من أمور وجوانب متعددة: فهي أكثر لغات الفصيلة السامية الحية من حيث عدد المتكلمين، وهي إحدى أكثر اللغات الإنسانية انتشاراً في العالم، بحيث تُستخدم هذه اللغة في اثنتين وعشرين دولة عربية، كما أنها إحدى اللغات الرسمية الست في الأمم المتحدة وفي المنظمات والهيئات الدولية العديدة، وفوق كل ذلك نزل القرآن الكريم بالعربية؛ وهو كتاب الله العزيز الذي أحياها وضمن بقاءها ونشرها في كل مكان وصلت إليه ثمار الحضارة الإسلامية العربية.

وتُعد المنطقة التي تقع فيها جمهورية باكستان الإسلامية من المناطق الجغرافية التي بدأت تتعامل وتتفاعل بحيوية مع لغة القرآن الكريم في زمن مبكر؛ فقد توجّه المسلمون العرب بإرسال بعثات دراسية إلى منطقة السند في عصر عمر بن الخطاب ﵁ بحيث اهتم عثمان بن أبي العاص الثقفي، والي البحرين آنذاك، وأخوه الحكم بإرسال بعثتين إلى منطقتين مختلفتين من السند دون إذن أمير المؤمنين. ويخبرنا البلاذري بأنّه عندما علم عمر بن الخطاب ﵁ بهذه المغامرات طلب عثمان الثقفي وقال له: «يا أخا ثقيف؛ حملت دوداً على عود، وإني أحلف بالله لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم».[١] ولم يمض كثير من الوقت حتى نجد عبدالله بن عامر، والي العراق، يقوم بإرسال وفد - وكانت مهمته استكشاف الأحوال - بأمر الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﵁ إلى الهند. فالوفد عند رجوعه يصف الهند أمام الخليفة قائلاً: «ماؤها وشل، وثمرها قلّ، ولصها بطل، إن قلّ الجيش ضاعوا وإن كثر جاعوا». فقال له عثمان ﵁ : «أخابر أم ساجع؟»، قال: «بل خابر».[٢]

١-البلاذري أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، مطبعة الموسوعات، مصر، ط:١٣١٩هـ - ١٩٠١م، ص: ١٥.

٢-المرجع السابق.

ومن المتأكد أن هذه المحاولات مهّدت السبل الأولى للعرب عندما فتحوا السند في أواخر القرن الأوّل الهجري، وأسسوا دويلة عربية بها عرفت بـ«المنصورة» في التاريخ الإسلامي. فالذي أريد أن أشير إليه هنا هو أن العربية لها صلات وثيقة بهذه المنطقة منذ عصور قديمة. وبعد انتشار الإسلام ولغته وحضارته خلال القرون التالية ظهر الاهتمام بها بطريقة منظمة، فقد أُنشئت المدارس والمعاهد التعليمية والدينية التي تهتم بتعليم اللغة العربية لأغراض وأهداف يدور معظمها حول الدين وعلومه والشريعة وفروعها. وبعد تأسيس باكستان في عام ١٩٤٧م انضمت إلى تعلّم اللغة العربية وتعليمها فيها أهداف أخرى فوق الأهداف السامية هذه؛ فظهرت حاجات دبلوماسية سياسية، وأخرى اقتصادية ثقافية، تدفع عدداً من الناس إلى تعلّمها والاهتمام بإنشاء مؤسّسات ومعاهد لتعليمها.

الدراسة: خطوات وإجراءات

كما هو واضح من عنوان البحث أنه يركّز على استكشاف الأغراض والأهداف العامة والخاصة الدقيقة التي تحفز الباكستانيين على تعلّم اللغة العربية، وقد اختير فيه طبقات مهنية بوصفها نموذجاً يسلّط الضوء على مكانة العربية عند المثقفين الباكستانيين عموماً، وعند المهنيين منهم خصوصاً، فرغم أنهم ناجحون في مهنهم المختلفة، توجد لديهم رغبة فائقة لتعلّم العربية، فما أسبابها وما أغراضها؟

وقد تمّ اختيار منهج الدراسة الميدانية مع خطوات وإجراءات تالية:

- اختيار الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد وكورساتها القصيرة، وذلك لأن الجامعة تحظى بمكانة عالية في تعليم اللغة العربية وعلومها والشريعة وفروعها من ناحية، ووجود طلبة منتمين إلى طبقات مهنية في هذه الكورسات من ناحية أخرى.
- اختيار عدد من طلبة الكورسات القصيرة (الذكور والإناث) المهنيين والمتعلمين اللغة العربية في مستويات مختلفة.
- تصميم استمارة استبيان تحتوي على أسئلة تساعد على استيضاح الآراء.
- توزيع هذه الاستمارة على الطلبة في داخل الفصول وطلب ملئها منهم في الوقت نفسه. فقد وفّر لهم نصف ساعة من الوقت فقط لملء هذه الاستمارة.

- جمع المعطيات وترتيبها وفق تصنيف معيّن يقوم أساساً على استخراج الأغراض والغايات لتعلّم العربية، وهو هدف الدراسة.
- تحليل النتائج وتقديمها بطريقة تلائم هدف الدراسة.

وقد رأيت توزيع كل ذلك وعرضه تحت العناوين التالية:

أ- الإطار المنهجيّ للدّراسة: وقد قمت بتوفير المعلومات اللازمة عن الجامعة الإسلامية العالمية والكورسات القصيرة والطبقات المهنية والقصد بالعربية والمراد بالأغراض والإلمامة الضرورية باستمارة الاستبيان، كما أنّني ألحقت ترجمتها العربية في نهاية البحث.

ب- النتائج: اكتفيت في معظم الأحوال بعرض الإحصائيات ومحاولة تفسير بعضها بعبارات سريعة.

أ- الإطار المنهجيّ للدّراسة:

١ - الجامعة الإسلامية العالميّة بإسلام آباد في باكستان واهتماماتها بالعربية:

أُسست الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد بباكستان في اليوم الأول من القرن الخامس الهجري (نوفمبر ١١، ١٩٨٠م)، وتوجد فيها الآن تسع كليات مع أكثر من أربعين قسماً في المجالات العلمية التكنولوجية والاجتماعية والبشرية واللغات، ويصل عدد طلابها إلى خمسة وعشرين ألف طالب وطالبة. وقد أُنشئت الكليات الثلاث: العربية وأصول الدين والشريعة في المراحل الأولى من تأسيس الجامعة. وتهتم هذه الكليات بالعربية مباشرة بحيث تقوم بتدريس اللغة العربية وعلومها وآدابها وتدريس علوم الشريعة بأنواعها والعلوم الإسلامية الأخرى، ويتم التدريس في هذه المجالات باللغة العربية، وفوق ذلك تقوم كلية اللغة العربية بتدريس (٩٢ ساعة معتمدة) في جميع الكليات الأخرى، وذلك من خلال مقررين بوصفهما من متطلبات الجامعة.

هذا، وكلية اللغة العربية تتكوّن من خمسة أقسام ووحدات هي: قسم الأدبيات وقسم اللغويات وقسم الترجمة والترجمة الفورية (العربية – الإنجليزية) ووحدة تعليم اللغة العربية ومركز اللغة العربية. ويعرض القسمان الأدبيات واللغويات والبرامج التعليمية من البكالريوس إلى مرحلة الدكتوراه، كما أن قسم الترجمة والترجمة الفورية يقدّم برنامجاً

– في مجال الترجمة – يحتوي على أربع سنوات في مستوى البكالوريوس، بينما تقوم وحدة تعليم اللغة العربية بتدريس مهارات اللغة العربية في جميع كليات الجامعة. وأما مركز اللغة العربية فهو الذي يخدم عامة الباكستانيين في نشر العربية، وذلك من خلال كورساته القصيرة في المساء التي تمّت الدراسة هنا (موضوع هذه الورقة) معتمدة على طلابها.

٢- الدورات القصيرة:

ثمّة ثلاثة مستويات لهذه الكورسات؛ أي مستوى الشهادة ومستوى الدبلوم ومستوى الدبلوم العالي. يخصّص ثلاثة شهور لكلّ مستوى بحيث يتمّ تدريس ٩٦ ساعةً في داخل غرفة الفصل. ويتم تدريس ثماني ساعات موزّعة على ثلاثة أيام في الأسبوع. ويكون التدريس خلال الفترة المسائية. وهناك خيار آخر بنفس عدد الساعات والمستويات ولكن المدّة تصبح ستة شهور لأن التدريس يوجد في يوم الأحد فقط (الإجازة الأسبوعية) لمدة أربع ساعات في الأسبوع، فالطلبة يحضرون مرة واحدة في الأسبوع ولكنّهم يكملون الساعات المطلوبة (٩٦ ساعة) في ستة شهور، ويحصلون على شهادات المستويات الثلاثة المذكورة آنفاً.

والجدير بالملاحظة أن التدريس يتمّ من خلال المهارات اللغوية مع التركيز على تعليم قواعد اللغة العربية، وقد قام المركز بإعداد كتاب في كل مهارة من المهارات المدرّسة، وذلك باختيار المواد التدريسية والدروس وجمعها وترتيبها، وما إلى ذلك من كتب تعليم العربية للناطقين بغيرها لكل مستوى. وأمّا الكتب الّتي تمّ الاختيار والجمع منها في معظم الأحوال فهي: «العربية للناشئين»[١] و«العربية بين يديك»[٢] و«الكتاب الأساسي»[٣]. والجدير بالذكر هنا أنّ الطلبة يدفعون الرسوم الدراسية في هذه الكورسات؛ فالرسوم لكل مستوى وكورس 9000/= روبيّة، وقد وُضعت هذه الرسوم حتى تسير الكورسات على أساس التمويل الذاتي.

١-صيني، محمود إسماعيل، الدكتور وآخرون ، العربية للناشئين منهج متكامل لغير الناطقين بالعربية، وزارة المعارف إدارة الكتب المدرسية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ه – ١٩٨٣م.

٢-الفوزان، عبدالرحمن بن إبراهيم، الدكتور وآخرون، العربية بين يديك في ٣ مجلّدات، مشروع العربية للجميع، مؤسسة الوقف الإسلامي، الرياض بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٣ه – ٢٠٠٢م.

٣-بدوي، السعيد محمد، الدكتور وفتحي علي يونس، الكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٩ه – ١٩٨٨م.

٣- الطبقات المهنيّة:

يلاحظ أن معظم الراغبين والملتحقين بهذه الكورسات يأتون من القطاع الحكومي أو العام والقطاع الأهلي؛ ولديهم مؤهلات ومهارات وخبرات في مهنهم. فهناك أطباء ومهندسون وموظفون صغار وكبار في الوزارات الحكومية والشركات الأهلية، كما أنّه يوجد هناك عدد من التجّار – وإن قلّ – ورجال الأعمال أيضاً.

٤- القصد بالعربية:

ويُقصد بالعربية في هذه الدراسة مستويان فقط من المستويات الخمسة المعاصرة التي سجّل وجودها وتوافرها الدكتور السعيد محمد بدوي في مصر، هما: فصحى التراث وفصحى العصر، فلا تدخل فيها عامية المثقفين وعامية المتنورين وعامية الأميين.[١] والسبب في هذا التحديد هو أن المعاهد والمدارس والمؤسسات التعليمية والجامعات بباكستان لا تهتم مطلقاً بتعلّم وتعليم اللهجات العربية المحلية والمستويات الثلاثة الأخيرة؛ رغم أنّ عدداً هائلاً من الباكستانيين العاملين في البلاد العربية يتعاملون بالبيئة اللغوية هناك، وبالتالي يكونون في حاجة لتعلّم اللهجات العربية المحلّية أيضاً، ويلاحظ أنهم بحكم الاحتكاك الفعّال يتمكّنون من التحدث باللهجات العربية الشائعة في البلدان التي يقيمون فيها لأغراض التكسّب.

٥- المراد بالأغراض:

والمراد بالأغراض هي: الأهداف العامة والخاصة التي تسعى إلى تعليم اللغة أو تعلّمها. ويمكن أن يُنظر إليها بالاستعانة بأكثر من تصنيف للأغراض والأهداف والغايات:

فالكفاية اللغوية هدف من أهداف تعليم اللغة وتعلّمها، وهي عبارة عن سيطرة المتعلّم على النظام الصوتي للّغة تمييزاً وإنتاجاً، ومعرفته بتراكيب اللغة وقواعدها الأساسية نظرياً ووظيفياً، والإلمام اللائق بثروة اللّغة اللّفظية للفهم والاتصال. ومن أغراض تعلّم اللغة وأهدافه **الكفاية الاتصالية**، ويُقصد بها: قدرة المتعلم على استخدام اللغة بصورة تلقائية والتعبير بطلاقة عن أفكاره وخبراته؛ مع تمكنّه من استيعاب ما

١-بدوي، السعيد محمد، الدكتور، مستويات العربية المعاصرة في مصر، دار المعارف، مصر، ط ١٩٧٣م، ص٩٠-٩٣.

يتلقّى من اللغة في يسر. **والكفاية الثقافية** هدف عالٍ آخر لتعليم اللغة وتعلّمها، ويُقصد بها: فهم ما تحمله اللغة من عناصر وركائز ثقافية تعبّر عن أفكار أصحابها وتجاربهم وقيمهم وعاداتهم وآدابهم وفنونهم.

ومن الممكن أن تنقسم هذه الأغراض بطريقة أخرى: فهناك **أغراض دينية** أي تعلّم اللغة العربية بغرض التمكّن من قراءة القرآن الكريم والنصوص الدينية الأخرى وفهمها، و**أغراض مهنية** تهدف إلى تعلّم العربية باعتبارها أداة للتواصل الشفوي والكتابي في مجالات محدودة مثل الإدارة والتجارة والسياحة وما شابه ذلك، **وأغراض علمية** وتخص الطلاب المعنيين بتعلّم العربية باعتبارها أداة للتواصل الشفوي والكتابي في موضوع بحثي معيّن، وثمة **أغراض ثقافية** وهي تشبه ما ذكرناه آنفاً من **الكفاية الثقافية**، أي تعلم العربية للاطلاع على مظاهر الثقافة العربية وحضارتها.

ولا يمنعنا، ولاسيما ونحن ندرس الطبقات المهنية بباكستان، أن نقسم الأغراض من خلال المهارات اللغوية: فمهارة القراءة تكون غرضاً من أغراض المتعلّم، كما أن مهارتي الاستماع والتكلم تكونان هدفاً للمتعلم، ومهارة الكتابة تكون غاية نهائية أو إحدى الغايات لتعلّم العربية لدى بعض الناس.

٦- استمارة الاستبيان:

تمّ جمع المعطيات من طلبة هذه الكورسات القصيرة عن طريق استمارة الاستبيان (بالأردية) المصمّمة خصيصاً لهذا الموضوع. وقد اشتملت هذه الاستمارة على ٢٢ نكتة (معطيات وأسئلة) تحتوي على جوانب متعددة للموضوع المدروس، وتتراوح بين معلومات اجتماعية لغوية مهنية أساسية، وبين أسئلة «مع خيارات» وأخرى بدون خيارات تتطلّب إبداء الآراء كتابة. وقد تَرَكَّز الاهتمام في هذه الدراسة على تلك المعلومات الأساسية التي تسلّط ضوءاً مّا على ناحية أو أكثر من نواحي أهداف هذا البحث، مثل: السنّ ولغة الأمّ والمستوى التعليمي للطالب/ الطالبة وأبويهما، وما شابه ذلك. وأما الأسئلة التي توفّر خيارات فقد صُنعت بأسلوب يستكشف الأغراض والغايات التي يجعلها هؤلاء الطلبة نصب أعينهم في دراسة الكورسات القصيرة هذه خصوصاً، وفي تعلّم العربية على وجه العموم، مثل: ما سبب رغبتك في تعلم العربية؟ (والخيارات هي: شخصية بارزة/ سمعة اللغة العربية/ جمال الأصوات والحروف العربية/ سبب

آخر)، ولماذا تتعلم العربية؟ (والخيارات: لأنها تفيد في وظيفتي الحالية/ لأنها مفيدة في تجارتي/ للحصول على العمل في البلاد العربية/ للرغبة الذاتية فقط/ سبب آخر)، ومثل: إلى أيّ مستوى تود أن تتعلم العربية؟ (والخيارات: فهم القرآن والحديث/ التحدث بالعربية في مواقف اجتماعية بسيطة/ لإجادة لغة الكلام/ سبب آخر)، ومثل: إذا كان فهم القرآن والحديث هدفك في تعلّم العربية، فهل ترغب في موضوع معيّن فيهما؟ (والخيارات: التوحيد/ الأخلاق/ أحكام الشريعة/ العلوم الطبيعية/ العلوم الطبّية/ موضوع آخر/ موضوعات أخرى)، و: في رأيك أيّ مهارة من المهارات التالية تحقق غرضك في تعلّم العربية؟ (والخيارات: فهم النصوص المكتوبة بنفسي مثل القرآن الكريم والكتب الدينية الأخرى/ استيعاب القواعد اللغوية للنصوص المقروءة/ فهم واستيعاب ما يُتكلّم به بالعربية/ الإجادة في التحدث بالعربية/ إتقان الكتابة بالعربية/ جميع هذه المهارات)، وهكذا إلى آخر الأسئلة التي توفر خيارات أيضاً.

تدور الأسئلة التي تستوضح الآراء بالتعبير التحريري (وعددها ثلاثة فقط) حول جوانب يمكن أن تنمّ عن الأغراض والأهداف أيضاً مثل: ماذا يجب أن يكون متوافراً لك من التسهيلات - في رأيك - حتى تتمكّن من تعلّم العربية بأفضل طريقة؟ و: اكتب عبارات أخرى ترى أنها لم تدخل في هذه الاستمارة وهي تعبّر عن رغبتك في تعلّم العربية.

وقد وُزعت هذه الاستمارات على أكثر من مائة طالب وطالبة للنوعين من الكورسات؛ أي الكورسات القصيرة التي يتم تدريسها لثلاثة أيام (٨ ساعات) في الأسبوع وينتهي كل كورس في ثلاثة أشهر، والكورسات القصيرة التي يتم تدريسها في يوم الأحد فقط (٤ ساعات) وينتهي كل كورس في مدة ستة أشهر. وعدد الذين استجابوا بملء الاستمارة المصمّمة هذه هو ٩٠ طالباً وطالبة.

ب - النتائج:

الاسم والإيميل:

لوحظ أنّ أكثر من ٩١٪ طالباً وفّروا أسماءهم، ونفس النسبة وُجدت لدى الإناث أيضاً، رغم أن الانطباع العام في المجتمع الباكستاني أنّ النساء يمتنعن عن توفير المعلومات الشخصية في مثل هذه الحالات. وأما نسبة الطلبة والطالبات الذين ذكروا إيميلهم فهي ٦٦٪ فقط، بحيث لا يوجد تفاوت بين الذكور والإناث في هذا إلا قليلاً.

ومن الممكن أن تُعزى أسباب ذلك – بصرف النظر عن الجنس – إلى قلّة الاهتمام بشبكة الإنترنت لدى هؤلاء الذين لم يوفّروا إيميلهم. فهذه الحالة تثبت أن هؤلاء الطلبة لديهم ثقة كافية تجعلهم يتّخذون القرار على أسس عقلية فكرية واضحة، والمقصود هنا قرار تعلّم العربية رغم انشغالاتهم ومسؤولياتهم الأساسية الأخرى.

السنّ:

وُجد في هذا الاستبيان أنّ سنّ معظم الطلبة (الذكور والإناث) تتراوح بين ٢٠-٣٠ عاماً (٤٦٪ تقريباً) مقسّمة بين الذكور والإناث كما يلي:

الإناث: ٧٢٪

الذكور: ٣٣٪

بينما وُجد أنّ سنّ معظم الطلاب الذكور تقع في المجموعة: ٤١ – ٥٠ عاماً أي بنسبة ٢٢٪، وتليها المجموعة ٣١-٤٠ عاماً بنسبة ٢٠٪ تقريباً.

وقد وُجدت نسب أخرى بين الطلبة الذكور والإناث على حد السواء، تنتمي إلى مجموعات أخرى مثل:

أكثر من خمسين عاماً: ٨٪ تقريباً.

أقل من عشرين عاماً: ٢٪ تقريباً.

فعامل السنّ من العوامل المهمّة التي تلقي ضوءاً على الأهداف النّفسية والتعليمية والاجتماعية لتعلّم العربية، ولاسيما إذا قورن بالردود على الأسئلة التي تهدف إلى استكشاف الأغراض مباشرة.

لغة الأمّ:

ظهر في الاستبيان أن لغة الأمّ لأغلبية الطلبة (الذكور والإناث) هي البنجابية، أي أكثر من ٤٦٪ من الطلاب، وتليها اللغة الأردية ونسبتها ٣٦٪ تقريباً. وأما اللغات المحلية الأخرى فهي كما يلي:

سرائيكية: ١٣٪ تقريباً.

هزاره: ١٢٪ .

هندكو: ٥٪ .

بوتوهارية: ٢٪ .

بينما ٢٪ تقريباً لم يجيبوا هذا السؤال.

مستوى التعليم:

يخبرنا تحليل الاستبيان بأن مستوى التعليم لدى أكثر من ٣٧٪ من الطلبة هو الماجستير في الآداب والعلوم والإدارة، ويليها أصحاب الشهادات المهنية مثل بكالوريوس في الطب والهندسة والقانون والمحاسبة والتعليم؛ ونسبتهم أكثر من ٢٦٪. وأما أصحاب البكالوريوس في الآداب فهم أكثر من ٢٤٪. ومن الممكن أن نجمع بين هاتين النسبتين المئويتين الأخيرتين حتى تصبحا أكثر من ٥٠٪. وقد وُجد اثنان من الطلبة لديهم شهادة الدكتوراه أيضاً، كما وُجدت نسبة معينة من الطلاب وهي أكثر من ١٦٪ لديهم شهادة ثانوية أو ثانوية عليا.

والجدير بالملاحظة أن هؤلاء الطلبة يأتون من الأسر المثقّفة، ويدل على ذلك مستوى تعليم آبائهم الذي لا يقل - لدى الأكثرية أي ٤٠٪ - عن الشهادات المهنية المختلفة.

المهن:

لوحظ أن معظم الطلبة لهذه الكورسات (الذكور والإناث) يعملون في القطاع الأهلي أي ٢٤٪، بينما تتوزّع النسب الأخرى كما يلي:

القطاع العام الحكومي: أكثر من ١٧٪.

رجال الأعمال: أكثر من ٨٪.

المهن الأخرى: أكثر من ١١٪.

طلبة العلم: أكثر من ٢٥٪، (والأغلبية هنا من الإناث).

الذين لم يردوا: أكثر من ١١٪.

بينما يعمل آباء معظم هؤلاء الطلبة (أكثر من ٤٢٪) في القطاع العام الحكومي.

إلمام أحد من الأقرباء بالعربية:

فيما يتعلق بالسؤال الذي يحاول استكشاف واحد أو أكثر من الأقارب أو أفراد الأسرة الذين يلمّون باللغة العربية، جاءنا الرد بـ«**نعم**» بأكثر من ٣٣٪، وبـ«**لا**» بأكثر من ٦٦٪. فيجب أن نبحث عن الحافز في خارج دائرة التأثير الأسري. وهذا هو الحافز الذي يساعدنا كثيراً في إدراك الأغراض المفصّلة لتعلّم العربية.

علاقتك مع الملم بالعربية:

وُجّه هذا السؤال لمن لديهم قريب أو فرد من أفراد الأسرة يلمّ بالعربية. فوُجد أن علاقة القربى الغالبة هي الأعمام والأخوال أي ٢٠٪، بينما أجاب أكثر من ٤٪ بأن والدهم يعرف العربية، وأجاب بنفس النسبة بالوالدين. وأما العلاقات الأخرى مثل الأخ وابن العم/ العمة والأخت وزوجة الأخ والابن وغيرها فالنسبة هنا تترواح بين ١٠٪ و٧٪.

كيف بدأت ترغب في تعلم العربية؟

والخيارات التي وضعت أمام هذا السؤال كانت:

- لأجل شخصية بارزة.
- سمعة اللغة.
- جمال الأصوات والحروف العربية.
- أسباب أخرى.

وقصداً لم نكتب الخيار: «لفهم القرآن والحديث» حتى لا يتمّ الخيار بطريقة لا شعورية. ورغم ذلك تقول لنا النتائج بأنّ أكثر من ٤٧٪ من الطلبة يتعلّمون العربية لغرض فهم القرآن الكريم فقط. والنسبة التي وُجدت في «الأسباب الأخرى» هي أكثر من ٢٤٪، وهي الأخرى التي توحي عباراتها هنا بأنّ الغرض دينيّ؛ أي فهم الدين والإسلام وما إلى ذلك مثل: لأن الكلام الإلهي بالعربية، ولأن تعلّم العربية يساعد على فهم النصوص الدينية. وعلى هذا الأساس يمكننا أن نقول إن ٧٣٪ تقريباً من متعلمي الطبقات المهنية للغة العربية يتعلّمونها لأغراض دينية.

وأما نسب الخيارات الأخرى فهي كما يلي:

لأجل شخصية بارزة: أكثر من ٦٪.

سمعة اللغة العربية: أكثر من ٢٠٪.

جمال الأصوات والحروف العربية : أكثر من ٢٪.

لم يردّوا: أكثر من ٣٪.

لماذا تتعلم العربية؟

وكانت الخيارات هي:

- للاستثمار في التجارة.
- لأنّها تفيدني في وظيفتي الحالية.
- للحصول على الوظيفة في أحد البلاد العربية.
- للرغبة الشخصية البحتة.
- لأسباب أخرى.

اختار معظم الطلبة 'الرغبة الشخصية البحتة' ونسبتهم ٥٠٪. وقد أكّد ٣٥٪ من الطلبة تحت 'لأسباب أخرى' أنّهم يتعلمونها لغرض دراسة القرآن وفهمه، كما أن الرغبة الشخصية البحتة هي في الجوهر رغبة دينية روحية تسعى إلى التواصل الحيّ مع النصوص الدينية وهي القرآن والحديث الشريف. ولنا أن نستنتج من هذا أن نسبة الغاية الدينية من خلال الكفاية اللغوية (كما نرى) لدى متعلّمي الطبقات المهنية في باكستان هي ٨٥٪.

وقد ذكر أكثر من ٧٪ من الطلاب بأنّهم يريدون الحصول على الوظيفة في أحد البلاد العربية ولذلك يتعلّمون العربية، بينما رأى بعضهم الفائدة في وظائفهم الحالية ونسبتهم: أكثر من ٣٪، بالإضافة إلى النسب المختلفة الأخرى مثل لإرضاء الأمّ وما شابه ذلك.

ماذا ستفعل لتعلّم العربية بعد إكمال هذا الكورس؟

أعطينا أمام هذا السؤال أربعة خيارات هي:

١. الكورسات والدورات المزيدة.
٢. ماجستير في اللغة العربية وآدابها.
٣. ماجستير/ دكتوراه في الدراسات الإسلامية.
٤. الأخرى.

تقول لنا النتائج بأن ٦٩٪ من الطلبة يريدون أن يلتحقوا بالكورسات والدورات المزيدة لتعلّم العربية، وقد أبدى ١٤٪ من الطلاب رغبة الالتحاق بماجستير/ دكتوراه في الدراسات الإسلامية، بينما يزمع أكثر من ٤٪ مواصلة الدراسة في ماجستير اللغة العربية وآدابها، وهناك نسبة معيّنة من الطلبة وهم أكثر من ١٥٪ اختاروا «الأخرى»

دون توضيح أي شيء يلقي ضوءاً على هذا الجانب.

أيّ مهارة من المهارات التالية – إذا تمكّنت منها – تظنّ أنك حقّقت هدفك؟

وقد وفّرنا تحت هذا السؤال المهمّ الخيارات المتعددة التالية:

١. قراءة النص المكتوب (مثل القرآن والحديث وغيرهما) وفهمه مباشرة.
٢. استيعاب القواعد اللّغوية وإدراكها في النّص المكتوب.
٣. فهم المتحدث بالعربية.
٤. الإتقان في التحدّث بالعربية.
٥. مهارة الكتابة باللغة العربية.
٦. جميع المهارات السابقة.

وقد لوحظ أن ٢٩٪ من الطلبة يريدون تحقيق جميع المهارات المذكورة، بينما يرى أكثر من ٢٦٪ من الطلبة أنهم يجرون وراء تحقيق الإتقان في التحدّث بالعربية. وقد رأى أكثر من ٢٤٪ من الطلبة قراءة المكتوب وفهمه مباشرة مهارة منشودة لديهم. وأما النسب الأخرى فهي كما يلي:

- عدم الردّ: ١٥٪ تقريباً.
- فهم المتحدّث بالعربية: ١٢٪ تقريباً.
- استيعاب القواعد اللغوية وإدراكها في النص المكتوب: ١١٪ تقريباً.
- مهارة الكتابة بالعربية: ٣٪ تقريباً.

إذا كان هدفك فهم القرآن والحديث، فهل ترغب في موضوع خاص فيهما؟

ووضعنا تحت هذا السؤال خيارات مثل:

١. التوحيد فيهما.
٢. العلوم الطبيعية فيهما.
٣. الأخلاق فيهما.
٤. العلوم الطبّية فيهما.
٥. أحكام الشريعة فيهما.
٦. التاريخ فيهما.
٧. الموضوع/ الموضوعات الأخرى.

ووجدنا أن ٣٦٪ من الطلبة اختاروا موضوع أحكام الشريعة فيهما، بينما يرغب ٣٤٪ من الطلبة في الموضوع/ الموضوعات الأخرى، ومن بين ٣٤٪ من هؤلاء الطلبة؛ ٦٣٪ ذكروا أنهم يريدون جميع هذه الموضوعات، بالإضافة إلى الموضوعات الأخرى فيهما، وأما ٣٧٪ منهم فلم يهتموا بذكر أي موضوع واكتفوا باختيار «الموضوع/ الموضوعات الأخرى»، وأمّا نسب بقية الخيارات المتوافرة فهي:

- الأخلاق: أكثر من ١٤٪.
- التوحيد: أكثر من ١٢٪.
- العلوم الطبيعية: أكثر من ٥٪.
- عدم الإجابة: أكثر من ٥٪.
- التاريخ: أكثر من ٣٪.
- العلوم الطبّية: أكثر من ١٪.

هل تتعلم العربية لأنّها لغة نبينا محمد ﷺ؟

وجدنا أن ٩٣٪ من الطلبة قالوا «**نعم**»، بينما ٥٪ منهم اختاروا «**لا**»، و٢٪ ما وفّروا الإجابة.

لماذا اخترت الجامعة الإسلامية العالمية لتعلّم العربية؟

والخيارات والنسب المتوافرة تحت هذا السؤال جاءت كما يلي:

١. سمعة الجامعة: ٤٥٪.
٢. توجيه الأصدقاء: ١٥٪.
٣. توجيه الطلبة السابقين: ٧٪.
٤. عدم الإجابة: ٥٪.

وقد توزّعت الإجابات تحت «الأسباب الأخرى» بين: رغبة الزوج والإعلان في الصحف وتوجيه الأب وبسبب الظروف السيئة في كراتشي (وهي أكبر مدن باكستان وتقع الجامعة الإسلامية في إسلام آباد عاصمة باكستان) والخبرة المباشرة في برامج أخرى بالجامعة وما شابه ذلك.

ماذا يجب أن يُوفّر لك من التسهيلات حتى تتمكّن من تعلّم العربية بطريقة أفضل؟

كان هذا السؤال مفتوحاً دون خيارات، وتطلّب من الدارسين التعبير التحريري أو إبداء الآراء كتابة. فقد توافرت مقترحات وتوصيات عامة وخاصة تسلّط ضوءاً على وضع الدّورات وطرق التحسين فيها، بحيث قدّمت الأغلبية مقترحات عملية يمكن الاستفادة منها في تحقيق أغراض تعلّم العربية لدى هؤلاء بطريقة أفضل. ومن الممكن تصنيف كلّ ذلك فيما يلي:

- توفير فرص التحدّث والحوار في داخل الفصول.
- توفير الكتب والمناهج الإضافية لتعلّم العربية.
- زيادة الساعات التدريسية والمدّة كذلك.
- حصص مستقلّة للتدريب على النطق العربي الصحيح.
- زيادة التدريبات لمهارة الاستماع.
- توفير الأفلام العربية والفيديوهات العامة والمبرمجة لتعليم اللغة العربية وفرص مشاهدتها.
- توفير أساتذة عرب.
- كثرة الواجبات والمعلومات الإضافية عن العربية.
- التدريبات والمسابقات في الخطابة والكتابة بالعربية.
- التسهيل في تدريس القواعد العربية.
- استخدام الوسائل السمعية والبصرية الحديثة.
- استخدام التكنولوجيا الحديثة في تعليم العربية.
- جعل العربية لغة قومية في باكستان.
- عرض الكورسات مجّاناً وبدون رسوم.
- رفع مستوى طباعة الكتب.
- الاختبارات الشهرية.

وفي الإجابة عن السؤال القائل: **اكتب عبارات أخرى ترى أنّها لم تدخل في هذه الاستمارة وهي تعبّر عن رغبتك في تعلّم العربية**، وجدنا عبارات تساعدنا بعضها

على إدراك الأغراض بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. وفيما يلي نماذج لبعض أهمّ هذه الإجابات:

- أتعلّم العربية حتّى أدرّسها لأولادي.
- أتعلّمها حتّى أفهم الإسلام وأتمكّن من الهدى.
- أرغب في العربية لأنّها لغة الجنّة ولغة النبيّ ﷺ.
- يجب أن تكون العربية إجبارية في مناهج المدارس الباكستانية.
- أُعجبت ببلاغة اللغة العربية.
- سبب رغبتي هي الرغبة في الرحلة إلى البلاد العربية.
- يجب أن تكون العربية لغة قومية لباكستان.

وهذه النتائج تجرّنا بالضرورة إلى أن نتأمّل في الخطوات العمليّة الّتي يمكن أن يُستفاد منها لتطوير هذه المبادرات الّتي لها تأثير في دائرة الطبقات المهنيّة الباكستانيّة:

١. تُلاحَظ رغبة غير عادية لدى هذه الطبقات المهنيّة في تعلّم اللغة العربية لأغراض كثيرة، أغراض دينيّة وأغراض اقتصادية وأغراض ثقافيّة. وهذه الرغبة تفرض إيجاد آليات متطوّرة للمناهج وللكتب المدرسيّة ولطرق التدريس والتقييم؛ وذلك في ضوء أبحاث اللّسانيات التطبيقيّة. فهناك حاجة ماسّة إلى إعادة النظر في كلّ ما يدرّس وطريقة التدريس والتقييم.

٢. نظراً للتقدّم العلمي والتكنولوجي في تعليم اللغات للناطقين بغيرها، يُقترح أن يدرّب أساتذة العربية (ولاسيّما المدرّسين) في هذه المجالات؛ حتى يتمكّنوا من الاستفادة منها واستغلالها في تدريسهم.

٣. استغلال الوسائل السمعية والبصرية الحديثة مطلب مهمّ جدّاً، ولذلك لابدّ من الاهتمام البالغ بتوفيرها وتدريب الأساتذة على استخدامها في هذه الكورسات.

٤. ربط العلاقات الوثيقة بين الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد والجامعات العربية التي تبرز في البحوث والخبرة والتدريب والتكنولوجيا في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

٥. الشراكة والتعاون بين الجامعة الإسلامية بوصفها وسيلة كبيرة لنشر العربية بباكستان وبين الجامعات العربية في البحوث والمشروعات العلمية والتدريب وتبادل الخبرات و إعداد الكتب والمناهج التي تهدف إلى تعليم اللغة العربية ونشرها.

٦. توفير أساتذة عرب لتدريس هذه الكورسات، ولاسيّما لتدريب مهارات معينة مثل مهارة الاستماع ومهارة التكلم والنطق الصحيح.

٧. لوحظ في هذه الكورسات أنّ عدداً كبيراً من الراغبين في تعلّم العربية يمتنعون – رغم الرغبة الشديدة – عن الالتحاق بها؛ وذلك لأنّهم لا يقدرون على دفع الرسوم، كما أنّه لوحظ في هذه الدراسة أيضاً أنّ الأغلبية تقترح إلغاء الرسوم الدراسية فيها.

استمارة الاستبيان

(مصححة – طلبة الكورسات القصيرة بالجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد)

١. الاسم (خياري)..........

٢. الإيميل (خياري)..........

٣. السن:بين ٢٠-٣٠ عاماً........ بين ٣١-٤٠ عاماً........ بين ٤١-٥٠ عاماً......... أخرى........

٤. القرية/ المدينة............

٥. البلد............

٦. لغة الأمّ............

٧. مستوى تعليمك............

٨. مستوى تعليم الوالد............

٩. مهنتك: الوظيفة الحكومية.......... القطاع الأهلي.......... التجارة.......... أخرى..................

١٠. مهنةالوالد:الوظيفةالحكومية..............القطاع الأهلي.............. التجارة.......... أخرى..................

١١. هل يلمّ أحد من أقاربك بالعربية؟ ....نعم.............. لا............

١٢. إن كانت الإجابة في السؤال بـ نعم، فما علاقتك به/ بها؟ ....

....

١٣. ما سبب رغبتك في تعلّم العربية؟ - شخصية بارزة - سمعة اللغة - جمال الأصوات والحروف العربية ٤- سبب آخر..................

١٤. لماذا تتعلم العربية؟ - لأنها مفيدة في تجارتي - تفيدني في وظيفتي الحالية - للحصول على الوظيفة في بلد عربي - للرغبة الشخصية فقط - غرض آخر.......................

١٥. إلى أي مستوى تودّ أن تتعلم العربية؟ - مستوى فهم القرآن الكريم - للتحدث بها في مواقف اجتماعية - لإجادة التكلم بها - مستوى آخر..................

١٦. ماذا ستفعل لتعلّم العربية بعد إكمال هذا الكورس؟ - الالتحاق بـالكورسات الأخرى

- ماجستير في اللغة العربية وآدابها
- ماجستير/ دكتوراه في الدراسات الإسلامية
- شيء آخر

١٧. إذا تعلّمت مهارة من المهارات التالية، هل تظن أنك حققت هدفك؟

- فهم النصوص المكتوبة بنفسك (مثل القرآن الكريم والحديث)
- استيعاب القواعد اللغوية للنصوص المقروءة
- الإتقان في التحدث بالعربية
- جميع المهارات السابقة الذكر

١٨. إذا كان هدفك فهم القرآن والحديث، فهل ترغب/ ترغبين في موضوع معين مثل:

- موضوع التوحيد فيهما
- العلوم الطبيعية فيهما
- العلوم الطبية فيهما
- التعاليم الأخلاقية فيهما
- أحكام الشريعة فيهما
- التاريخ
- موضوع آخر/ موضوعات أخرى

١٩. هل تتعلم/ تتعلمين العربية لأنّها لغة نبينا محمد ﷺ؟

-نعم

- لا

٢٠. لماذا اخترت الجامعة الإسلامية العالمية لتعلّم العربية؟

- سمعة الجامعة في تعليم العربية

- توجيه الأصدقاء

- آراء الطلبة السابقين

- سبب آخر

٢١. في رأيك ماذا يجب أن يُوّفر لك من التسهيلات حتى تتمكن من تعلّم العربية بطريقة أفضل؟

٢٢. اكتب – إذا أردت – عبارة تنمّ عن رغبتك في تعلّم العربية، ولاسيما الأشياء التي لم تدخل في هذه الاستمارة.

المجلات العلمية العربية؛ نشأتها وتطورها في باكستان[1]

الدكتور حارث مبين

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الكلية الشرقية، جامعة بنجاب، لاهور

الحمد لله تعالى الذي علّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على معلِّم الناس الخيرَ والنهضةَ والرفعةَ والقيَمَ أبي القاسم محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين، ومن تبعهم وسار على هديهم إلى يوم يبعثون وبعد،

فيجدر بنا أن نقف قليلاً عند كلمة «المجلة» ونقدم بعضاً من التعريفات لها، قبل أن نأتي بالتفصيل عن هذا الموضوع:

كلمة «المجلة» مشتقة من ج.ل.ل، وعرّفها ابن منظور الإفريقي قائلاً: هي صحيفة يكتب فيها، وعند ابن سيده: الصحيفة فيها الحكمة، كذلك روي بيت النابغة بالجيم:

مجلتهم ذات الإله، ودينهم

قويم فما يرجون غير العواقب

يريد الصحيفة؛ لأنهم كانوا نصارى فعنى الإنجيل. قال أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي: كل كتاب عند العرب مجلة. في حديث سويد بن الصامت، قال لرسول الله ﷺ : لعل الذي معك مثل الذي معي، فقال: وما الذي معك؟ قال: مجلة لقمان، يريد كتاباً فيه حكمة لقمان. ومنه حديث أنس: أُلقي إلينا مجالّ: هي جمع مجلة، يعني صحفاً. قيل

---

١ – نُشرت هذه الورقة البحثية في مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهـور، المجلد:١٥، ٢٠٠٨م.

إنها معربة من العبرانية، وقيل هي عبرية.[١]

وقول ابن الأعرابي: قلت لأعرابي: ما المجلة؟ وفي يدى كراسة، قال: التي في يدك.[٢]

وقد أورد الراغب الأصفهاني أن المجلة ما يُغطى به الصحف، ثم سُميت الصحف مجلة.[٣]

وقد عرفها صاحب المنجد بأن المجلة هي الصحيفة فيها الحكمة، وخُصّت الآن بالجريدة التي على شكل كراس.[٤]

وتُطلق كلمة المجلة على مجموعة القوانين المدنية التي دوّنها العلماء من سنة ١٨٦٩م في تركيا، وسُمّيت هذه المجموعة مجلة الأحكام العالمية.[٥]

والمراد من المجلة في العصر الراهن هو مجموعة النصوص المطبوعة مثل المقالات والبحوث والقصص والقصائد، تصدر بالتسلسل بدون أي توقف.[٦] أما نشأة الجريدة أو المجلة وتطورها في الزمن القديم، فنجد بعض الآثار التي تدلّ على أن أول جريدة أُنشئت في العالم هي «كين بان» سنة ٩١١ قبل المسيح، وكانت صحيفة رسمية لحكومة الصين.[٧]

والمجلة الأولى التي صدرت في العالم بخطة حديثة هي: Erbaulich Monaths-Unterredungen (١٦٦٣م–١٦٦٨م) (باللغة الألمانية) تحت إشراف جان رست؛ الذي كان عالماً لاهوتياً وشاعراً بمدينة همبرغ،[٨] وبعد مدة وجيزة من الزمن ظهر عدد من المجلات منها «مجلة العلماء»، وهي أول مجلة علمية صدرت في فرنسا[٩] تحت إشراف دينيس دي سالو،[١٠] ومجلة أخرى باسم: The philosophical Transactions(١٦٦٥م) في إنجلترا.

١– الإفريقي، ابن منظور، لسان العرب، مادة: جلل.

٢– الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس مادة: جلل.

٣– الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ص: ١٩٨.

٤– معلوف لويس، المنجد في اللغة، مادة: جلل.

٥– دائرة المعارف الإسلامية الأردية، ج: ١٨، ص: ٥٨٥.

6- The New Encyclopaedia Britannica: Magazine, Vol:7

٧– طرازي، الفيكونت فيليب دي، تاريخ الصحافة العربية، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩١٣، الجزء الأول،ص: ٣١.

8- The New Encyclopaedia Britannica: Magazine, Vol:7, 26

٩– طرازي، الفيكونت فيليب دي، تاريخ الصحافة العربية، الجزء الأول: ٣١.

10- The New Encyclopaedia Britannica: Magazine, Vol: 26

وفي سنة ١٦٦٨م طُبعت مجلة: Gionranle de' letterati في إيطاليا على يد العالم الكنسي فرانسسكو نازاري، ومثلها صدرت من ألمانيا باسم Eruditorum Acta Lipsiensium (١٦٨٢م)، وجدير بالذكر هنا مجلة Nouvelles de la Republique des Lettres (١٦٨٤م) التي حُجبت عن الطباعة من فرنسا وطبعها الفيلسوف بيري بيل من هولندا فراراً من الرقابة. وتلك المجلات تطورت وترعرعت مع رقي العلم، وبدأت المجلات العلمية تنشر ملخصات للكتب الحديثة، ولكنها لم تركز على النقد الأدبي. واختص جزء من المجلة بإعلانات المكتب مع التعليقات من سنة ١٦٥٠م، وبدأت المجلات تهتم بقائمة الفهرس للكتب مثل مجلة Mercurius Librarious (قائمة الكتب) من ١٦٦٨م-١٦٧٠م، وبدأت المجلة الفكاهية قريباً من سنة ١٦٧٢م باسم Le Mercure Galant، وسُمّيت بالاسم الجديد Mercure de France سنة ١٧١٤م تحت إشراف الكاتب الشهير جي دونيودى وز (Jen Donneau de Vize)، وكانت تحتوي على الأنباء والحكايات والاقتباسات من الشعر وغيره.

إن المنافسات السياسية والأدبية أصبحت سبب الإنتاج للمجلات العديدة في القرن الثامن عشر الميلادي، وظهرت منها المراجعة النقدية من حيث الضرب المعترف به.

أما المجلات العلمية البحتة فقد بدأت بطراز جديد في القرن التاسع عشر، حينما انقسمت العلوم وتفرّعت في التخصص، وشُكّلت الجمعيات العلمية المختلفة للبحث والتحقيق للدراسة الكلاسيكية في ميادين شتى، مثل الدراسات الدينية وعلم الآثار وفقه اللغة والاستشراق.

وقد تغيّرت الاتجاهات الأدبية والسياسية والتقاليد العلمية في القرن العشرين الميلادي عقب الحرب العالمية الأولى، وفي هذه البيئة أسس Andre Gillon مجلة Nouvelles Litteraires سنة ١٩٢٢م.

وبعد الحرب العالمية الثانية، ظهرت مجلة شهرية باسم Les Tewps Moderns لجان بال سارتر في فرنسا سنة ١٩٤٦م، وظهرت كثير من المجلات على هذا الطراز في أوروبا.[١]

أما نشأة المجلات العلمية العربية وتطورها في العالم العربي؛ فإنها ترعرعت بنشأة الصحافة العربية في ختام القرن الثامن عشر، نتيجة للحملة الفرنسية بقيادة

١- المرجع السابق.

نابليون بونابارت، فدخلت الفنون المختلفة إلى البلاد العربية مع سائر جراثيم التمدن الحديث، وكانت البعثة العلمية التي رافقت الحملة قد أحضرت معها مطبعة من باريس، وأول عمل باشرته هذه البعثة العلمية هو تصدير ثلاث جرائد في المطبعة المذكورة، إحداها «الحوادث اليومية» التي كان يحررها إسماعيل بن سعد الخشاب، والثانية «Decad Egyptienne»، والثالثة «Courreir Egypte»، وهما باللسان الفرنسي، وقد انقرضت هذه الصحف برجوع تلك الحملة إلى بلادها سنة ١٨٠١م، فبقيت اللغة العربية محرومة من فوائد الصحافة، حتى قيّض الله لها بعد ٢٧ سنة عصراً جديداً بفضل محمد علي باشا.[١]

أما أول رجل عربي الأصل أصدر باسمه صحيفة عربية فهو رزق الله حسون الحلبي رئيس التحرير «مرآة الأحوال» سنة ١٨٥٥م في عاصمة آل عثمان.[٢]

وفي البداية اختار الصحفيون لفظة «صحيفة» للجريدة، ثم غيّروها باسم الجريدة، ومنهم من استعمل غير ذلك من المسميات كالقسّ لويس صابونجي السرياني صاحب «النحلة» الذي اتخذ لفظة «نشرة» بمعنى جريدة أو مجلة، وهكذا صنع الإرساليون الأمريكيون أصحاب «النشرة الشهرية» و«النشرة الأسبوعية» في بيروت، وغيرهم.

وكان الصحفيون لا يفرّقون أولاً بين الجريدة والمجلة في الاستعمال، ومن المعلوم أن الإفرنج أطلقوا اسم المجلة على الصحف الدورية التي تصدر على شكل الكراسة.

ولما تولّى الشيخ إبراهيم اليازجي إدارة مجلة «الطبيب» البيروتية سنة ١٨٨٤م بالاشتراك مع الدكتورين بشارة زلزل وخليل بك سعادة، أشار باستعمال لفظة «مجلة»، وهي صحيفة علمية أو دينية أو أدبية أو انتقاضية أو تاريخية أو ما شاكل، تصدر تباعاً في أوقات معينة. فأثبتها بمعناها العصري وتابعته في هذا الاصطلاح جميع المجلات التي صدرت بعدها، ثم شاعت في جميع الأقطار العربية شيوعاً حتى صار المعنى الأصليّ مهجوراً بالمرّة، فلا يتبادر الآن إلى ذهن المطالع لدى عثوره على لفظة «مجلة» إلا الصحيفة الدورية دون سواها.[٣]

وبدأت سلسلة المجلات العلمية في سائر العالم العربي مثل مجلة «مجموع فرائد»

١- طرازي، الفيكونت فيليب دي، تاريخ الصحافة العربية، الجزء الأول، ص: ٤٥، ٤٦.

٢- المرجع السابق، ص: ٤٧.

٣- المرجع السابق، ص:٨٠٧.

التي صدرت في غرة سنة ١٨٥١م ببيروت، وقد أنشأها الأمير كان، وهي باكورة كل المجلات التي ظهرت باللسان العربي وأقدمها عهداً على الإطلاق، وكانت مصدرة بتقويم الشهور الشمسية والقمرية. ومباحثها تدور حول الشؤون الدينية والعلمية والتاريخية والجغرافية وسواها من المواضيع المفيدة،[١] ويرى جرجي زيدان أن أقدم المجلات العربية صدرت بمصر هي «اليعسوب» سنة ١٨٦٥م، وهي مجلة طبية.[٢] وصدرت مجلة «مجموع العلوم» للجمعية العلمية السورية في سنة ١٨٦٨م، ومجلة «رجوم وغساق» لرزق الله حسون بلندن في نفس السنة.[٣] وظهرت «الجنان» في بيروت سنة ١٨٧٠م للبستاني، وهي مجلة عامة جمعت بين العلم والأدب والسياسة، تصدر مرتين في الشهر، وكانت ميداناً لأقلام كُتّاب العربية في ذلك العصر في السياسية والأدب والتاريخ والشعر والعلم والطب والحقوق والزراعة والرياضيات والطبيعيات والفكاهة وغيرها.[٤] وصدرت «الجعبة» للشيخ نوفل الخازن في درعون لبنان، وهي فكاهية لم تعمّر إلا لمدة قليلة. وصدرت «روضة المدارس» سنة ١٨٧٠م في بيروت وانتقلت إلى مصر سنة ١٨٨٢م. وظهرت «الطبيب» في بيروت سنة ١٨٧٧م للدكتور بوسط، و«الشفاء» بمصر سنة ١٨٨٦م للدكتور شبلي شميل، وحقلهما الطب.

ثم صدرت مجلة «الهلال» في القاهرة سنة ١٨٩٢م، وكان رئيس تحريرها جرجي زيدان، وعالجت الأبحاث في ميادين الأدب والتاريخ والاجتماع والعلم، ولها ملحقات في موضوعات مختلفة أهمها «تاريخ التمدن الإسلامي» في خمسة أجزاء، و«تاريخ العرب قبل الإسلام» و«علم الفراسة الحديث» و«طبقات الأمم» و«تاريخ آداب اللغة العربية»، وغير ذلك.[٥] ومجلة «الأستاذ» لعبدالله نديم، و«المفتي» للإسكندر شلهوب، و«الفتاة» للسيدة هند نوفل، وهي أول الجرائد النسائية.[٦] وأصدر نجيب غرغور في الإسكندرية مجلة «العالم الجديد» سنة ١٨٩٥م، ونشر ميخائيل بن أنطون الحلبي مجلة «الأجيال» من

١- المرجع السابق: ص:٥٣.

٢- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، مصر، ١٩٥٧م، الجزء الرابع، ص:٦١.

٣- طرازي، الفيكونت فيليب دي، تاريخ الصحافة العربية، الجزء الأول، ص: ٤٧.

٤- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، مصر، ١٩٥٧م، الجزء الرابع، ص:٦٢.

٥- المرجع السابق.

٦- المرجع السابق، ص: ٦٢، ٦٣.

القاهرة والأب لويس شيخو اليسوعي مجلة «الشرق».[١]

والآن ننتقل بالحديث إلى شبه القارة الهندية، حيث نرى الرجل الأول البارز في سماء الصحافة العربية في الهند هو عبدالله العمادي العالم اللغوي الشهير؛ الذي أنشأ مجلة «البيان» في آذار سنة ١٩٠٢م. ثم يتبعه الخوجة كمال الدين منشئ «المجلة الإسلامية الهندية» سنة ١٩١٣م، وبعد ذلك نجد عبدالرزاق اللكنوي الذي أشاع مجلة «الجامعة» في نيسان سنة ١٩٢٣م.[٢]

كان فيض الحسن السهارنفوري ﷀ (١٨١٦م – ١٨٨٧م) رئيس التحرير لمجلة «شفاء الصدور»، وهذه المجلة العلمية كانت تصدر من الكلية الشرقية في كل شهر.[٣]

أصدرت الكلية الشرقية مجلتها باسم «مجلة الكلية الشرقية» في فبراير سنة ١٩٢٥م، وهي أقدم المجلات العلمية الباكستانية ذات الشهرة العالمية، ولاتزال تنشر المقالات العلمية باللغات الشرقية والإنجليزية.[٤]

جاء الأستاذ عبدالمنعم العدوي، الصحفي المصرى، في سنة ١٩٣٠م إلى الهند مراسلاً لجريدة «البلاغ المصرية»، وفي عام ١٩٣٧م أسس «مجلة العرب» بمدينة بومباي، وفي سنة ١٩٤٦م حجبت الحكومة الهندية هذه المجلة عن الصدور بسبب نشرها مقالاً عن مذابح المسلمين بولاية «بهار»، ورحل الأستاذ عبدالمنعم العدوي بعدها إلى القاهرة، وفي سنة ١٩٤٧م عاد إلى باكستان بعد تأسيسها واستقر بمدينة كراتشي، وأحيا مجلته «العرب» من جديد، وقد قامت هذه المجلة بدور واسع في خدمة اللغة العربية من ناحية، وخدمة المسلمين في المنطقة من ناحية أخرى، حتى يقف العالم العربي وغيره على ما يعاني منه المسلمون في شبه القارة الهندية.[٥]

كان مستوى اللغة في هذه المجلة طيباً، و الوضع العام للمقالات جيداً ومتنوعاً، يفيد القارئ ويقوّي فكره ويزيد من معلوماته ويساعده على فهم اللغة العربية.[٦]

١– طرازي، الفيكونت فيليب دي، تاريخ الصحافة العربية، الجزء الأول، ص: ١٧.

٢– المرجع السابق، الجزء الثالث، ص: ١٥٤.

٣– ذو الفقار، غلام حسين، تاريخ اوريئنل كالج، لاهور، ص:١٢٩، ١٣٠.

٤– مظهر معين، الدكتور، تطور اللغة العربية في باكستان، مجلة الكلية الشرقية، رقم العدد: ٢٥٩، ٢٦٠ (١٩٩٣م)، ص: ١٤٧.

٥– محمود محمد عبدالله المصري، الدكتور، اللغة العربية في باكستان، دراسة وتاريخ، بحث لنيل درجة الدكتوراه،جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، ١٩٨٣م ص: ٢٤٤.

٦– المرجع السابق، ص: ٣٤٦.

أسّس الشيخ المفتي عبدالله، تلميذ الشيخ أنور شاه الكاشميري ومسترشد مولانا أشرف علي التهانوي رحمه الله[1] مجلة «الصديق» بمدينة ملتان سنة ١٣٦٩هـ لخدمة اللغة العربية والإسلام، وكانت مواضيعها ومباحثها تتعلق بالدين الإسلامي والثقافة الإسلامية، وظلت هذه المجلة تصدر مدة طويلة وتؤدي خدمات جليلة وعظيمة داخل البلاد إلى أن توقفت لأسباب ما سنة ١٣٨٥هـ.[2]

وهناك مجلة أخرى تأسست بمدينة كراتشي سنة ١٣٧١هـ واسمها «اليقين»، وهي مجلة دينية إسلامية نصف شهرية تصدر مرتين في الشهر باللغتين العربية والإنجليزية. ومستوى اللغة العربية فيها من المستويات الرفيعة؛ لأن أكثر المقالات كُتب من قبل جهابذة أهل النظر الراسخين في العلم، مثل محمود شيت خطاب والدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر.[3]

ونرى أن مجلة «الوعي» تأسّست بمدينة كراتشي سنة ١٩٥٤م تقريباً، تحت إشراف وزارة الإعلام الباكستانية، وتوقفت بعد إصدار ثلاثة عشر عاماً في سنة ١٩٦٧م. وهذه المجلة حلت محل مجلة «البشير» التي كانت تصدر في زمن لياقت علي خان (المتوفى ١٩٥١م) أول رئيس وزراء لحكومة باكستان التي تأسست حوالي سنة ١٩٥٠م بعد عقد مؤتمر العالم الإسلامي بمدينة كراتشي. ومجلة «الوعي» كانت مجلة أدبية ثقافية دورية تصدر أربع مرات في العام باللغة العربية فقط، ولاشك أن المجلة قد حازت على نخبة طيبة من الكُتّاب الأفاضل والأدباء البارزين في العلوم المتمكنين من معرفة اللغة العربية وإن لم يكن أكثرهم من العرب.[4]

وفي مارس ١٩٦٢م، أصدر المكتب الثقافي المصري بمدينة لاهور نشرة ثقافية باللغتين العربية والإنجليزية أولاً، ثم بالعربية والأردية بعد ذلك، وموضوعاتها متنوعة تدور بين الثقافة والسياسة والأدب، وتوقفت سنة ١٩٦٥م.[5]

وقد أصدر مجمع البحوث الإسلامية مجلة «الدراسات الإسلامية» في مارس

١- راهي، أختر، تذكره علمائے بنجاب، الجزء الثاني، ص: ٨٣٤.

٢- محمود محمد عبدالله المصري، الدكتور، اللغة العربية في باكستان، دراسة وتاريخ، ص: ٣٤٨.

٣- المرجع السابق: ص: ٣٥٤- ٣٥٥.

٤- المرجع السابق، ص: ٣٥٦-٣٥٧.

٥- المرجع السابق، ص: ٣٥٦-٣٥٧.

١٩٦٥، وهذه المجلة منذ تأسيسها تؤدي دوراً بارزاً في خدمة اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وهي مجلة علمية أدبية تبحث موضوعاتها في المسائل المتعلقة بالدين والثقافة والتاريخ والأدب، وكانت تصدر دورياً أربع مرات باللغة العربية فقط، ثم أصبحت تصدر أعدادها كل شهرين بمعدل ستة أعداد في العام. هذه المجلة تمتاز بعدة ميزات لا تتوافر في غيرها من المجلات منها صفاء اللغة في محتوياتها، وقوة الأسلوب وتناسق العبارات، ولاشك أن قراءة هذه المجلات تساعد بجد على النهوض باللغة العربية وانتشارها ومعرفة أساليبها وفصاحة كلامها.[١]

وفي سنة ١٩٦٨م، أسس نذير أحمد خان، وزير الصناعة الباكستاني سابقاً، مجلة «الأحباء»، وكانت تصدر أربع مرات في العام باللغتين الإنجليزية والعربية معاً.

أما عن مستوى اللغة العربية في المجلة فهو مستوى جيد، وهذه المجلة تمتاز بأن من أعضاء هيئة التحرير لها رجلاً من أهل الأدب والقلم الرفيع، صاحب فن ولغة، هو الأستاذ الدكتور ظهور أحمد أظهر، فهو الذي صبغ المجلة بالصبغة العربية الحسنة، وأصبح مستوى العربية فيها مقبولاً.[٢]

وأسس الأستاذ محمد أمين الرحمن مجلة «أخبار العرب» بمدينة لاهور في أغسطس سنة ١٩٧٣م. وكانت هذه المجلة سياسية وثقافية تصدر شهرياً باللغتين العربية والأردية.

أما مستوى اللغة العربية في المجلة فإنه ضعيف، تشوبه كثير من الشوائب من ناحية اللغة والأسلوب والجمل.[٣]

وتأسست «مجلة التحقيق» تحت إدارة الكلية الشرقية بجامعة بنجاب سنة ١٩٧٥م. وهذه المجلة أدبية وثقافية وإسلامية تصدر باللغات الشرقية والإنجليزية كذلك. ومستوى اللغة العربية في مجلة التحقيق عالٍ رفيع ومنزه من الشوائب.

وقد أسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ثلاثة معاهد إسلامية في الجامعات الباكستانية لرفع مستوى الطلاب الباكستانيين في العلوم والآداب الإسلامية، ولكل معهد مجلة، وأسماء هذه المعاهد والمجلات كما يلي:

١- المرجع السابق: ص: ٣٥٩-٣٦٢.

٢- المرجع السابق: ٣٦٤.

٣- المرجع السابق، ص: ٣٦٥.

١. مركز الشيخ زايد الإسلامي التابع لجامعة بيشاور، وتصدر منه مجلة علمية وأدبية وإسلامية اسمها «الإيضاح»، وصدر عددها الأول في رمضان ١٤١٣هـ الموافق لسنة ١٩٩٣م، وهي تصدر مرتين في السنة. مستوى اللغة العربية فيها عالٍ جداً.
٢. مركز الشيخ زايد الإسلامي التابع لجامعة بنجاب بلاهور، وتصدر منه مجلة «الأضواء» منذ ١٩٩٣م. وهذه المجلة تصدر مرتين في السنة، وتلعب دوراً هاماً في خدمة اللغة العربية.
٣. مركز الشيخ زايد الإسلامي التابع لجامعة كراتشي بكراتشي، أصدر مجلة «الوعي» في سنة ١٩٩٠م، ثم غير اسمها وسماها «الثقافة الإسلامية»، وهذه المجلة العلمية تنشر المقالات والبحوث على المستوى العالمي. وهذه المجلة تصدر بثلاث لغات، أي: العربية والأردية والإنجليزية.

وهناك مجلات عديدة تُنشر باللغة العربية واللغات الأخرى، منها: مجلة «إقباليات» لأكاديمية إقبال بلاهور، ومجلة «المنهل» تصدر من مكتبة ديال سنغ بلاهور، و(Research Journal of Humanities) أي مجلة علمية للآداب التي تصدر من جامعة بهاء الدين زكريا بملتان.

ومجلة «معارف إسلامي» التي تصدر من الكلية العربية والدراسات الإسلامية بجامعة العلامة إقبال المفتوحة بإسلام آباد، تصدر مرتين في العام، وهذه مجلة علمية محكّمة تُطبع بثلاث لغات، أي: العربية والأردية والإنجليزية.

ومجلة «القسم العربي» من الكلية الشرقية بجامعة بنجاب بلاهور، أسسها أستاذ الأساتذة الدكتور ظهور أحمد أظهر سنة ١٩٩٥م عندما كان رئيساً للقسم العربي، تُنشر في السنة مرة أو مرتين.

وحولية الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، وهي مجلة علمية سنوية تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد. ومجالها الدراسات الإسلامية واللغة العربية وآدابها، مستوى اللغة العربية في المجلة عالٍ جداً.

ومجلة «التحقيق»، يصدرها قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة الكلية الحكومية بمدينة فيصل آباد.

ومجلة «قافلة الأدب الإسلامي»، تصدرها رابطة الأدب الإسلامي العالمية فرع باكستان، تصدر هذه المجلة بثلاث لغات هي: العربية والأردية والإنجليزية معاً.

ومجلة «معارف أولياء»، تصدرها وزارة الشئون الدينية والأوقاف، إقليم بنجاب بلاهور.

وأُسست مجلة «دريافت» سنة ٢٠٠١م تحت إشراف رئيس القسم الأردي بالجامعة الوطنية للغات الحديثة بإسلام آباد، تُنشر المقالات باللغة الأردية والموضوعات العربية أيضاً.

فهرس المجلات العلمية العربية التي تصدر من المعاهد والكليات والجامعات الحكومية والخاصة طويل جداً، ولا نستطيع أن نحيط دراسة بالمجلات في هذا المقال الموجز، فنكتفي بما ذكرناه.

وقد اتخذت هيئة التعليم العالي بإسلام آباد عدة خطوات لرفع مستوى المجلات العلمية، وحددت بعض الشروط للاعتراف بالمجلات وجعلها مجلات عالمية، ومن هذه الشروط أن تكون هيئة التحرير مكوّنة من الخبراء من باكستان وخارجها، وأن يقوم المتخصصون في المجلات المتعلقة من خارج باكستان بتقييم المقالات قبل نشرها في هذه المجلات العلمية.[١]

١- التوجيه الرسمي الصادر من مجلس التعليم العالي بإسلام آباد، تحت الرقم: 2006/HEC/QA/N1-2 بتاريخ ٣١ يوليو ٢٠٠٦م.

إسهامات الشعراء الباكستانيين في الشعر العربي[1]

الدكتور حامد أشرف همداني

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية، جامعة بنجاب، لاهور

عاش الإسلام بمكة حياة مضطهدة، ولما أذن الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ بالمهاجرة رحبت به وبأصحابه أرض طيبة الرحبة الدمثة، فاستقر بها للإسلام القرار، فقوي صوته وعزّ حديثه وانتشر في أرجاء الجزيرة العربية ضوؤه، وذلك في سنوات عديدة، ثم ما لبث أن جاوز حدود الجزيرة العربية، وإلى أية أرض وصل وفي أية منطقة من مناطق البسيطة دخل، أُعجب به أبناؤها فأقبلوا عليه واعتنقوه، ولما وجدوا مصدرين أصيلَيْن للتشريع الإسلامي (القرآن والحديث) باللغة العربية عُنُوا بها عناية شديدة، حيث قرروها لغة رسمية لهم؛ فصارت بفضلها أغلبية البلاد في العالم المعروف آنذاك (من السواحل الغربية للخليج العربي، والشمالية للبحيرة العربية إلى أقاصي الحدود إلى شمالي غرب أفريقيا) عربية، بعد ما كانت جميعها أعجمية.

ومن تلك الفتوح التي أنعم الله تعالى بها على الأمة المسلمة فتح السند، وتم فتحها على يد القائد المجاهد الشاب محمد بن القاسم رحمه الله، ولكنه بالمؤامرات الداخلية أُجبر على العودة إلى دمشق وقدمه لم تتجاوز بلاد السند،[2] وهكذا حُرمت هذه المنطقة

١- نُشر هذا البحث في مجلة الكلية الشرقية، جامعة بنجاب، لاهور، المجلد: ٨٧، العدد: ٢، ٢٠١٢م.

٢- إحسان حقي، الدكتور، باكستان ماضيها وحاضرها، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ص: ٤٢، ومحمد يوسف، مقدمة تاريخ آداب المسلمين في باكستان والهند، جامعة بنجاب، لاهور، ١٩٧٢م، المجلد الثاني، ص: ٦٣-٦٩.

(شبه القارة الهندية) من أثر الثقافة الإسلامية العربية الأصيلة. وكان الإسلام قد دخل الفارس ومن طريق الفارس وصل إلى أفغانستان، ومن هناك دخل قاطنو تلك البلاد في الهند فاتحين، ولما كانت لغتهم الفارسية قرروها لغة رسمية في الهند، وهكذا سدت الفارسية طريق العربية في البلاد الهندية، فما تركت العربية لتنشأ وتتطور وتنتشر في هذه البلاد هادئة مطمئنة. ومع ذلك كله، فقد نهض عدد من العلماء المجتهدين المخلصين وجعلوا يدونون العلوم العربية الإسلامية باللغة العربية، وأنشأ بعضهم مدارس عربية يدرسون فيها اللغة العربية وعلومها وفنونها، وانزوى بعضهم إلى زوايا المساجد وتخلى آخرون بأنفسهم في المرابط والرباطات، وهمُّ كلهم درس اللغة العربية وعلومها وفنونها، والعلوم الإسلامية وتدريسها. ولما سيطر الإنجليز على مقاليد الحكم ومفاتيح الأمر بالدسائس والمكر والدهاء، صارت الظروف أسوأ، وتقلبت الأحوال، وإنهم كانوا قد نزعوا الحكم والأمر من أيدي المسلمين بالدسائس والمكر والدهاء؛ فكان خوفهم منهم أشد وأكثر، فضيقوا لهم المجال في جميع نواحي الحياة، وحاولوا أن يرغبوا عن تعليم العلوم الإسلامية وتدريس اللغة العربية وعلومها وفنونها في المعاهد العلمية الحكومية، ولكن العلماء المسلمين لم يخضعوا، حيث لم تنقطع آمالهم ولم ينتهِ رجاؤهم، فما زالوا يحافظون على العلوم العربية والإسلامية حتى قدّر الله أن تنشأ في هذه المنطقة دولة إسلامية مستقلة باسم «جمهورية باكستان الإسلامية».[1]

وفي باكستان الإسلامية شهدت العلوم العربية والإسلامية تطوراً هائلاً وتغيراً مدهشاً، فقد كانت تدرس وتعلم في المدارس العربية الدينية الخاصة قبل إنشاء باكستان وفيها نشأ العلماء الأفاضل والأساتذة الأماثل، فقد ملأوا الدنيا درساً وتدريساً وتصنيفاً وتأليفاً، ولما نشأت دولة باكستان الإسلامية وقامت واستقلت، شرعت تتوسع مجالات نشأة هذه العلوم؛ فشملت المعاهد العلمية الحكومية من المدارس والكليات والجامعات، ولا تزال تتوسع، وظهر فيها عدد كبير من الأدباء والشعراء الذين جعلوا همهم احتثاث قرائحهم وإثارة ملكاتهم لقرض الشعر العربي وإنشاده.

والذي يتتبع آثار الشعر العربي في باكستان، وخاصة الشعر العربي الذي نشأ في هذه البلاد بعد استقلالها، تغمره الحيرة ويدهشه الإعجاب، حيث يجد هذه الكثرة الكاثرة

١- راجع للتفصيل: الدكتور عبدالمنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م، ومحمد الخضري، تاريخ الأمم الإسلامية، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر، مصر، ١٩٦٩م.

من الشعراء الذين تناولوا اللغة العربية لإبداء مشاعرهم، وجعلوها مجالاً للتعبير عن أحاسيسهم وعواطفهم، والحقيقة التي لا تُنكر أن نظم الشعر في أية لغة أصعب وأشد من الإنشاء في النثر، ولا يستطيع كل واحد حتى من أهل اللغة أن يقول شعراً، لأنها موهبة من الله العزيز العليم، ثم إنه يقتضي ثقافة موسّعة ومهارة لغوية تامة مع سيطرة بالغة على اللغة ومعرفة كاملة لموارد اللغة ومصادرها وأبنيتها وأساليبها وغيرها من الأشياء الكثيرة، فإذن قول الشعر باللغة العربية دليل على تمكّن هؤلاء الشعراء من هذه اللغة الكريمة.

المبحث الأول: أعلام الشعر العربي في باكستان:

يمكن لنا أن نقسم شعراء باكستان بالعربية إلى مدرستين أساسيتين: المدرسة التقليدية والمدرسة التجديدية، ونقصد بشعراء المدرسة التقليدية شعراء العربية في المدارس الدينية، ويُراد بشعراء المدرسة التجديدية شعراء العربية في المعاهد العلمية الحكومية باعتبار الصفة الغالبة.

إن الأغلبية الغالبة من شعراء باكستان الذين استقوا من مناهل المدارس الدينية تأثروا كثيراً بمناهجها الدراسية، فهم بطول درسهم للأدب العربي وتدريسه شُغفوا بقرض الشعر، ولكن شعرهم في الغالب شعر تصنع وتكلف وليس بالشعر المطبوع الذي ينبع من القلب ويفيض رقة وعذوبة، وليس هو الشعر الحماسي الذي يمتاز برصانة التراكيب وفخامة الألفاظ وجزالة الأسلوب، غير أن هناك بعض المستثنيات في شعر القلة من الأدباء الذين يمكن أن نعتبرهم من الشعراء المطبوعين، ولعل السبب في ذلك حذو شعراء باكستان نماذج الشعر الجاهلي (المعلقات السبع وديوان الحماسة) وشعر المتنبي دون النظر في الشعر العذري الرقيق العذب كشعر عمر بن أبي ربيعة وجميل بثينة، ومن الشعراء العباسيين النوابغ أمثال بشار بن برد وأبي نواس ومسلم بن الوليد وأبي العتاهية وابن الرومي وأبي فراس الحمداني وغيرهم من العشرات الفحول من الشعراء؛ الذين نقف على شعرهم الكثير في الموسوعات الأدبية القديمة مثل كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني والعقد الفريد لابن عبد ربه ويتيمة الدهر للثعالبي وغيرها.

وكما أنه من المعلوم والمعترف به أن ابتعاد اللغة وآدابها عن عقر دارها وموطنها الأصلي يبعدها عن مستوياتها الأدبية وأساليبها اللغوية، كما أن الإنتاج بها في النظم

يتقلّص ويتخلف ويضعف ويتضاءل كلما ازداد البعد من الموطن الأصلي وانقطعت الصلة بأهل اللغة، وكذلك فإن إتقان لغة من اللغات ورفع مستوياتها العلمية وأساليبها الأدبية يحتاج إلى الاحتكاك بأهل اللغة، والاطلاع على أساليبهم في التعبير كتابة وحديثاً والاستسقاء من مواردهم الثقافية الأصلية، كما أنه في حاجة إلى حفظ الكثير من آدابهم شعراً ونثراً. وقضية اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية لا تختلف دون شك وأي استثناء. فقد كان من الشعراء العرب الذين هاجروا إلى بلاد شبه القارة، وهم قليلون جداً، فقاموا بدورهم في إنتاج الشعر والتأثير فيما أنتجه تلاميذهم من أهل البلد، كما أن من الشعراء والكُتّاب الذين احتكوا بأهل اللغة من العرب الكرام، سواء كان ذلك باللقاء أو الاختلاط مع القادمين الطارئين أو بالرحلة إلى البلاد والعواصم الثقافية العربية والمراكز الأدبية مسافرين وطلاباً.

إن الدراسة لما أنتجه الشعراء باللغة العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية توضح الفرق جلياً بين ما قاله المستفيدون من أحواض العروبة استفادة مباشرة وبين ما أنتجه من ذهب مذهب المقلّدين المتكلفين الذين لم يتمكنوا من التتلمذ على أهل اللغة أو الاستفادة من عواصمه الثقافية مباشرة.[١]

فنرى أصحاب الشعر العربي الذين تربّوا في أحضان المدارس الدينية قد ظلوا في الغالب يكتفون بما وصل إليهم من الشعر العربي في الجاهلية والإسلام، أو ما قرأوه في المقررات الدراسية بطريقة قديمة عميقة كالمعلقات وديوان الحماسة وشعر حسان بن ثابت، ثم أخذوا يرددون ويلوكون ما قرأوه، والواقع أن هذا النوع من الشعر كثير جداً، وأن الكثرة الكاثرة من الشعراء في شبه القارة الهندية الباكستانية ينتمون لهذه المدرسة في تاريخ الشعر العربي خلال القرون الطويلة، وذلك لأسباب منها:

- عدم اعتنائهم بالشعر العربي الحديث.
- قلة الاتصال بينهم وبين العرب.
- عدم وجود تبادل ثقافي بينهم وبين علماء العرب وشعرائهم.
- قلة المبعوثين من البلاد العربية إلى المنطقة.
- صعوبة تبادل الأفكار والإنتاج الأدبي بين باكستان والبلاد العربية.

---

١ - ظهور أحمد أظهر، الشعر العربي وتطوره ومذاهبه في شبه القارة، مجلة العربي الباكستاني، المجلد الأول، العدد الثالث، ص: ٣٦.

فلهذه الأسباب وغيرها لم يستطع شعراء هذه المنطقة أن يأتوا بإنتاج شعري يمثل عصرهم وبيئتهم، وإنما ظلوا يرددون على ألسنتهم ما تيسر لهم من المعاني والمفردات اللغوية. ويغلب على شعرهم الأسلوب العلمي لا الأدبي، ويسود شعرهم التأثر بالقرآن والحديث النبوي وشعر القدامى، فتكثر عندهم الاقتباسات والتضمينات منها، كما نرى الكثرة الكاثرة من هؤلاء الشعراء يحاكون ويعارضون شعر القدامى، وكان جميع هؤلاء الشعراء علماء الدين ورجال العلم والثقافة، ولكل هذه السمات انعكاسات في شعرهم وإن كانت ضعيفة من الناحية اللغوية، ولم يكن سبكه يضارع الشعر العربي الموروث بسبب ثقله بكلمات ذات صبغة علمية وبديعية، ولكنه من حيث الأفكار والمعاني شعر قوي ذو أثر بالغ في المثقفين، وإنه يخاطبهم دون الشعب، وإذا كان الأمر على ما ذكرنا فلا ينبغي أن يُحكم عليه بالتقليد الجامد.

وخلاصة القول أن إنتاج الشعراء لهذه المدرسة ليس بمجرد تقليد وترديد أو هجس سخيف، بل يوجد فيهم عدد غير قليل من الشعراء قد قرضوا الشعر أو نسجوه على منوال الشعر الجاهلي أو الإسلامي الذي يكاد يضاهي شعر الكبار من الشعراء في عصور الجاهلية والإسلام، وفيهم من أنتج شعراً غزيراً حتى نصب له ديوان شعر يستحق الدراسة والاهتمام. فمن هؤلاء الشعراء الشيخ محمد يوسف البنوري، الذي تثقّف عليه أجيال من علماء العربية في باكستان.[1] وفيما يلي بعض أبياته من قصيدته في مدح النبي الكريم سيدنا محمد ﷺ، وهي تحتوي على قدر كثير من شمائله الكريمة. (الطويل)

طاف الخيال من الحبيب فزارا ... فاهتز قلب المستهام فطارا

سرت المسرة في العروق جميعها ... كدم الحياة سرى هناك ودارا

طيف بدا يجلو الهموم رواحه ... روح الحياة وسره إذ سارا

١- انظر لترجمته: مختار، محمد حبيب الله، مقدمة القصائد البنورية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، المكتبة البنورية، كراتشي، ومجلة بينات، العدد الخاص بالشيخ البنوري ﷺ (محرم الحرام، صفر، ربيع الأول ١٣٩٨هـ/ يناير، فبراير ١٩٧٨م)، وعبدالله، محمود محمد، اللغة العربية في باكستان دراسة وتاريخاً، وزارة التعليم الفيدرالية، باكستان، الطبعة الأولى، مايو ١٩٨٤م، ص٢٥٤-٢٥٧، ومحمد إسحاق قريشي، شعر المديح النبوي في شبه القارة الهندية الباكستانية، مركز معارف أولياء، لاهور، ٢٠٠٢م، ص ٩٠٦-٩٠٨.

قرّ العيون بشيمة من برقه	فله جمال يعجب الأبصارا
لله من طيف يسرّ قدومه	قلب العميد دجى فزير وزارا
لا غرو طيف في الزمان مبارك	طيف النبي الأبطحي ديارا
يا مدنفاً في حبه وجماله	متحيراً لكماله إكبارا[١]

ويقول يتغزل بعنوان «عبرة ذكرى» (الطويل)

خليليَّ عوجا ساعة فتبصّرا	مواثل أطلال لسلمى فتهمرا
منازل سلمى هذه إذ رأيتها	حوى القلب وجد كامن فتسعّرا
متى ما أتاني من هواها خيالها	ترى عقد در من جفوني تحدرا
يكاد الهوى يذكي فؤادا بطيفه	ومن شيمة الملهوف أن يتسعرا
يعيّرني الواشي بأن بي الهوى	كفى ذاك من عار له ليته درى
فدع عنك عذال الجوى في حبيبه	وهل يرحل الحب المقيم إذا ورى[٢]

ومن فطاحل هذه المدرسة الشعرية عبدالمنان الدهلوي، ويعتبر من كبار العلماء الأفاضل للغة العربية وآدابها في باكستان، وكان آية في الحفظ والذكاء، وله ديوان شعر عربي إلا أنه لم يُطبع بعد، وتداول الناس شعره بالإضافة إلى المؤلفات العربية القيمة الكثيرة، وله شعر جيد بالفارسية والأردية. أما شعره العربي فإنه يمتاز بنضارة اللفظ وطراوته مع عمق المعنى وجودة الفكر، وأسلوبه الأدبي يحمل طابع الشعر الجاهلي والإسلامي مع روعة الجمال ورونقه.[٣] فلننظر إلى قصيدته حيث يمدح النبي ﷺ: (البسيط)

١- مختار، محمد حبيب الله، القصائد البنورية، ص: ٧٥-٧٩.

٢- مختار، محمد حبيب الله، المرجع نفسه، ص: ١٨٦-١٨٧.

٣- انظر لترجمته: الدكتور فيوض الرحمن، مشاهير علماء، بدون تاريخ، فرنتير ببلشرز، لاهور، ج: ٣، ص: ٦٦-٦٧، عبدالمنان الدهلوي، القصيدة المدحية، المكتبة المدنية، لاهور، ١٩٨٤م، ص: ١١١-١١٢.

محمدٌ صاحب الآيات معجزة — حديثه كزبيبٍ نطقه عسل

عفوٌ وسمحٌ وإغضاء ومرحمة — خصاله وبحسن الخلق مشتمل

مأوى الضعاف ملاذ الخلق قاطبة — غوث الأرامل غيث وابلٌ هطل

برٌ رءوفٌ بمن خفّت أواصره — كديمة بذله يعطى ويبتذل

ولا يميل إلى مال ولا سبب — ولا على ما سوى الخلّاق يتّكل

ختم النبوة لاشك ولا ريب — ولا نزاع ولا خلف ولا جدل[1]

ومن شعراء هذا التيار الشيخ ظفر أحمد العثماني، فقد كان الشيخ عالماً متبحراً وفقيهاً ماهراً عارفاً بالكتاب والسنّة، زود المكتبة العربية بتراث ضخم من الكتب النافعة، أكبرها كتابه المشهور «إعلاء السنن»، إلا أنه جمع بين العلم والشعر، فقد أنشأ عدة قصائد في المدح والرثاء، خصوصاً في رثاء زوجتيه وأصدقائه. وهذه القصائد تلقي الضوء على شعره الجميل الذي يخلو من التكلف والتعقيد.[2] وفيما يلي نموذج من هذا الشعر الرائع. قال يندب إلى الأخلاق الكريمة والالتزام بالشريعة: (الطويل)

ألا فاستقم لله والرجز فاهجر — وأحسن ولا تمنن وربك كبر

تخلّق بأخلاق حسان حميدة — وجاهد عليها النفس والثوب طهر

وصل على الأوقات لا تغفلنّها — وحافظ على الوسطى بجد وأوتر

وأدّ زكاة المال لا تمنعنّها — فتربو لك الأموال بعد التطهر

وصم دائماً لله رمضان حسبة — يكن جُنّة من ذات لهب مسعر

١- مجلة أنوار مدينة، ذو الحجة ١٣٩٠ه/ فبراير ١٩٧١م، المجلد١، العدد٩، ص: ٢٠-٢٢.

٢- انظر لترجمته: عبدالشكور الترمذي، تذكرة الظفر، ١٩٧٧م، الطبعة الأولى، مطبوعات علمي، كمالية، وعبدالله محمود محمد، اللغة العربية في باكستان، ص: ٢٠٥-٢٠٧ وفيوض الرحمن، مولا أشرف علي التهانوي وخلفاؤه، مجلس نشريات إسلام، كراتشي، ١٩٧٧م، ص: ١٤٩-١٥٦، وظفر أحمد العثماني، مقدمة كتابه إعلاء السنن، إدارة القرآن والحديث، كراتشي، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ج١، ص: ٤-٥، و ج: ١٨، ص: ٤٣٧.

وقم في لياليها بعشرين ركعة   فيشفع لك القرآن يوم التحسّر
وحجّ لبيت الله لو تستطيعه   وزر بعده قبر النبي المطهر[1]

ومن أبرز شعراء المدرسة التقليدية القاضي عبدالسلام سليم الهزاروي،[2] وأكبر قصائده قصيدة نونية في مدح الرسول ﷺ اسمها «الجذبة الشوقية في الحضرة النبوية»، أنشدها أمام القبة الخضراء، وهي قصيدة بديعة تزيد على مائة وخمسة عشر بيتاً، بدأها بالتشبيب جرياً على عادة شعراء العرب القدامى. وهو يطيل في التشبيب ويحكي عن شوقه وحبه للرسول ﷺ، ويسأل الله تعالى أن يهبه هذا الحب الذي تحيا به القلوب وتتغذى به الأرواح. وسوف نقتطف نماذج من هذه القصيدة حتى يقف القارئ على شعره الجميل.

بدأ القصيدة بقوله: (الكامل)

موج الصبابة دائماً غشّاني   و أماتني بعد الردى أحياني
أصبحت قد ترك الفؤاد ممزقاً   وردي خد فاتك فتّان
ناري وصف سال طول زماني   قاني لون الدمع من أجفاني
وأذاب أحشائي ضرام غرامه   وأسال قلبي اليوم من إنساني

ثم يقول بعد ذلك مادحاً الرسول ﷺ:

أرجو رجاء كاملاً مستحكماً   من خالقي من رازقي المنّان
أن يمنح العبد الغريب محبة   في ذاته بالسر والإعلان
ومحبة المختار يجعل ديدني   وغذاء روحي دائماً وأماني

١- مجلة الفارق، السنة الثانية، العدد الخامس، رجب، شعبان، رمضان ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٦م، ص: ٤٦-٤٧.

٢- عبدالله، محمود محمد، اللغة العربية في باكستان دراسة وتاريخاً، ص: ٤٥١-٤٥٤، و الدكتور فيوض الرحمن، معاصرين إقبال، نيشنل بك سروس، لاهور، بدون تاريخ، ص: ٦٣٧-٦٣٩.

وهو النبيّ الهاشميّ المصطفى	مختار إنس في الزمان وجان
خير الخلائق كنز أسرار الملا	بدر الكمال وسيد الأكوان
عز المراتب والمكارم والعلا	وحبيب رب منعم منّان

وفي آخر القصيدة يختمها بالصلاة والسلام على النبي وأصحابه الكرام، ويسأله أن ينظر إليه نظرة إحسان وعطف ورحمة فيقول:

وعليك لا زالت صلاة إلهنا	والآل والأصحاب في الأزمان
وعليك لا برحت صلاة صلاتنا	تترى عليك وآلك الشجعان
انظر إلى عبدالسلام برحمة	وإلى السليم بناظر الإحسان

فهذه القصيدة من القصائد الرائقة الغنية بالمعاني والألفاظ البديعة، التي يحاكي فيها الشاعر الشعراء القدامى، حيث بدأها بالتشبيب الذي لا يخلو من العواطف والأحاسيس الجذابة، ويحكي في مطلعها حرقة الشوق ورقة الهوى والولع الشديد الذي أحيا نفسه من كثرة حبه للرسول ﷺ، هذا الحب الذي مزّق أحشاءه وأحرق وأشعل النار فيها، وأمات جسمه من كثرة الأحزان حتى جعل لون دمعه شديد الحمرة، ثم يرجع ويشتكي من الهجران والفراق وأنه لا يستطيع الصبر لأن صبره قد نفد. ويقول: إني عانيت الكثير من الهموم والمصائب ليلاً ونهاراً مذ أن بليت بحب الرسول ﷺ.

وأخيراً يسأل الله تعالى أن يمنحه محبة ذات المصطفى ﷺ، لأن محبته غذاء للروح وضياء للقلوب وحياة لكل موحّد وعلاج للجسم من كل بلية.

ويختم الحديث بمدح الرسول ﷺ وهو يعدد محاسنه وأفضاله، وأن الله تعالى قد اختاره من بني هاشم وهو خير الخلائق وبدر الكمال وسيد الأكوان، الذي أزال الشرك وعمّ النور بوجوده، وغير ذلك.[1]

١- عبدالله، محمود محمد، اللغة العربية في باكستان دراسة وتاريخاً، ص: ٤٥١-٤٥٤، والدكتور فيوض الرحمن، معاصرين إقبال، نيشنل بك سروس، لاهور، بدون تاريخ، ص: ٦٣٧-٦٣٩، والقصيدة بأكملها موجودة في مجلة الرشيد، العدد الخاص بالمديح النبوي، ١٤١١هـ، إدراة عبدالرشيد أرشد، لاهور، ص: ٣٤٦-٣٥٧.

وننهي الحديث عن هذه المدرسة التقليدية في الشعر العربي في باكستان بذكر شاعر معاصر، هو أصغر علي روحي، الذي تُوُفي في خمسينات القرن العشرين، و له ديوان شعر عربي مطبوع، كما أن له ديوان شعر فارسي قد تجاوز عدد أبياته الشعرية أربعة آلاف بيت، ورغم أنه قد عاش في القرن العشرين، ورغم أن شعره العربي شعر رصين ويحمل رونق اللفظ وروعة المعنى، إلا أنه قد نسج على منوال الشعر الجاهلي والإسلامي، ولا يوجد فيه ما يدل على أنه كلام شاعر عربي معاصر عاش في القرن العشرين الميلادي، فهو يقول:

لقد نادى بفرقتنا غراب ... فراع القلب بالبين النجاء

كأن القلب منّي يوم بانت ... كريشات تطير بها الخلاء

دعا ذكر الشباب إلى التصابي ... وهل عند الصباح لي المساء

يبابٌ هال نفسي ذو شجون ... وكلّت ناقتي وهي السقاء

وما في الدهر أشقى من كئيب ... أراد الضحك حُمّ له البكاء[١]

ومن أبرز شعراء المدرسة التقليدية في باكستان محمد يوسف الكاملفوري ونقيب أحمد الديروي ومحمد إدريس الكاندهلوي والمفتي محمد شفيع والقاضي عبدالرحمن الكاملفوري والمفتي جميل أحمد التهانوي ومحمد موسى خان الروحاني البازي ورضاء الحق المرداني والشيخ فضل محمد السواتي والشيخ عطاء المنعم البخاري، وغيرهم. وأهم موضوعات هذا الشعر يدور حول الحمد والمدح والمناقب والرثاء والشكوى.[٢]

وأما شعراء المدرسة التجديدية في باكستان، فبما أن الجامعات والمعاهد العلمية الحكومية تملك إمكانيات ووسائل كثيرة لا تتوفر للمدارس الدينية الأهلية غالباً، فقد أمكن لهؤلاء الشعراء التقلّب في الأسفار وكثرة الاطلاع على الجديد، وتحقق لهم التبادل الثقافي والاحتكاك بأهل اللغة، وتمكّنوا من الحصول على الدواوين والمجاميع الشعرية

١- أصغر علي الروحي، الديوان، تحقيق الدكتور رانا ذو الفقار علي، تقديم الدكتور ظهور أحمد أظهر، مجلة المجمع العربي الباكستاني، لاهور، المجلد الأول، العدد الثالث، ص: ٤٣.

٢- لمزيد من التفصيل راجع، همداني، حامد أشرف، الشعر العربي في باكستان، ٢٠٠٧، رسالة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة بنجاب، لاهور.

لكبار الشعراء العرب لكل عصر من العصور وكل مكان من البلاد العربية المختلفة، ومن ثمّ أمكن للكثيرين منهم أن يطلعوا على الشعر العربي على اختلاف الأنواع والأزمنة والأماكن، وبالتالي استطاعوا أن يأتوا بالإنتاج الشعري العربي القديم، وخرجوا من إطار الموضوعات الشعرية التقليدية وطرقوا أبواباً جديدة من الشعر العربي واتخذوا أساليب جديدة في قرض الشعر.

ومن أهم شعراء هذا التيار ضياء الحق الصوفي ومحمد أفضل فقير والدكتور محمد جميل قلندر والأستاذ محمد حسين إقبال ومحمد ناظم الندوي والدكتور خورشيد حسن الرضوي وعبدالعزيز خالد والدكتور الحافظ عبدالرحيم والأستاذ عبدالواحد نديم والميرزا آصف رسول والشيخ لطافت الرحمن السواتي. وفيهم من أنتج شعراً حتى نصب له ديوان شعر يستحق الدراسة والاهتمام، فمن هؤلاء الشعراء الدكتور محمد جميل قلندر؛ الذي تثقّف عليه أجيال من أساتذة العربية في باكستان. وهو من أعلام الشعر العربي في باكستان في عصرنا الحاضر. تقاعد عن وظيفة التدريس في قسم اللغة العربية بالجامعة القومية للغات الحديثة بإسلام آباد حالياً، وما زال يقوم بتدريس اللغة العربية وآدابها في الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد. يقول عنه الدكتور كمال عبدالعزيز المصري مدير مركز الدراسات الأساسية بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد سابقاً: «وهو الشاعر الواعد بالأمل، الحالم بالفردوس الأبهى، يتميّز عن بقية شعراء باكستان الذين كتبوا أو يكتبون بالعربية بأنه الشاعر الوحيد – فيما أعلم – الذي يكتب القصيدة العربية الحديثة (قصيدة التفعيلة)، بالإضافة إلى قدرته على كتابة القصيدة العمودية».[1]

ويبدو أن تقلبه في الأسفار وكثرة اطلاعه على الجديد وإقامته في لبنان وسوريا أثناء دراسته لدبلوم التربية ١٩٧٥م، يبدو أن كل ذلك هو الذي أعطى لشعره هذه النكهة الخاصة؛ التي أخرجته من أسر الثوب التقليدي العتيق الذي درج عليه شعراء العربية في باكستان. وهو شاعر مرموق في لغته الأردية أيضاً، وله فيها ديوان مشهور بعنوان «كشكول» هو محل عناية النقاد والدارسين بالأردية. وما زال عطاؤه المتميز ثراء غزيراً على الساحتين الأردية والعربية.

١ – مجلة قيادة، مارس، ٢٠٠١م، المجلد ٢، العدد، ١٠.

احتفظ الأستاذ محمد جميل قلندر طيلة حياته الفكرية بالفكرة القائلة إن البيئة جسم الإنسان الثاني وثوبه ومرآته الفكرية، التي استلهمها مما ورد في القرآن من ذكر الجنة (البيئة المثلى والمدينة الفضلى وحظيرة القدس والحب والجمال الأبهى والمعيشة الحسنى). وما أجدر هذه الفكرة أن تكون محور ديوان «حلم الفردوس الأبهى» لفيلسوف البيئة محمد جميل قلندر، كأس دهاق من معين شعري متدفق ذي متعة روحية وفكرية ولذّة للشاربين.[1]

وفيما يلي بعض الأبيات من قصيدة من ديوانه المطبوع «الفردوس الأبهى»، وهو بصدد طبع ديوانه الثاني: (الهزج)

هـــو أنــت، أنـــا الهـــو هـــو	ولات مـــا ســـوى الهـــو هـــو
لم، كـيــف، و مـــا الهـــو هـــو	وأيـــن يـــا تـــرى الهـــو هـــو
إذا أظــهــرت دنـيـــانـــا	فـغــبتَ أيهـــا الهـــو هـــو
هـل الهـــو هـــو صـدى الكـــون	أم الكـــون رحـى الهــــو هـــو
وكـــم مـن لمـحـــة الـــبرق	تـرينـــا من رؤى الهـــو هـــو
وكـــم مـن شـــاشـــة الـــروح	لتعـكس من سـنـــا الهــــو هـــو
وكـــم مـــن رعـشـــة العـــود	لتسـمعنا غـنـــا الهـــو هـــو
وكـــم مـــن موجـــة البـحـــر	لــترقص من جوى الهـــو هـــو
وكـــم مـــن شـعـلـــة الـــورد	تـفــوح بـنــدى الهــــو هـــو[2]

ومن فطاحل هذه المدرسة الشعرية محمد أفضل فقير، ويعتبر من كبار العلماء الأفاضل للغة العربية وآدابها في باكستان، وله ديوان شعر عربي مطبوع، وله شعر جيد بالفارسية والأردية أيضاً.

١- محمد جميل قلندر، حلم الفردوس الأبهى، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، منشورات محمد جميل قلندر، إسلام آباد، الصفحة الخارجية وعبدالكبير محسن، الفكرية الشعرية لدى محمد جميل قلندر، ٢٠٠٠م، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، العدد: ٧، ص: ١٤١-١٤٨.

٢- محمد جميل قلندر، حلم الفردوس الأبهى، ص: ٩٧.

يقول الأستاذ الدكتور ظهور أحمد أظهر عن أسلوب شعره: «ومن الجوانب المهمة في الأسلوب الشعري عند الأستاذ محمد أفضل فقير الشاعر هو ميله إلى غريب اللغة العربية، واهتمامه الخاص بها على دأب البعض من الشعراء الكبار في الجاهلية والإسلام كذي الرمة والفرزدق وغيرهما... ومن ظواهر اللفظ والمعنى في الأسلوب عنده تأثّره بالقرآن الكريم، وقصائده حافلة بالتعبيرات والمفردات القرآنية... ويجدر بنا أن نشير إلى ما يمتاز به شاعرنا المتصوف، وذلك أنه مجال لم يضطلع له إلا القلة القليلة من شعراء العرب الكرام، ومنهم الشاعر المتصوف ابن الفارض المصري رحمه الله، ... وهو صنف شعري صعب المنال حتى عند شعراء هذه اللغات، ولكن شاعرنا المتصوف قد أقبل على هذا الصنف الشعري ... والجدير بالذكر بهذه المناسبة أن للرباعي الفارسي أربعة وعشرين وزناً بنوعيه الأخرب والأخرم، وقد استخدم ابن الفارض رحمه الله فيها بضعة أوزان فقط. أما شاعرنا الباكستاني فقد استوعب أوزان الرباعي كلها، فقال الرباعي في أربعة وعشرين وزناً، فلابن الفارض فضل السبق في هذا المجال، وأما الشاعر الباكستاني هذا فله فضل الأوليّة في الاستيعاب والكمال».[1]

ونورد فيما يلي بعض الرباعي الفارسي للحافظ محمد أفضل فقير:

(أ)

محبوب المولى ساد الأسلافا — كالخير حوى جزاؤه أضعافا

بالنعت لمن والاه استكرام — قد كان الرحمن له وصافا

(ب)

في سيرة شارع الهدي سلطان — من لامعها تلألأ العرفان

لا تبلى من تداول الأيام — من يستمسك بها له البرهان

(ج)

الدين ومن يلزمه بالأدب — ما خاب من اهتدى به في الطلب

---

١ - محمد أفضل فقير، شآبيت الرحمة،التقديم: الدكتور ظهور أحمد أظهر، مكتبة كاروان، بدون تاريخ، ص: ١٤-١٦.

لم تستكمل مكارم الأخلاق إلا بشريعة الرسول العربي[1]

ومن أعلام هذا التيار الشعري في باكستان الدكتور خورشيد الحسن الرضوي، حيث يمتاز شعره بوصف دقيق وتشبيه بليغ وأسلوب رائع خلّاب، فها هو يقول متغزلا:

دنت كغزال خالص اللون شادن سقيم الجفون فاتر اللحظات

فخلت فؤادي ذاب بين جوانحي وكدت أشق الصدر بالزفرات

أسلماي إن أعرضتِ عني بعدها أصبتِ صميم القلب بالنظرات

فلا تحسبي أن النوى عزت الهوى ولا أن طول الهجر رثَّ صلاتي

فطيفك لا ينفك عني ساعة ملأتِ عليّ يقظتي وسُباتي[2]

ومن أصحاب الدواوين من شعراء العربية في الجامعات الحكومية الأستاذ محمد حسين إقبال، ويمتاز شعر الأستاذ محمد حسين إقبال بثلاث ميزات: أولاها أنه شعر لا يشوبه شيء من التكلف والتهجس، فقد جاد به طبع فياض خصب غزير يقدر على التعبير والبيان، كما أنه يقدر على الابتكار والإبداع، والميزة الثانية التي يمتاز بها هذا الشعر هو تنوّع المعاني والموضوعات، من المدح النبوي ومناقب الرجال ومن الوصف إلى تجارب الحياة والنصائح والعظات ومن الحماسة إلى الحكم، وهذا التنوّع وهذه الأصالة مما يخلو منه شعر من سبقه من الشعراء في شبه القارة، من حيث إنهم لم يتحرّروا من التبعية والتقليد إلا قليلاً، كما أن أكثرهم لم يخرجوا من موضوع المدح والرثاء أو شعر المناسبات. والميزة الثالثة هي براعة الاستهلال، فالشاعر يبدأ قصائده بكلمات جميلة ومعنى بديع يدل على براعة الاستهلال، فهو يستهل قصيدته في مدح سيدنا الحسين رضي الله عنه بمطلع:

عوّدت نفسي مدحة السادات لم أختلق بيتاً لنيل صلات

١- محمد أفضل فقير، شآبيت الرحمة، ص: ٧٣، ٧٤.

٢- الأبيات مأخوذة من الشاعر نفسه.

ويقول في مطلع قصيدته في مدح الإمام أبي حنيفة رحمه الله:

إن الحكيم لتارك الأخطاء　　وكذا الفقيه مجانب الأهواء

ويبدأ قصيدته في مدح الدكتور محمد حسن بقوله:

النور والظلماء مختلفان　　وكذا الحديد وخالص العقيان

والعلم نور والجهالة ظلمة　　وبغيره الإنسان كالعميان

وهكذا في كثير من القصائد تظهر براعة الاستهلال، دلالة على أن للشاعر ملكة راسخة للشعر العربي ومطالعة عميقة للآداب العربية.[1]

وننهي الحديث عن هذه المدرسة التجديدية في الشعر العربي في باكستان بذكر شاعر معاصر قد تُوُفي في تسعينات القرن العشرين، وله ديوان شعر عربي مطبوع، كما أن له مؤلفات قيمة ومقالات عديدة في اللغة والأدب ألا وهو الأستاذ محمد ناظم الندوي، وبما أنه عاش في القرن العشرين نراه يتمشى مع مقتضيات هذا العصر ويطرق أبواباً وموضوعات جديدة لم يتطرق إليها شعراء العربية من المدارس الدينية، وإن شعره العربي رصين ويحمل رونق اللفظ وروعة المعنى، وقد يوجد فيه ما يدل على أنه كلام شاعر معاصر عاش في القرن العشرين الميلادي، وهو الذي يقول في وصف رجل القرن العشرين وبيان نشاطه في مجال العلم:

يواصل كدحاً ليله بنهاره　　دؤوباً لنيل المجد غير كليل

عكوفاً على درس العلوم بفكره　　مضيفاً إلى البحث نتاج عقول

يبيت الليالي باحثاً متطلعاً　　ليدرك سراً غامضاً بدليل

كذلك يقضي صبحه ومساءه　　غراماً بكشف العلم جد عقيل

ويُعمل جهداً فكره في تفحص　　وكل الذي يفريه جد جميل

---

١ – محمد حسين القادري، حديث النفس، تقديم الدكتور ظهور أحمد أظهر، المجمع العربي الباكستاني، لاهور، ١٩٩٥م، ص: ١٠٩.

يظـل دؤوبـاً سـاعيـاً متحـققـاً ... ولا ينـثني إلا بـأصـل أصيـل
يـغوص بـفكـر في العـناصر باحـث ... فـما يخـرج إلا بـعلـم جـليـل
يقـلب فكـراً في التجـارب جاهـداً ... ولـيس الـذي يـبدعـه بضئيـل[1]

وقال يتغزل وهو في ريعان شبابه سنة ١٩٣٤م/ ١٩٣٥م: (الطويل)

ونـائمـة قـبلتـهـا فتـنبهـت ... وقـد ساءهـا منّي هيـام مـؤجّـج
وظلت صفوحاً ما تكلّـم ساعـة ... وحـمـرة خـديـهـا كنـار توهّـج
وأبـدت دلالاً مـا سمعـت بمثلـه ... مـدى الـعمـر من حب يُـدلّ ويغنـج
وقـالت لـقـد صـلت عـليّ بشـفـرة ... مـؤللـة حـمـراء تلـوي وتعـوج
ولـولا انتبـاهي من منـامي لقـد ذوت ... جـنينـة خـدي التي تتـبلّـج
فقـلت لهـا يـا مـنيـة النـفس إنني ... لـذيـع بنـار من هـواك تأجّـج
فحـاولت تخفيف الجـوى بي لعلـني ... ببـعض رشيـفـات أُراح وأثلـج
معـاذ الإلـه أن أصيبـك بالأذى ... وآتي إليـك بالـذي هـو يحـرج
فجـادت لي الحسنى ولان كلامهـا ... وقد فـاح من أردانهـا المسـك يـأرج
هـو العـيش إلا أنه لمحـة مـضت ... كسهـم من القـوس الصـليبة يخرج[2]

ومن الموضوعات الجديدة التي تميّز بها شعراء المدرسة التجديدية عن شعراء المدرسة التقليدية في باكستان الوصف والغزل والفخر والحماسة والفلسفة.[3]

١- محمد ناظم الندوي، باقة الأزهار، دار التأليف والترجمة، كراتشي، بدون تاريخ، ص: ١٢.

٢- محمد ناظم الندوي، باقة الأزهار، ص: ٤١.

٣- لمزيد من التفصيل راجع حامد أشرف همداني، الشعر العربي في باكستان، رسالة الدكتوراه، ص: ١٩٢-١٩٥.

المبحث الثاني: موضوعات الشعر العربي الباكستاني:

كما أن كاتب النثر يسري بقلمه في مجالات كثيرة، ويقرع كثيراً من الموضوعات ليملأ فراغ الأوراق بشذراته، ويعبر للقارئين عن نتائج تفكيره، كذلك الشاعر عندما يجلس ويفكر في النظم يتخذ بواعث وموضوعات هذه الأشعار؛ إما من واقع اجتماعي يعيش فيه ويتأثر بما تدور فيه من المسائل والقضايا، فيتحدث عنها في صورة الشعر بقصد حلها أو إبرازها وتقديمها إلى أصحاب الحل والعقد، أو من وجدانه وما تظهر فيه من عواطف مختلفة مثل عاطفة الحب أو عاطفة الترحّم أو عاطفة دينية وغيرها.

ففي كلتا الصورتين يجد الناظم أمامه مجالات واسعة وموضوعوات مختلفة يستمد منها مادة لنظمه. ولذا قام النقاد بتقسيم هذه الآفاق الشعرية إلى أغراض مثل المديح والهجاء والرثاء والفخر والحماسة وغيرها. ولكل من هذه الأغراض سمات تتسم بها.

وبالنسبة لشعراء باكستان حدثت نفس هذه الصورة، إذ اختبروا قرائحهم في شتّى المجالات، وقرضوا الشعر لمختلف الأغراض. ومن تلك الأغراض التي رسخت في أذهانهم وظهرت في نظمهم:

المدح (المدح النبوي، مدح الصحابة، مدح العلماء، مدح الأمراء)، والرثاء والوصف (وصف الحبيبة، وصف البستان ولوازمه، ووصف المباني وغيرها)، والنقد (العلمي والاجتماعي والديني) والاتجاه الديني والشعر التعليمي والتغزل والفخر والحماسة والترحيب والتهنئة والاستعطاف والهجاء والمقاومة.[1]

المبحث الثالث: إسهامات الشعراء الباكستانيين في الأدب العربي:

ذهب معظم الباحثين إلى أن الشعر المنتج في باكستان منطبع جله أو كله بطابع تقليدي، وأن الشعراء لم يخرجوا من تقليدية الموضوعات لشعر العهد الجاهلي وصدر الإسلام، وقد لوحظ أنهم لم يحددوا الزمن للشعر المقلّد بالضبط، ونحن نرى هذا التحديد ضرورياً؛ نظراً إلى ظهور حركة تجديدية أحدثت آثاراً كبيرة في الشعر العربي في العصر العباسي، وقد برز فيها من حمل لواء التجديد وأعرض عن سمات الشعر العربي التي كانت لها أصداء لدى الشعراء وهم يكررونها باختلاف الألفاظ أو أسلوب التعبير

١- لمزيد من التفصيل ونماذج هذه الأغراض من الشعر العربي الباكستاني راجع حامد أشرف همداني، الشعر العربي في باكستان: ٥٦٢-٦٠٥.

والأداء الفني، كأمثال بشار و أبي نواس وغيرهما. وتجسّد أبرز التجديد في الخروج على طريقة الشعراء لاستهلال القصائد بالوقوف على أطلال الحضارة الجديدة بدلاً من وصف الناقة وسيرها مع الأحبة وشيوع البحور القصيرة، وقد قال أبو نواس:

تـــركت الربـــع لا أبـــكيـــه والأطــــلال والـــرســـــما

ولا أبـــكي عــــلى لـيـــــلى ولا سُعــــدى ولا ســلــــمى[1]

وكذلك اتخذ شعراء العصر الحديث تجديدات كثيرة، مثل اختيارهم النظم في صورة الملاحم والمسرحيات وغيرها من القوالب الحديثة.

أما شعراء العربية في باكستان فإنهم تسايروا مع التيارات الجديدة الناشئة في العهد العباسي، كما أنهم حاكوا شعراء العهد الجاهلي والإسلامي وقلدوهم، إلا أن هذا التقليد منحصر في ظواهر بعضها شكلية وبعضها فكرية.

أما التقليد حسب الظاهرة الشكلية فيظهر في استخدام متعلقات الشعر العربي الموروث من أسماء الإناث التي هام بها الشعراء وجرى بها التشبيب والنسيب، وأسماء الأماكن التي جاء ذكرها فيه والتعبيرات التي اختص بها الشعراء العرب. وأما التقليد حسب الظاهرة الفكرية فيظهر في الوقوف على أطلال الأحبة والاستيقاف والبكاء والاستبكاء واستطالة الليل والتغزل بصيغة المؤنث وذكر النسائم والحمائم والغمائم وكراهة اللوم والعذل والتطيّر بالغراب.[2]

وثمة فرق كبير بين ما أنتج شعراء باكستان وبين شعر العرب في هذين العهدين، فإن ذلك الشعر محاط بأغراض محدودة مثل النسيب ومدح الحكام والهجاء والمراثي، وقد تتضمن القصائد المنظومة في هذه الأغراض معاني أخرى مثل الحكم أو التعبير النفسي، وقدر كبير منه مليء بالفحش والابتذال والمعاني التافهة، حيث لا يمكن إنشاده في محضر من الشباب، ثم إنه استُخدم ووُظّف لفضح العفيفات ونيل منافع مادية، وهذا على عكس ما جرى للشعر العربي في بلاد باكستان، فأكثره في موضوعات علمية أو دينية، وإنه بعيد عن الفحش والسوء ولم يُرمَ به أناس ولا فُضحت به العفيفات. وهذا الشعر

١- أبو نواس، الديوان، تحقيق أحمد عبدالحميد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤م، ج: ٢، ص: ٣٦.

٢- راجع للتفصيل مقال الباحث بعنوان: مظاهر التقليد في الشعر العربي الباكستاني، ٢٠٠٩م، مجلة الكلية الشرقية، المجلد: ٨٤، العدد: ٤، ص: ٤٩ وما بعدها.

في مدح أحد لا يبالغ ولا يطري ولا يرفع الممدوح حتى يوصله إلى الثريا، بل يهتم في المدائح بإبراز صفات معنوية مثل العلم والخلق، ثم إنه مختلف عن الشعر العربي في العهد الجاهلي بمصادره التي عكف عليها والمناهل التي نبع منها، وهي مصادر دينية أحاطوا بها إحاطة شاملة وأخذوا من معانيها وبثوها في هذا الشعر؛ فجاء مطهّراً مغسولاً بماء الكوثر، بعيداً عن الخرافات والمغامرات التي تجر صاحبها إلى السعير.

أما الصورة الجديدة أو التجديدية فلها وجود في هذا الشعر، وإن كان بعضها ظهر في شعر المولّدين، ولكنه يعتبر جديداً بالنسبة للعهود الجاهلية وصدر الإسلام والأموي، وأبرزها الخروج على الطريقة التقليدية لافتتاح القصائد، فها هو الشيخ ولي الله من شعراء شبه القارة يساير شعراء العهد العباسي في ترك هذه الطريقة، وهم استبدلوا بها وصف الرياض والرياحين ووصف القصور ومظاهر أخرى للحضارة الجديدة، فنرى ما الذي استبدله بالبكاء وبيان الحب شاعر شبه القارة:

فمن شاء فليذكر جمال بثينة ... فمن شاء فليغزل بحب الربائب

سأذكر حبي للحبيب محمد ... إذا وصف العشاق حب الحبائب[1]

وقريباً منه الشاعر الباكستاني الشيخ عبدالمنان الدهلوي وهو يقول محرضاً على حب الخلق، ولاسيما خيرهم وهم الأنبياء:

وذكراك سُعدى كيف يحدث بعده ... خفوق فؤاد واضطراب طبيعة

وهل سمعت أذناك قيساً وحبه ... شديداً لليلى أو جميل بثينة

فذانك برهانان نصحاً وعبرة ... بأن متاع الدهر أهون قيمة

وفي هذه الدنيا سبيل سعادة ... كذلك في الأخرى سلامة فطرة

عليك بحب لا تذرْه فإنه ... ذريعة خير وابتغاء فضيلة[2]

١- عبدالحي اللكهنوي، نزهة الخواطر وبهجة المسامع، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٩٥٤م، الطبعة الأولى، ج: ٦، ص: ٤١٤.

٢- مجلة الرشيد، العدد الخاص بالمديح النبوي، ص: ١٥٧.

ومن مظاهر التجديد الطريقة التي ابتكرها هؤلاء الشعراء لبداية القصائد والتخلص بها، وهي الافتتاح بالحمد والاختتام بالصلاة والسلام على النبي وآله وأصحابه في قصائد مختلفة الأغراض والموضوعات، وقد تأثّروا فيها بصنف شعري فارسي هو الرباعي.

ومن صور التجديد في الشعر العربي الباكستاني التفاؤل بنعاق الغراب على عكس ما جرت فيه عادة العرب وهم يتشاءمون به، وإقبال شعراء باكستان على الرباعي الفارسي واستيعابهم لأوزانه كلها. وقد تقدم معنا بعض الدوبيت للحافظ محمد أفضل فقير. وقد سار هذا المسير الشيخ غلام النصير الجلاسي الشهير ببابا جلاسي باستخدام الدوبيت في شعره العربي، وفيما يلي نورد بعض الأمثلة:

(أ)

أتيتك يا مليكي بالمعاصي	كمثلي ليس في ذا القوم عاصي
رأيت القوم ما فيهم بخير	بذاك الوصف فيهم اختصاصي

(ب)

ولو كنا مشاهيراً بإثم	على باب الكريم لنا القيام
فقال القلب لما طال يأسي	شفيع الآثمين لنا الإمام[1]

ويمكن أن نعد الأبيات التالية للسيد نصير الدين نصير محاولة تجديدية في الشعر العربي الباكستاني، حيث خرج الشاعر من البحور العربية وقرض هذه الأبيات على وزن شعر اللغة البنجابية، إحدى اللغات المحلية في باكستان:

يا مدرك أحوالي	قد تعلم والله ما يخطر ببالي
لا نكذب في ذاك	في لُجة آفات بالعون وجدناك

١ - راجع للمزيد، غلام النصير الجلاسي، التبيان في شهر رمضان، ١٤٢٣هـ، الطبعة الثانية، مطبعة أسد محمود، راولبندي، ص: ٢٩٨-٣٠٠.

الفخر له جازا | من جاء على بابك، قد نال وقد فازا
في العشق كرامات | من أخلصه يبقى، لليأس روعات[1]

ومن محاولات التجديد في الشعر العربي ما نظمه المرزا آصف رسول في بحر الهزج مثمناً سالماً، و إنما يستخدمونها مربعاً سالماً أو مسدساً سالماً:

لنا دين من الرحمان آمنا وصدَّقنا | يزيد العزّ للإنسان آمنا وصدَّقنا
يبين العدل بالميزان آمنّا وصدّقنا | يقيم القسط بالسلطان آمنا وصدقنا
صراط مستقيم بيّن نور على نور | ليمحو ظلمة العدوان آمنا وصدقنا
يميز النور من نار لأبرار وأشرار | يحق الحق بالبرهان آمنا وصدقنا
لإكمال الهدى للناس بالإسلام في الدنيا | أتانا صاحب القرآن آمنا وصدقنا
رسول مصطفى هادٍ نبي مجتبى خاتم | لكل أسوة الإحسان آمنا وصدقنا[2]

ومن صور التجديد في الشعر العربي الباكستاني إجراء تشبيه بزئبق، كما في شعر الدكتور خورشيد رضوي في قصيدته العمودية بعنوان «الجمال المنسي»:

نجمة في الأفق كالزئبق ترنو/ عبر أعصر
عين من في هذه النجمة تحلو/ لست أذكر
نجمة أخرى كمثل القرط في أذن السماء/ تتألق
جيد من، من تحت هذا القرط في رحب الفضاء/ يترقرق
وجبين البدر كالدينار من خلف التلال/ يتطلع
وجه من في الحلم في ستر الخيال/ يتقنع
إنما الليل حبيب حل فينا/ فاتن حلو الشمائل

١- نصير الدين نصير، دين همه اوست، كولره شريف إسلام آباد، مهرية نصيرة كتب خانه، بدون تاريخ، ص: ٢٦، ٢٧.
٢- مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، ١٤٢٦ه/ ٢٠٠٥م، العدد الثاني عشر، ص: ٧ .

في بهاء وجمال قد نسينا / فهو منبت المخايل [١]

إن الشاعر العربي يحنّ إلى صوت الحمامة وهي تسجع، فنرى من مظاهر التجديد تشوّق شعراء باكستان إلى صوت العندليب والقمري بدلاً من الحمامة، كما يقول عبدالرحمن الكاملفوري:

وعن لحن القماری والبلابل   سواجع فوق أزهار الجنان [٢]

ومن صور التجديد ما قاله الأستاذ محمد جميل قلندر:

بسهم هجر هو زماني   بئس مكاني ساء زماني [٣]

فجرى الشعراء العرب عادة على تشبيه العين بالسهم والسيف، فلما أضافه الشاعر إلى الهجر بدت لنا صورة لم نألفها في شعر التراث، وله أيضاً:

غذاء الروح ذكراها سليمى   لُقانا في المطاعم والمقاهي [٤]

وهذا ما يعرف في العصر الحديث عن لقاء الأحبة في هذه المواضع بدلاً من الحمى والربع والبساتين.

ومن التجديد اهتمام بعضهم البالغ وطول بيانهم في وصف أعضاء المحبوبة، ولا توجد هذه السمة الوصفية بتلك التفاصيل في تراث الشعر العربي، ولآزاد من شعراء شبه القارة قصيدة «مرآة الجمال»، يصف فيها أعضاء العشيقة من الرأس إلى القدم، قد وقف لكل عضو بيتين، وله في هذا الوصف صور ابتكرها وتشبيهات هو أبو عذرها، كما قال في ضفيرتيها:

أضفيرتان على بياض خدودها   أو في كتاب الحسن سلسلتان

١- الدكتور أحمد إدريس، الأدب العربي في شبة القارة حتى نهاية القرن العشرين، إسلام آباد،١٩٩٤م، ص: ١٩.

٢- مجلة بينات، المجلد: ٣١، العدد: ٧، رجب ١٣٩٧ه/ يوليو ١٩٧٧م، ص: ٤٠، محمود محمد عبدالله، اللغة العربية في باكستان، ص: ٤٣٨.

٣- محمد جميل قلندر، حلم الفردوس الأبهى، ص: ١٧

٤- محمد جميل قلندر، حلم الفردوس الأبهى، ص: ٢٠.

أو ليلـــتا العيـــدين أقبلـــتا مـعــــاً أو مـــن قصــائدهــم معلـقتـــان[1]

وحذا حذوه نقيب أحمد الديروي من شعراء باكستان فقال:

وخـــدك في الخـــدود نظــير بــدر وقـــدك في القـــدود شـــبيه بـــان

فـــهذا الـــوجـــه أم بـــدر منــــير وهـــذا الـثغـر أم عـــقد الجـــمان[2]

ومن التجديد في الموضوعات بعض شعر محمد جميل قلندر، حيث إنه قرع أبواباً جديدة بشعره، وهو باب الجنة التي وعد بها المتقون، ولما جاء وصفها في المصادر الإسلامية نهض يتخيلها ويظهر حنانه لها ويصفها كما أهداه طائر خياله، ولذا سمَّى ديوانه «حلم الفردوس الأبهى»، ومما قاله في هذا الباب:

مـــدن تبـــاهى بروحـــهـــا ريحـانهـــا كهـــفَ الهـــوى لكنـــه أبهـاهـــا

لا أذن سمـــــعت ولا عـــــين رأت لا خـــاطر خطـــر عليه سُهـــاهـــا[3]

وقد استعمل بعض التراكيب التي لم تكن مألوفة في تراث الشعر العربي، مثل: «كهف الهوى» و«أرض الجمال» و«طير البقاء»، يريد بأرض الجمال الجنة، وبطير البقاء المسلم المتمتع بها.[4]

ومثل «عود القرآن» كما قال:

رحـــلة مـن ظــــلم الأديـــــان على مـوجــات عــود الـقــــرآن[5]

ومن تراكيبه المبتكرة «براكين الأسى» في قوله: طوبى لمن كظم براكين الأسى.[6]

١- محمود محمد عبدالله، اللغة العربية في باكستان، ص: ٦٢.

٢- المرجع نفسه، ص: ٤٥١.

٣- محمد جميل قلندر، حلم الفردوس الأبهى، ص: ٢١.

٤- المرجع نفسه، ص: ٢١.

٥- المرجع نفسه، ص: ٢٨.

٦- المرجع نفسه، ص: ٣٢.

ومنها تشبيه العين بالكشكول: عيني رأت فتكشكلت.[١]

وآخر ما نريد إثباته في مجال التجديد محاولات بعضهم النظم الحر. وهذا التيار قام به من الشعراء الباكستانيين الدكتور خورشيد حسن الرضوي والدكتور محمد جميل قلندر والدكتور الحافظ عبدالرحيم وعبدالعزيز خالد.[٢]

فهذه بعض ملامح الشعر العربي الباكستاني، ولاشك أن ذلك خير دليل على إسهامات قيّمة لشعراء باكستان في الأدب العربي، كما أنه يوحي ببالغ الذوق الأدبي عند شعراء باكستان وتضلّعهم في الأدب العربي القديم و الحديث ومعرفته.

نتائج البحث:

- إن عناية باكستان باللغة العربية نابعة من اقتناع راسخ وعقيدة صافية، لأنها لغة القرآن الكريم ولغة دينهم وثقافتهم وآدابهم ووحدتهم وعقيدتهم.
- يوجد في باكستان عدد كبير من الشعراء الذين تناولوا اللغة العربية لإبداء مشاعرهم وجعلوها مجالاً للتعبير عن أحاسيسهم وعواطفهم.
- إن أصحاب المدرسة التقليدية يغلب على شعرهم الأسلوب العلمي لا الأدبي، ويسود شعرهم التأثر بالقرآن والحديث النبوي وشعر القدامى.
- إن إنتاج شعراء هذه المدرسة ليس بمجرد تقليد وترديد أو هجس سخيف، بل يوجد فيهم عدد غير قليل ممن أنتج شعراً غزيراً حتى نصب له ديوان شعر يستحق الدراسة والاهتمام.
- إن أصحاب المدرسة التجديدية تحرروا من أغلال التقليد للشعر العربي القديم، وخرجوا من إطار الموضوعات الشعرية التقليدية، وطرقوا أبواباً جديدة من الشعر العربي، واتخذوا أساليب جديدة في قرض الشعر.

١- المرجع نفسه، ص: ٣٦.

٢- راجع للتفصيل مقال الباحث بعنوان: مظاهر التجديد في الشعر العربي الباكستاني، ٢٠١٠م، مجلة الكلية الشرقية، جامعة بنجاب، المجلد: ٨٥، العدد: ١، ص: ٨٢-٨٥.

- موضوعات الشعر العربي الباكستاني تدور حول المدح والرثاء والوصف والنقد والاتجاه الديني والشعر التعليمي والتغزل والفخر والحماسة والترحيب والتهنئة والشكوى والاستعطاف والهجاء والمقاومة.
- إن شعراء العربية في باكستان تسايروا مع التيارات الجديدة الناشئة في العهد العباسي، كما أنهم حاكوا شعراء العهد الجاهلي والإسلامي وقلدوهم، إلا أن هذا التقليد منحصر في ظواهر بعضها شكلية وبعضها فكرية.

جوانب مجهولة من حياة
عبدالعزيز الميمني الراجكوتي[1]

الأستاذ الدكتور ظهور أحمد أظهر

أستاذ العربية المتقاعد بقسم اللغة العربية، جامعة بنجاب، لاهور

إن رحلتي الأخيرة إلى الإمارات العربية المتحدة، التي قمت بها في بداية شهر نوفمبر الماضي (١٩٩٩م) واستغرقت أسبوعين تقريباً، قد كانت رحلة مفيدة ومثمرة جداً، فإضافة إلى المحاضرات والكلمات التي ألقيتها بجامعة الشارقة الفتية وكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، واللقاءات المتكررة المتجددة مع الإخوان والأصدقاء، تلك التي تركت ذكريات جميلة عاطرة لن أنساها أبداً وسوف تظل عالقة بذاكرتي مدى الحياة، فقد أتيح لى أن أزور (مركز جمعة الماجد بدبي)، ذلك الصرح الشامخ لثقافة العرب وتراثهم، بفضل نشاطاته المتنوعة ومرافقه العديدة المفيدة. كما أُتيحَ لي أن أتشرف بلقاء الإنسان العربي النبيل والتاجر العملاق والإداري الخبير الفذّ الشيخ جمعة الماجد أبي خالد - حفظه الله ورعاه - الذي سمعت منه، خلال حديثي معه، كلمة لا تزال ترنّ في أذني، وأحب أن يسمعها ويطبقها على نفسه كل عربي ومسلم، لا بل كل إنسان نبيل يريد الخير لنفسه ولأبناء جنسه من بني آدم، هي قوله الذي رد به على سؤال كان قد وُجّه إليه من قبل السفير البريطاني عن المبادئ التي اتبعها والأسرار التي ساعدته على إنشاء الإمبراطورية التجارية العملاقة في الإمارات وتطويرها، فقد رد عليه بقوله:

---

١ - نُشر هذا البحث في مجلة آفاق الثقافة والتراث - العدد ٢٩/ ٣٠.

«وقد التزمت في حياتي بمبدأين هما: الأمانة والعمل الجاد». ومن المعلوم أن ذلك مما ورثه المسلمون من سيرة رسولهم الصادق الأمين محمدﷺ، الذي قال وهو يأمر بذلك أمته: «إذا عمل أحدكم عملاً فليتقنه».[1]

وأما لقائي مع الشاب العربي النبيل الأستاذ الدكتور نجيب عبدالوهاب الأمين العام للمركز، والأستاذ الفاضل الدكتور حاتم صالح الضامن، فقد كان حديثاً ذا شجون وعن شتّى الشؤون، ومنها الحديث عن اللغة العربية وآدابها في شبه القارة، وعن كتبها القيمة النادرة ومؤلفيها الأعلام من تلك البلاد، إضافة إلى كتب التراث الأخرى مخطوطها ومطبوعها، ومظانّ وجودها، فجرى ذكر شيخي وأستاذي الأديب اللغوي العلامة عبدالعزيز الميمني - غفر الله له ورحمه وأجزل مثوبته - وكلنا أبدى إعجابه بما قام به شيخنا وأستاذنا الميمني من خدمات جبارة للغة العربية وآدابها، وفي مجال إحياء التراث العربي الغالي خاصة، فقد حقق الأستاذ الميمني أكثر من ثلاثين كتاباً من أغلى كنوز التراث العربي، منها: «سمط اللآلي شرح النوادر والأمالي» لأبي علي القالي، رحمه الله. وخلال حديثنا عن الميمني جرى ذكر ما اتهمه به بعضهم من البخل والشح، ليس بماله فحسب بل بعلمه وما كان يمتلكه من الكتب. فدافعت عن الميمني وتحدثت لهما عن أشياء لم يكونا يعرفانها، بل كانت لحظات مجهولة وجوانب خافية لم يعرفها إلا من وثق به الميمني من أخص تلاميذه، فاقترح الدكتور حاتم، وألحّ عليّ في الاقتراح، أن أسجّل معلوماتي عنه في مقالة؛ ليعرفها قُرّاء العربية المحبون للميمني المعجبون بما قام به من خدمات جبارة للغة الضاد.

والواقع أنني كنت أنوي أن أعد مقالة مفصلة عن حياة الأستاذ الميمني بمدينة لاهور، حيث قضى بها أياماً طالباً منتسباً بجامعة بنجاب في لاهور، ثم عُيّن فيها أستاذاً مرتين: مرة قبل توظيفه بجامعة عليكره الإسلامية في الهند في سنة ١٩٢٥م، ومرة ثانية بعد التقاعد في أخريات حياته (من ١٩٦٤م إلى ١٩٦٦م)، وهي مدد غير قصيرة، وحافلة بالأحداث والذكريات التي لابد من إبرازها وتسجيلها والإحاطة بها، إلا أنني لم أتمكن من ذلك على الرغم من محاولاتي، وقد حالت دونها الأشغال الإدارية والأعمال الطارئة والأسفار النائية المتكررة، وما دام الموضوع واسع المجال ويحتاج إلى وقت كثير

١- شعب الإيمان للبيهقي، ٤/ ٣٣٤ .

وجهد كبير. نلقي الضوء على بعض اللحظات والجوانب المهمة المجهولة من حياة الأستاذ الميمني، وأتحف بها (آفاق الثقافة والتراث)، مجلة مركز جمعة الماجد.

ولكن لابد، قبل كل شيء، أن نلمّ إلماماً بترجمة الميمني لكي نأخذ عن شخصيته صورة وفكرة، ويسهل علينا فهم ما سيمر بنا من لحظات وجوانب من حياته. فقد وُلد الأستاذ العلامة الشيخ عبدالعزيز ابن الحاج عبدالكريم بن عبدالله في سنة ١٨٨٨م بمدينة (راجكوت) في إقليم (كاتيا وار) على الساحل الغربي للهند، وفي أسرة التجار العريقة، إذ قبيلة ميمن تُعرف بمهنة التجارة في شبه القارة كلها. إلا أن والد الشيخ كان قد نذر ابنه للدراسات العربية والإسلامية؛ فأسلمه إلى الكُتّاب حيث تعلّم القراءة والكتابة، كعادة الأطفال المسلمين من أبناء زمانه في وقته. وأحب الصبي العلم وألِفه مما جعل أباه يشجعه على ذلك ويسمح له بأن يخرج في طلب العلم. فاتجه الميمني قاصداً مدينة دهلي العاصمة الهندية أولاً، ثم العواصم الثقافية الهندية الأخرى التي كان آخرها مدينة لاهور، عاصمة باكستان الثقافية وقلبها الخفاق، حيث نال شهادة (فاضل اللغة العربية) من جامعة بنجاب بلاهور، فكان الأول في الترتيب، وحقق رقماً قياسياً في الامتحان. والجدير بالذكر أن شهادة «فاضل اللغة العربية» هي الشهادة الأولى والأخيرة التي حصل عليها الأستاذ الميمني، ولم يحصل على أي شهادة أخرى غيرها، ولم يدخل أي امتحان غير ذلك الامتحان الوحيد، ومن أشهر أساتذته الشيخ نذير أحمد الدهلوي والشيخ محمد طيب المكي وحسين بن محسن الأنصاري اليماني رحمهم الله.

واختار الميمني مهنة التدريس فعُيّن مدرّساً للغتين العربية والفارسية بكلية بشاور الإسلامية، ثم مدرّساً للغة العربية بالكلية الشرقية لجامعة بنجاب بلاهور، ثم محاضراً فأستاذاً مشاركاً بقسم اللغة العربية لجامعة عليكره الإسلامية في ١٩٢٥م، حتى نال بها وظيفة الأستاذية ورياسة القسم؛ حيث استمر في خدمة العربية وآدابها بالجامعة إلى أن بلغ سنَّ التقاعد، فهاجر إلى باكستان في ١٩٥٣م ليصبح الرئيس المؤسس لقسم اللغة العربية بجامعة كراتشي والمدير المؤسس لمعهد البحوث الإسلامية فيما بعد، وأخيراً عُرضت عليه الأستاذية والرياسة لقسم اللغة العربية بالكلية الشرقية لجامعة بنجاب لاهور في ١٩٦٤م، ثم عاد إلى كراتشي في ١٩٦٦م حيث قضى بها ما تبقَّى من حياته، ووافته المنية في يوم الجمعة السادس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣٩٨ه (٢٧ أكتوبر ١٩٧٨م)، وقد تجاوز التسعين من عمره.

وقد حقق الأستاذ الميمني أكثر من ثلاثين كتاباً من التراث العربي، كما ذكرنا، منها «سمط اللآلي»، وكان عضواً مراسلاً بمجمعي دمشق والقاهرة، وله رحلات ثلاث إلى البلاد العربية والإسلامية زار خلالها عدداً من العواصم الثقافية واطلع على خزائن كتبها واتصل برجالها الكثيرين، وكان صديقاً حميماً للأستاذ العلامة أحمد تيمور باشا والأستاذ محب الدين الخطيب والشيخ أحمد شاكر رحمهم الله، وقد ذكره الأستاذ الدكتور شاكر الفحام قائلاً بأن الأستاذ عبدالعزيز الميمني الراجكوتي- رحمه الله وأغدق عليه صوب رضوانه - من أفذاذ العلماء الأعلام في التمكّن من العربية وآدابها وعلومها؛ أحبها حباً ملك عليه نفسه وتغلل في السواد من قلبه، ونبغ فيها نبوغ عابد متألهٍ قد تبتل في محاريبها وأراح في جنباتها، فتعرّف بيانها وتذوّق سحرها وإعجازها ووقف على أسرارها ودقائقها وأحاط خبراً بأدبائها وشعرائها وعلمائها ورجالها، وقضى حياته يدرس تراثها العظيم ويدرّسه ويسعى لتحقيقه ونشره السعي الحثيث، ويرشد من يتوسّم فيه الخير إلى نفائسه وذخائره، ويذود عن حماه بالكلمة الصادقة الخالصة تخرصات ذوي الأهواء والأغراض، دائب العمل فيما نصب نفسه له، يبذل أقصى ما في وسعه، ويوالى نضجه، لا يني ولا يفتر، وبلغ به حب العربية والهيام بها أنه كان يحس نفسه غريباً بين أهله، إذ قال: والله المسؤول أن يجعل سعيي مشكوراً بين أدباء البلاد العربية، فهم غرضي من إنشائها في العربية، أنا بين أهلي ووطني كأجنبي عنهم.

وأما صلتي بالأستاذ عبدالعزيز الميمني رحمه الله فإنها ترجع، فيما أتذكره، إلى الخمسينات الميلادية، وذلك في سنة ١٩٥٦م حين انتهيت أو كدت أنتهي من دراستي الثانوية وأنقطع إلى دراسة اللغة العربية وإتقانها وأطلع على الوسائل المعينة المتوافرة لها. فبدأت أبحث عن طرق فعالة مؤدية إلى ذلك من الإذاعات العربية والكتب المفيدة، فصادفت كتاباً صغيراً عند بعض باعة الكتب العربية في بلدي هو كتاب (لغات جديدة)[١] للشيخ الشريف سليمان الندوي،[٢] رحمه الله من كبار علماء ندوة العلماء في الهند. والكتاب يضمُّ قدراً كبيراً من المفردات والتراكيب اللغوية الجديدة باللغة العربية التي كانت متداولة بين الأدباء والشعراء والكُتّاب والصحفيين العرب المعاصرين في ذلك الوقت، إضافة إلى مقالة مفيدة باللغة الأردية بقلم

١- قد ظهرت طبعة الكتاب الأولى في مدينة أعظم كره الهند سنة ١٩١٢م، والثانية في ١٩٢٨م، وهي التي عثرت عليها واستفدت منها.

٢- المتوفى ١٣٨٣هـ (١٩٥٦م) من أبرز الندويين الأفاضل وأخص تلاميذ الشيخ شبلي وأشهرهم.

الأستاذ الجليل الشيخ مسعود عالم الندوي ﷺ جاءت مقدمة أو تمهيداً للكتاب، عنوانها: مفردات اللغة العربية وتراكيبها المعاصرة، وقد تناول فيها الكاتب تطوّر اللغة العربية ومكانتها بين لغات العالم ووضعها الراهن في العالم العربي آنذاك، إضافة إلى تعريف بعض الكُتّاب والأدباء المعاصرين، فقسَّمهم إلى ثلاث طبقات تبعاً لثقافتهم الأصلية ومكانتهم الأدبية، فعدّ الأستاذ الميمني من الطبقة الثانية للكتاب العرب، على الرغم من كونه أعجمياً غير عربي، فقال: ومن الجائز أن نعدّ من هذه الطبقة الثانية لكُتّاب العرب الشيخ عبدالعزيز الميمني من علماء العربية وأساتيذها في بلدنا، فعلى الرغم من أنه من أصل أعجمي غير عربي، إلّا أنه، بحكم كونه لغوياً كبيراً وأديباً بارزاً وعالماً متبحّراً، يحتل مكانة عالية بين كُتّاب العربية وأدبائها، ويمتاز بينهم بأسلوبه اللغوي والأدبي.[١]

فقد كانت هذه هي الوهلة الأولى التي عرفت فيها الأستاذ الميمني، وأعجبتني مكانته المرموقة بين فطاحل العروبة وبلغائها من أمثال الأستاذ أحمد الإسكندري والأستاذ محب الدين الخطيب والأستاذ أحمد حسن الزيات، ﷺ، ولم أكن أتوقّع، في تلك الآونة، أنني سوف أراه يوما فضلًا عن التتلمذ عليه أو الاستفادة منه، وربما ذهب بي الظنّ إلى أن الرجل قد توفاه الله إلى رحمته.

ثم مرت الأيام وتقادم بي العهد وتدرجت في مراحل التعليم المختلفة، كلها بالانتساب، مركزاً على اللغة العربية، ونسيت أو قل تناسيت الميمني والكتاب الذي عرَّفني به، حتى إنني أنهيت دراساتي الجامعية وحصلتُ على شهادة الماجستير وعُيِّنت محاضراً للغة العربية في جامعة البنجاب بقسمها العربي في غضون ١٩٦٣م.

وفي سنة ١٩٦٤م كان الدكتور سيد عبدالله عميد كلية الدراسات الشرقية آنذاك يحتل أيضاً منصب رئيس القسم العربي، وهو من تلاميذ الأستاذ الميمني البارزين الأفاضل، وله أثر فعَّال وخدمات جبارة في مجال التربية والتعليم للبلد. وأراد الدكتور سيد أن يقوم بدوره للنهوض باللغة العربية لغة القرآن الكريم ولغة الحديث النبوي والمعارف الإسلامية ولغة الشعب العربي الشقيق في باكستان، التي أُنشئت من أجل الإسلام وباسم الإسلام، فاعتزم عقد مؤتمر اللغة العربية على المستوى الدولي تحت إشراف القسم العربي بالتعاون مع الحكومة والشعب الباكستاني. ووجَّه الدعوة إلى

١- راجع مقدمة أردية لكتاب لغات جديدة: ١٢.

السفارات العربية بكراتشي راجياً منها أن ترفع القضية إلى حكوماتها أو ترشّح من يمثل بلادها في المؤتمر، كما وجّه الدعوة إلى أعيان الدولة وعلماء العربية في باكستان؛ وكان اسم الأستاذ عبدالعزيز الميمني على رأس قائمة المدعوّين فلا تسأل عن فرحتي وسروري بهذا النبأ المفاجئ المدهش! أهذا هو الميمني نفسه الذي عاش في أحلامي منذ قرأت عنه في مقدمة ذلك الكتاب قبل عشر سنوات تقريباً، فأعجبت به وظننت أنه قد أصبح من الماضين الغابرين؟ هل سأراه على أرض لاهور بعيني رأسي؟ هل سأرى إمام العربية في شبه القارة وألتقيه وأتحدث إليه؟ ذلك الرجل العظيم الذي أُعجبتُ به وأحببته قبل أن أراه أو ألتقيه وأتحدث إليه!

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلباً خالياً فتمكّنا

ولقد كانت هذه مفاجأة غريبة مدهشة بالنسبة إليّ، وذلك لأنني لم أعرف شيئاً عن المراحل التي مرَّ بها الأستاذ الميمني خِلال السنوات العشر من إحالته إلى المعاش وهجرته من الهند إلى باكستان وتعيينه أستاذاً ورئيساً للقسم العربي بجامعة كراتشي، أو مديراً مؤسساً لمعهد البحوث الإسلامية بمدينة كراتشي التي تبعد أكثر من ألف ميل من مدينة لاهور، وكانت وسائل الإعلام في العالم الإسلامي - ولا تزال - تضنّ بصفحاتها على العلم والعلماء، فيا للفضيحة!

على كل حال، لم أعرف شيئاً عن الميمني وعن وجوده في باكستان، إذ كنت حديث العهد بالجامعة غريباً عن مصلحة التربية والتعليم وعن رجالها الأفاضل، وقد أكون مقصِّراً في ذلك، ولكنني صادق فيما أقول.

وقد كنت أحدَ أعضاء لجنة الاستقبال للمؤتمر، وكان من مهمتها أن تستقبل الضيوف الكرام والمندوبين الأفاضل المتوافدين من خارج لاهور بالقطار أو بالطائرة للمشاركة في مؤتمر اللغة العربية الدولي، وانقسمت اللجنة إلى قسمين: أحدهما لاستقبال القادمين بالقطار والثاني لاستقبال من يأتي بالطائرة، ولم يُسعفني حظِّي لأن أكون في اللجنة التي سوف تستقبل الأستاذ الميمني، وأردت أن أغيِّر عضويتي إلا أنني امتنعت عن ذلك ورضيت بما قدِّر لي من المهمة، علماً بأن الأستاذ الميمني سيبقى في لاهور أكثرَ من أسبوع ومن ثم ستتاح لي فرصة لقائه غير مرة، وفوق ذلك كلّه، فإنه لا يعرفني ولا أعرفه، إذًا لا فائدة من تغيير العضوية، وغاية ما في الأمر أنني سأُحرم من استقبال الأستاذ في المطار،

ولن يحول بيني وبينه من الوقت إلا لحظات قصيرة قليلة تمضي وتمرُّ بين المطار والحرم الجامعي، فذلك ما منعني عن فكرة التغيير والتحوُّل من قسم إلى آخر للجنة الاستقبال، وقنعت بما قدَّر الله لي وأخذت أنتظر اللحظات التي سوف تقرِّبني من الميمني وتتيح لي فرصة النظر إليه والتقائه والحديث إليه.

وها هي ذي اللحظة قد حانت أو كادت تحين، ولحظات الانتظار قد انقضت أو كادت تنقضي، فقد أُبلغنا أن الأستاذ عبدالعزيز الميمني وصل إلى لاهور، وقد تحركت به السيارة من المطار، وأنه في طريقه إلى الكلية الشرقية، ونحن وقوف على بابها الغربي ننتظر الضيف الكريم، فإذا هو ينزل من السيارة! رجل عجوز، طويل القامة، قصير اللحية أبيضها، قد بلغ الثمانين أو كاد، وقد ارتدى الزيَّ الوطني الباكستاني من القميص والسروال وعلى رأسه قلنسوة جناح (وهي قلنسوة رسمية لكل مواطن في باكستان، قد عُرفت باسم محمد علي جناح القائد المؤسس لباكستان وحاكمها العام الأول)، وفي يدِه عكاز العجائز، وإذا عميد الكلية وتلميذ الميمني البارز يستبق نحوَه ليستقبله فيرحِّب به ويعانقه ويصافحه، ثم يبدأ المشوار التقليدي من الترحيب والمعانقة والمصافحة معاً، أو المصافحة فقط. وكان حظي المصافحة فقط دون أن يعرفني به أحد أو أعرفه أنا نفسي، وأول كلمة سمعتها من الميمني وهو يردُّ على سائل سأله، وقد رأى في يده العصا أو العكاز، قائلاً: قد اتخذت العصا يا أستاذ؟ فقال الميمني: نعم، العصا لمن عصى. ويعني بذلك أنه لم يتخذ العصا لأنه عجوز ويحتاج إليها، وإنما هي علاج العصاة والمتمردين! ثم دخل الجمع المحتشد على الباب إلى الكلية ثم إلى قاعة الأساتذة حيث جرى الحديث التقليدي من أسئلة عادية وأجوبة عنها، تداولها الضيف والمستضيفون بينهم من الحديث عن وعثاء السفر وما واجهه المسافر من مشقة وعناء وتعب، ومن قلق الانتظار وشدته التي مر بها المستضيفون المستقبلون، إلى حديث عن طقس كراتشي ومناخ لاهور، ثم كان دور الشاي والقهوة، ثم تفرّق الجمع وخلوا الضيف يتحول إلى سكنه ليستريح.

و أُتيح لي في اليوم التالي أن أستمع أوَّل مرة إلى الأستاذ الميمني وهو يتحدث في معرض المخطوطات العربية النادرة والمطبوعات القيّمة التي تحتفظ بها جامعة بنجاب المركزية، إضافة إلى ما تقدم به بعض المواطنين أصحاب المكتبات من المخطوطات والمطبوعات العربية النادرة عندهم ليشاركوا بها في هذا المعرض الذي أقيم بمناسبة المؤتمر، وألقى الأستاذ المشرف على المعرض كلمته، وحاول فيها جاهداً أن يعرّف بالكتاب العربي:

مخطوطه ومطبوعه، تاريخه وتطوره، ورقه ومداده، ولكنه لم يُوفّق فيما أراد ولم يعجب الناس كلامُه ولم يرض حاجتهم ولم يشفِ غليلهم، مما أثار حفيظة الأستاذ الميمني، وهو الخبير الثقة وفارس الحلبة وصاحب الاطلاع الواسع على المخطوطات العربية ومظانّها في أنحاء العالم. وهو الذي عرف منها ما لم يعرفه أحد غيره في عصره. فإذا به ينهض من مكانه آلياً وتلقائياً دون أن يُدعى إلى منصة المعرض، وكان من حقه أن يُدعى إليها، فصعدها ووقف أمام الجمع فرفع عقيرته في شيء من المرارة والشكوى، وسمعته يقول ويصول بادئاً حديثه بقول الله عز وجل: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[1] ثم جاء بالعجائب من المعلومات القيمة المرضية عن الخط والخطاطين والمحفوظات، وعن التأليف والمؤلفين والمؤلفات، وعن الورق والوراقين والمكتبات، مما لم يخطر ببال أحد منا، وأُعجب القوم بالخطيب وبما جاء به من المعلومات القيمة النادرة، واستمعوا إليه صامتين ساكتين كأنّ على رؤوسهم الطير! فهذه كانت هي القطرة الأولى من بحر الميمني العلمي، أفاض بها علينا فأفادنا، ومتعنا وأرضانا جميعاً.

وقد استمر المؤتمر ثلاثة أيام متتالية، وكان نصيب الأسد من إجراءاته للأستاذ الميمني، فقد ترأّس عدداً من جلساته، كما ألقى العديد من الكلمات بهذه المناسبات كلها باللغة الأردية، وكنت حريصاً على أن أستمع إليه وهو يتحدث بالعربية أو يلقي بها كلمة من كلماته العديدة المتكررة، ولكنني لم أسمع منه شيئاً بالعربية غير الآية القرآنية التي تلاها في المعرض، أو الجملة التي نطق بها في الوهلة الأولى وهو ينزل من مركبه عند وصوله إلى حرم الكلية الشرقية.

وعندما حانت نهاية المؤتمر وكاد الجمع يتفرّق ليعودوا إلى أهليهم وديارهم سمعنا خبراً غريباً لم يخطر ببال أحد قط، أو قل إنه لم يخطر ببالي أنا قط! سمعنا الخبر الغريب فأدهشنا وسرنا في الوقت نفسه، ذلكم الخبر أن الأستاذ عبدالعزيز الميمني سيسافر إلى كراتشي لكي يعود إلى لاهور بعد أيام قليلة، وسيقضي بها مدة من عمره، ما شاء الله له أن يقضيها، أستاذاً للغة العربية ورئيساً لقسمها بالكلية الشرقية، كما قضى بها عدداً من السنوات قبل أن يبلغ الأربعين من عمره محاضراً للغة العربية بالكلية الشرقية نفسها، حيث ألف كتابه الخالد عن أبي العلاء المعري، بعد أن اطلع على كتب الدكتور طه حسين

١- سورة فاطر: ١٤.

الأربعة عن المعري، وعلى ما كتبه عنه أستاذه ومرشده المستشرق البريطاني اليهودي (مرجليوث). نعم، قد بلغنا هذا الخبر وسمعنا به وشكرنا رئيس جامعة بنجاب آنذاك الأستاذ حميد أحمد خان (ت/ ١٩٧٤م) على ما اتخذ من قرار تاريخي، فعرض على الميمني، وكان الأستاذ حميد كثير الإعجاب بالأستاذ الميمني، فأحب أن يبقى مدة بالجامعة لكي يشرِّفها ويفيد طلاب العربية بها.

هزت هذه الصاعقة النازلة أوساط الكلية الشرقية، وأوساط قسمها العربي خاصة، كما أثارت ضجة في أوساط لاهور العلمية والأدبية، وأقامت الكثيرين وأقعدتهم. فأما الرجل الذي كان يتطلع إلى وظيفة الأستاذية والرياسة وكان يعدها حقه الموروث دون منازع، فقد أصيب بشيء من المرارة والغضب يشبه الجنون، بل كاد يموت غيظاً وكمداً؛ فذهب إلى منزله ولم يخرج منه ولم يحضر إلى الكلية أياماً، يعلم الله عدتها، وعندما حضر أخذ يهذي ويسب المسؤولين الذين سدّوا عليه طريق الترقية في زعمه، وقد استمرت حاله هذه طوال المدة التي قضاها الميمني بالقسم أستاذاً للغة العربية ورئيساً لقسمها بالكلية.

من الغريب المؤسف جداً أن تلميذ الميمني الخاص الدكتور سيد عبدالله غضب هو الآخر لما حدث، لا لأنه لم يكن يحب أستاذه ولم يعجبه تعيينه في القسم، وإنما غضب الدكتور سيد واستاء استياءً شديداً لأن رئيس الجامعة، على الرغم من الصداقة بينهما، لم يستشره في الأمر ولم يخبره به قبل أن يتخذ القرار بذلك، فإذا هو يعلن استقالته من عمادة الكلية ويغادرها لكي لا يعود إليها أبدا، وأغرب من ذلك أن السيد رئيس الجامعة قد قبل استقالته شاكراً له وانتهى الأمر.

وعاد الأستاذ الميمني من كراتشي بعد يوم أو يومين يرافقه أهله ومعه ما يحتاج إليه من الكتب وما يلزمه من الأثاث، فانضم إلى الجامعة أستاذاً ورئيساً للقسم العربي، وبدأنا نبحث له عن السكن المستأجر المناسب قريباً من الجامعة وعلى نفقتها، وهكذا دارت الأيام دورتها وأعاد التاريخ نفسه، فقد احتل الأستاذ الميمني منصب الأستاذ والرئيس لقسم كان قد استقال من وظيفة المحاضر به قبل أربعين عاماً؛ لأنه لم يجد فيه جواً ملائماً، ولم يرَ له مستقبلاً مأموناً، لأن رئيس القسم في وقته كان يكرهه ويعاديه دون مسوغ إذ لا ذنب للميمني غير أن الله سبحانه وتعالى قد وهبه ذكاء فائقاً وذاكرة نادرة، وامتاز على زملائه جميعاً بالكفاءة والبراعة والقدرة على الحديث بالعربية والكتابة بها. ولاقى الميمني في لاهور مرتين ما يلاقيه الأذكياء الأكفاء من الهوان والنكران على أيدي أبناء الزمان.

و قد سرني هذا الوضع، وأحزنني ما حدث في الوقت نفسه، قد سُررت لأن رجلاً فاضلاً، بل علم من أعلام العربية وإمام من أئمتها في شبه القارة، قد أصبح رئيساً للقسم الذي كنت به محاضراً، وأُتيحت لي الفرصة لأن أكون زميلاً للأستاذ عبدالعزيز الميمني، وقد تُتاح لي فرصة الإفادة منه، ومن يدري؟ لعلي قد أكون تلميذاً من تلاميذه. وقد أحزنني هذا الوضع المؤلم أيضاً، لأنني رأيت أن الخلافات بين رئيس الجامعة والدكتور سيد قد اشتدت من ناحية، ومن ناحية أخرى نغّصت العلاقات المتوترة بين الميمني وتلميذه الدكتور سيد سرورنا و أفسدت علينا الجوّ، وفوق ذلك كله، كنت أراني في مأزق خطير ومحنة متأزمة، وذلك لأن صلتي بهؤلاء الرجال الثلاثة قد كانت قوية جداً، وكنت أحبهم جميعاً حب المدين الممنون، ومن المعجبين بهم جميعاً. فقد كان السيد رئيس الجامعة الأستاذ (حميد أحمد خان)، رحمه الله، يحبني ويكرمنى كثيراً، وكان معجباً بعربيتي وقدرتي على الحديث والكتابة بها، وكنت أقوم بدور المترجم بينه وبين من يزوره أو يزور الجامعة من الشخصيات العربية بين حين وآخر، كما كان يثق بي، فيطلب إليّ أن أترجم له الرسائل الرسمية أو الخاصة التي كانت تأتيه من البلاد العربية، وكان يكلّفني بإعداد الأجوبة عنها بالعربية، وكذلك الدكتور سيد عبدالله، رحمه الله، قد كان، على الرغم من حداثة سني وقلة بضاعتي ونقص علمي، يحبني كثيراً، ويثق بي ثقة تامة، فيكلفني بأعمال جسام من مساعدته في الشؤون الإدراية، أو إعداد البحوث والمقالات لمجلة الكلية، وأما الأستاذ الميمني، رحمه الله، فلا حاجة بي إلى المزيد من الكلام على صلتي به. ولم يعجبني وضع التوتر القائم بينهم، فقررت في نفسي وفي قرارة ضميري أن أستغل حداثة سني وأحاول جاهداً تحسين العلاقات بين الرجال الثلاثة، لكي تعود المياه إلى مجاريها، وقد فعلت ووُفّقت في مسعاي بعض التوفيق بإذن الله.

في هذه الظروف الحرجة والجو المتوتر تسلّم الأستاذ الميمني الطاعن في السن رياسة القسم العربيِ، ولاحظت أن بعض أساتذة القسم العربي لم يعجبهم قدومه وفضلوا الابتعاد عنه، وتخلّفوا عن مجالسه التي كانت تتفجر نواحيها بالمعلومات القيمة المفيدة والمعارف الواسعة الجمّة عن اللغة العربية وآدابها عبر العصور وعن كتبها المخطوطة والمطبوعة في مكتبات العالم، ولم يكن غرضه سوى الإفادة ولم يكن ليهمه شيء غير النهوض بلغة الضاد والترغيب فيها والدعوة إلى الاهتمام بها، وكنت قد أشرت على الأستاذ الميمني أن يحاول تحسين الأوضاع في القسم وينشر ألوية التحابّ في أجوائه،

وأن يقرب منه المبتعدين عنه، وأما أنا شخصياً فبطبيعة الحال لم أتردد في التعاون الشامل معه، وقررت الانضمام إلى صفه ولم أتخلف عن مجالسه الأدبية، ولازمته في غدواته وروحاته والتزمت خدمته ومؤازرته بكل ما كان في وسعي ومقدرتي.

وكنت قد عرفت عن الميمني قبل ذلك[1] أنه صعب المنال جداً، ولا يحب التدخل والخلل في حياته العلمية، ولا يرحب في حلقاته بكل من هبّ ودبّ، ولا ينظر إلى كل طالب يلتحق بالقسم الدراسي رسمياً أنه تلميذ له، بل يراقب الطلاب ويغربلهم فيصطفي منهم من يستحق اهتمامه وعنايته، ولم أكن أراني أهلاً لذلك، إلا أن حسن الحظ ساعدني فيه، فاكتسبت ثقته، وقلّما تخلفت عن مجالس الميمني العلمية التي كان يتحدث فيها عن الموضوعات الأدبية، وكان يأتى فيها بالعجائب والنوادر من المعلومات والمعارف، ويكثر من إنشاد الشعر العربي عن ظهر قلب، ويسرد الأمثال والأقوال ويحكي الأحوال والأخبار لأدباء العربية وأئمتها ومؤلفاتهم ومظانّها في مكتبات العالم، إضافة إلى ما كنت أفيده منه في أثناء مرافقتي له وهو يخرج من مكتبته متجهاً نحو موقف الحافلة العامة، ليركبها ويعود إلى سكنه، وكان الميمني خلال هذه اللحظات العابرة الغالية لا ينفك يحكي لنا ويفيض علينا مما كان يحفظه من كنوز العلم الغزير ونفائس الأدب الجمّ الكثير.

وللأستاذ الميمني نُكَت وطرائف أنتجتها أسفاره اليومية بالحافلة العامة، وكنّا نطلق عليها عنوان «الطرائف الميمنية الحافلية» إذا صحَّ التعبير، فمنها أن الأستاذ، رحمه الله، كان مقتصداً، لم يكن يحب الإسراف فيفضل السفر بالحافلات العامة كلما خرج من المنزل أو المكتب، وأما سيارات الأجرة فكان يرى السفر بها من التبذير والإسراف، وكان يعد ذلك من تدلّل المترفين ولعبهم، وكانت حافلات لاهور العامة آنذاك ذات طابقين، فكان الميمني يفضّل دائماً أن يصعد الطابق الأعلى، ولم يكن يجلس في الطابق الأول إلا نادراً.

خرج يوماً مع حرمه المصون (وكانت سيدة كريمة رؤوفاً في غاية الكرم والرحمة والرأفة، ولم تكن تخرج إلا نادراً؛ إذ كانت في السبعين أو ما يزيد من عمرها، وكانت تشفق عليّ كثيراً وترحِّب بي دائما كأحد أبنائها كلما زرت الأسرة في بيتها)، فأرادا يوماً أن يركبا الحافلة ذات الطابقين، وألحَّ عليها الأستاذ أن ترافقه فيصعدا إلى الطابق الأعلى،

١- راجع مقال الدكتور يوسف بعنوان «الميمني كما عرفته»، في مجلة المجمع العلمي الهندي، يونيو ١٩٨٥م.

ولكنها رفضت وأصرَّت على أن تجلس في الطابق الأسفل. فقال لها مغاضباً وهو يجلس بجانبها: «أنت لا تحبين الهواء الطلق والمشاهد المتنوعة الرائعة على جانبي الطريق أيتها المرأة. فيا للخسارة!».

وخرج من مكتبه يوما فركب الحافلة وجلس في طابقها الأعلى، وكان متعباً جداً، وعندما وصلت به الحافلة إلى أقرب موقف من منزله أراد أن ينزل منها، وكان أحد النشالين يرقبه وينتظر الفرصة؛ فأدخل النشَّال يده في جيب الميمني ليسرقه، لكنه لم يمهله أن يأخذ شيئاً منه، وإنما قبض على ساعده وأخذه أخذ عزيز مقتدر، ولم يخل سبيله حتى أوصله إلى مركز الشرطة، على الرغم من أن النشال كان شاباً يافعاً، وكان يبكي و يصرخ ويرجو ويلحُّ في البكاء والصراخ والرجاء.

ومن نكته (غير الحافلية) أنني زرته يوماً في منزله فوجدته يدخن النارجيلة، وعلى وجهه شيء من الكآبة والغضب، فسلَّمت عليه كالمعتاد فرد علي رداً عادياً ثم قال: «انظر إلى أمّك هذه، قد تضايقت بها كثيراً، فهي لا تزال تبكي وتنتحب من مساء الأمس، وعبثاً حاولت أن أهدئ من روعها وأن أقنعها ولكنها لا تحفل بما أقول».

فقلت له: «لعلك قد زجرتها أو أسأتَ إليها يا سيدي!». فقال: «لم أفعل شيئاً من ذلك». فقلت وأنا ألتفت إلى أمنا الرؤوم: «ما لك يا أمّ! ماذا حدث بك؟». فقالت وهي تبكي وتنتحب: «قد جاءنا الخبر من أمريكا يا بني يقول: إن ابننا عمر، وهو أصغر أبنائي، قد تزوج من فتاة يابانية، وكنا نتمنّى أن نزوِّجه من فتاة من فتياتنا في باكستان، وأن يكون زواجه يوماً مشهوداً، وأن تغمرنا الأفراح من كل جانب. إلا أن هذه الأماني والآمال كلَّها قد بطلت وتحولت إلى حسرات لاذعة.. و... و..».

قطع عليها الأستاذ قائلاً: «انظر إلى هذه المرأة الخرقاء! أهذه مناسبة الحزن ولحظة البكاء أم فرصة الفرح والشكر؟ الشاب قد تزوج من فتاة، أحبها وأحبته، دون أن يكلّفنا فَلساً واحداً؛ وكفى!».

وشهدتُ مجلسه العلمي الذي كان يضمُّ عدداً من الأساتذة الأفاضل وكان يحكي لهم ما تعوّد أن يحكي من النوادر، أو ينشد من الأبيات الشعرية لمن حضر عنده. فحكى لهم قصة من القصص الأدبية الطريفة تتخلها أبيات شعرية، وكنت قد سمعت منه هذه القصة مع أبياتها النادرة، وبالمصادفة ومن حسن الحظ أنني كنت قد حفظت بعضاً منها، وهي التي غابت عن ذاكرة الأستاذ، فاستغلق عليه الكلام، ففتحت عليه هامساً في أذنه

دون أن ينتبه إليه أو يشعر به أحد غيري، وسألني بعد أن تفرّق الجمع وخلا لنا الجوّ قائلاً: «كيف عرفت هذه القصة ومتى حفظت أبياتها؟». فقلت له: «يا سيدي ما عرفت شيئاً، وإنما سمعتها من حضرتك في اليوم الفلاني وفي مكان كذا وكذا». فتذكّر فصدقني وأعجبه ما رآه مني، وكان ذلك الانطباع الطيب الأول الذي أخذه الأستاذ عني، ومنذ تلك اللحظة بدأ يظن بي خيراً، وكانت نهاية كلامه: «ذاكرتك قوية». وقلت في نفسي: «ليست الذاكرة يا سيدي وإنما هو فضل الله وحظي السعيد الذي ساعدني، والله على ما يشاء قدير».

ثم مضت أشهر عديدة وأنا والميمني على ذلك النهج الروتيني والمنوال المعمول به، نغدو ونروح، نجتمع ونتفرق، نخرج ونتماشى ونتبادل الحديث العادي حول القسم و إدارته، حتى جاءت لحظة حاسمة من صلاتنا وعلاقاتنا تغيّر بها الوضع، وذلك أن حاكم غرب باكستان، الذي كان يتبوّأ مقام رئيس كل جامعة في الإقليم بحكم منصبه – ولا يزال – أبلغ نائب رئيس الجامعة (وهو الأستاذ حميد الذي مرّ بنا ذكره) أن شخصية عربية بارزة سوف تخطب جمعاً شعبياً عاماً في لاهور، وسوف تلقي كلمتها باللغة العربية، وأنه على الجامعة أن تكلّف أستاذاً من أساتذة القسم العربي ليقوم بترجمة فورية للكلمة، وحبَّذا لو قام بذلك الدور الأستاذ عبدالعزيز الميمني رئيس القسم، وذلك مما أقلق الأستاذ، لأنَّه، على الرغم من غزارة علمه وإتقانه للغة الضاد، لم يكن يرضى بأن يقوم بمثل هذه الأعمال التافهة. فإذا هو يسألني إذا كنت قادراً على ذلك، فأجبته بقولي: «يا سيدي سبق أن قمت بمثل هذه التوافه في شتى المناسبات، فإذا أحببت حضرتك أن تأمرني بذلك، فلا مانع لديّ». فسُرّ الأستاذ جداً وأبلغ السلطات أن المحاضر الفلاني من القسم سوف يقوم بهذه المهمة.

وأما الشخصية العربية، فقد كانت الشيخ أحمد إسماعيل كفتارو مفتي سورية الأكبر، الذي كان قد أدلى بتصريح صحفي أيَّد فيه موقف باكستان في حرب ١٩٦٥م التي قامت بين باكستان والهند، وأفتى بأنها جهاد إسلامي حقاً وأن على المسلمين أن يشاركوا فيها ويساعدوا باكستان في موقفها الحق العادل، مما جعل حكومة باكستان تمنحه وِسام «هلال باكستان» وهو أكبر وسام باكستاني، تقديراً لموقفه الأخوي النبيل. وعندما جاء سعادة المفتي ليتسلّم الوسام، قرر أهل لاهور عقد جلسة شعبية بهذه المناسبة ليخاطبها حضرة المفتي، فألقى هو كلمته، وقمت أنا بالترجمة الفورية التي كانت ناجحة للغاية،

وذلك مما سرَّ الميمني وأعجبه جداً، وكان جالساً أمامي - كما اتفقنا عليه ليفتح عليّ إذا ما نسيت أو استعصى عليّ شيء من الكلام - وعندما انتهت الجلسة بادرني الأستاذ باسماً متهللاً فعانقني وضمَّني إلى صدره، فشعرت كأنني انغمست في بحر من العلم والحنان معاً. ثم قال، ولا تزال كلماته ترنُّ في أذني وتذوب حلاوة في مسامعي: «قد عرفتك اليوم، قواك الله، وأشكرك على هذا الإنقاذ والإنجاز، وقد كنت أذناً مصغية إليك وإلى حضرة الخطيب؛ الذي كلَّما انتهى من دوره وجاءت نوبتك للترجمة خشيت عليك ودعوت لك من أعماق قلبي، ليوفقك الله ويعينك، وكنت أتنفس الصعداء كلما انتهيت من الترجمة. إنني أفتخر بك، ويعتز بك القسم، فقد زدت من شرفه ورفعت من مكانته، أبقاك الله، وجعلك ذخراً للشعب والوطن».

فمنذ هذه اللحظة الحاسمة وبهذه المصادفة الطيبة نلتُ اهتمام الميمني وأحرزت ثقته، وهي التي أثرت في نفسه كثيراً، إضافة إلى أني كنت أمد له يد العون في الأعمال الإدارية أو ما يحتاج إليه في غدواته وروحاته، وبذلك رفع ما كان قد تبقّى بيني وبينه من الحجاب والكلفة، وحلت محلها الألفة، فجعل يحنو عليّ ويشفق، وكان، كلما زرته في مكتبه أو منزله، يهشّ لي ويتهلل وجهه ويرحِّب بي بكلمات حارة رنانة، وإذا به يوماً يقول لي: «لم لا تختار موضوعاً للدكتوراه وتسجل تحت إشرافي؟». فقلت له، وقد تدفّق قلبي فرحاً وسروراً، وشعرت كأنني أرى أحلامي وقد تحققت: «يا سيد هذا هو كل ما أتمناه في حياتي، وهي بغيتي منذ أمد بعيد، وسأكون أسعد الناس إذا أُتيح لي ذلك»، فأعطاني الأستاذ صورة من مخطوط نادر كان قد عثر عليه خلال تطوافه في مكتبات تركيا الخاصة، وهو كتاب «حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء» لمحمد عبد لَكَانِي الخراساني، ولعلَّه آخر الحماسات الشعرية العربية اكتشافاً، وكان الميمني يعدّها الحماسة الثانية عشرة بعد الوحشيات أو الحماسة الصغرى لأبي تمام الطائي، وهي بين الكتب الثلاثة الأخيرة التي عثر عليها الميمني، وقد حققها ونُشرت وهو حيّ يُرزق.

شكرت الأستاذ شكراً جزيلاً على هذا التكرُّم، ودخلت مكتبة الجامعة المركزية فبدأت أقرأ النسخة المصوّرة لحماسة الظرفاء، فإذا هي تبدأ بقطعة شعرية للشاعر عمرو ابن الحارث ابن الشريد والد الخنساء، تتكون من ستة أو سبعة أبيات، ولم أتمكّن من القراءة السليمة الصحيحة لها، إذ كانت مخرومة مطموسة، وتذكرت أن الأستاذ الميمني قد حان خروجه من مكتبه متجهاً نحو موقف الحافلة عائداً إلى منزله، وكان لابد لي أن

أرافقه إلى الموقف، فقمت آلياً وسارعت إلى الأستاذ فوجدته قد خرج من المكتب متجهاً إلى المنزل، فسلَّمت عليه فردَّ علي وبادرني بالسؤال عن حماسة الظرفاء وكيف وجدتها؛ سهلة أم صعبة؟ فأخبرته الخبر وقلت له: «يبدو لي من الصعب أن أقوم بتحقيق الكتاب الذي لا توجد له نسخة أخرى في العالم غير هذه المخرومة المطموسة التي لم أتمكّن من قراءة قطعتها الشعرية الأولى».

فقال الأستاذ: «لا تخف ولا تتردد، هكذا تكون البداية، وكلّما تقدمتَ في المشوار وتوغلتَ في المضمار مهدت لك طريقاً وأنست إلى العمل. فهل تذكر شيئاً من كلمات القطعة؟». فأجبته بقولي: «نعم، فهي للشاعر عمرو ابن الشريد، وصدر البيت يبدأ بقوله: «أرى» وعجزه بقوله: «سُليمى مضجعي ومكاني» ولم أستطع أن أقرأ ما بين هذه الكلمات». فقال الأستاذ: «تذكرت الأبيات وعرفت قائلها، فهي لعمرو ابن الحارث ابن الشريد والد الخنساء، كان قد اقتحم معركة من القتال فأصيب بالجروح الشديدة ولكنه لم يمت، وبقي بعد المعركة يعيش حياة أذلَّ وأفظع من الموت، وكانت له أمّ تعرف بأم عمرو وزوجة تسمَّى سُليمى، فسألها بعضهم عن حال زوجها، وكانت قد سئمت من عيادته وتبرمت من القيام بخدمته، فردت عليه بقولها: «لا هو حي فيُرجى ولا ميّت فيُلقى». فسمع كلامَها هذا زوجها الشاعر عمرو ابن الشريد فأخذ يقول:

أرى أم عمرو لا تمل عيادتي ... وملت سُليمى مضجعي ومكاني[1]

ثم قال وهو يمشي نحو الموقف: «والمكان هنا بمعنى الوجود والبقاء، أو الحياة». ثم أنشد بقية الأبيات. فعدت إلى النسخة المصورة فوجدت أبيات القطعة كما أنشدها الميمني؛ ليس أقل ولا أكثر. فعلمت علم اليقين، بل عين اليقين، وتأكدت أن الأستاذ الميمني يحفظ الكثير الكثير من شعر العرب، وأنه آية من آيات الله في الحفظ والذاكرة.

وحقاً قد راعني ما رأيت وأدهشني ما سمعت، وشجَّعني ذلك على أن أوجّه سؤالاً شخصياً إلى الأستاذ، فقلت له: «كم بيتاً تحفظ من الشعر العربي يا سيدي؟». فقال: «قد ضعفت ذاكرتي الآن وذهب عني الكثير مما كنت حفظته، ولم يبقَ لديّ منه إلا سبعون ألف بيت تقريباً!».

١- حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء (خ) ق ٣.

وكان الميمني قد حفظ الكثير من أدب العرب شعراً ونثراً، حتى إنه كان يحفظ بعضاً من دواوين الشعراء والمجامع الشعرية بكاملها، كديوان المتنبي وديوان الحماسة لأبي تمام والمعلَّقات والمفضَّليات وغيرها. وكان يدخل الفصل الدراسي دون أن يحمل معه كتاباً منهجياً فيقول للطلاب: «افتحوا الكتب وليقرأ أحدكم الكلمة الأولى من القصيدة أو القطعة الشعرية». فكان أحد الطلاب يقرأ الكلمة الأولى أو المصراع الأول، ثم يأتي دور الأستاذ فينشد لهم القصيدة كلها أو القطعة كلها عن ظهر قلب، ثم يأتي بخلفيتها التاريخية، ثم يعلِّق عليها نقداً وشرحاً، ثم ينصرف.

ويوم اعتزم الأستاذ أن يغادر لاهور ويعود إلى مقره في كراتشي - حيث انتقل إلى رحمة الله - أقام الطلاب والأساتذة حفلة التوديع له، فقال فيها أحد زملائنا الكبار الأفاضل وهو الدكتور ضياء الحق ابن الشيخ أصغر علي الروحي، وقد كان الشيخ الروحي هذا المتوفى عام ١٩٥٤م من أصدقاء الميمني المخلصين، وله ديوان شعر عربي قد قام بتحقيقه وشرحه والتقديم له كاتب هذه الأسطر، ونُشر عام ١٩٩٣م: «كنا نسمع ونقرأ في المراجع عن أئمة الحديث وحفاظه، كالبخاري والحاكم، وعن ذاكرتهم وحفظهم لمئات الألوف من الحديث النبوي بمتونه وأسانيده، فنستغرب ذلك، وقد لا يصدقه بعضنا، إلا أننا رأينا الشيخ عبدالعزيز الميمني ورأينا ما يحفظه من الآداب العربية الواسعة فصدقناه، وأيضاً نصدق هؤلاء الأئمة الحُفّاظ، ووجود الميمني شهادة عدل على ذاكرتهم وحفظهم، علماً بأن الحياة في عصرهم لم تكن مزدحمة قلقة مضطربة كحياتنا المعاصرة المزدحمة المضطربة التي تأتي على قوى الإنسان، وعلى رأسها قوة الذاكرة. ويجدر بنا أن نأخذ بعين الاهتمام وألا يغيب عنا أن هؤلاء الأئمة الأعلام قد كانوا متفرغين منقطعين لخدمة الحديث النبوي الشريف، ولم يكن همهم غير حفظه وروايته في جو هادئ نقيّ بعيد عن القلق والزحام والجو الهائج المضطرب».

وعن ذاكرة الميمني القوية قصة أخرى قد سمعتها وأنا في مصر، ذلك أن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور عبدالحليم محمود، رحمه الله، الذي زار باكستان مرتين، وكنت له مترجماً في كل زورة، وفي المرة الأخيرة في ١٩٧٧م دعاني رسمياً لزيارة مصر والأزهر الشريف، وأقمت في مصر مدة شهرين ضيفاً خاصاً لفضيلته، وكتب لي وثيقة تؤهلني للدخول إلى أي مكتبة والزيارة لأي مؤسسة، فأخذوا لي موعداً مع رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة فالتقيته وزملاءه الأفاضل، وجرى الحديث عن شتّى جوانب اللغة

العربية وآدابها. وفي النهاية سألني رئيس المجمع، وكان إذ ذاك الدكتور إبراهيم مدكور، قائلاً: «كم يوماً تبقى في مصر؟». فقلت له: «شهرين تقريباً». فقال: «إذاً ينبغي أن تتكرر زيارتك للمجمع». فوافقت وذهبت إليهم بعد أسبوعين أو ثلاثة فلم أجد أحداً من القوم، وقيل لي إنهم ذهبوا إلى مقر رئيس الجمهورية حيث دعاهم الرئيس أنور السادات، وتخلّف عنهم أحدهم وهو الدكتور شوقي أمين، ﷺ، فدخلت عليه فرحب بي، وجلسنا نتجاذب ألوان الحديث، فسألني قائلاً: «إن عربيتك قوية جداً، فأين تعلمتها؟». فقلت له: «من سوء حظي أنني قد حُرمت من الدراسة بجامعة عربية أو أن أقرأ على أستاذ عربي، بل إنني لم أتعلم العربية في أي جامعة على أي أستاذ، وإنما تعلمتها بمفردي في بيتي، (إذ إنني أكملت دراستي كلها بالانتساب، ولم أكن طالباً منتظماً في يوم من الأيام) وقد أتقنت عربيتي بالاستماع إلى الإذاعات العربية، ثم إنني كنت أنتهز كل فرصة للقاء مع أي عربي يزور باكستان، فكنت ألتقط المفردات وأتعلم نطقها السليم؛ إما من أفواه هؤلاء العرب الزوار أو من المذيعين العرب، ولكنني حضَّرت رسالة الدكتوراه تحت إشراف الأستاذ عبدالعزيز الميمني، ﷺ». وبمجرد سماع هذا الاسم منّي وثب الدكتور شوقي أمين آلياً يقول في صوت مرتفع، يشوبه شيء من دلال المصريين ودعابتهم مع جيم مصرية: «لماذا لم تخبرني أنك تلميذ ذلك الجني؟». فقلت له: «يا سيدى لماذا سميت أستاذي العظيم جنياً؟». فقال: «والله لقد كان جنياً بالفعل. كان جنيّ العلم والأدب. كان قوي الذاكرة واسع الاطلاع. جاء بنسخة محققة من سمط اللآلي ونزل عند صديقه الأستاذ أحمد تيمور باشا، والد القصاص الروائي المصري محمود تيمور، في درب السعادة بالقاهرة، وأدهشنا بمعلوماته القيمة الواسعة عن المكتبات وما فيها من الآداب العربية، مخطوطها ومطبوعها، وجاء بالمراجع العربية الغريبة التي لم تخطر ببال أحد منا، وكان يتحدث العربية بلهجة ثعلب والمبرد. إنه لم يكن يبدو إنساناً عادياً فسميناه جنياً. إنه كان من أرض عبقر. وكان جنيّ العلم والأدب حقاً».

وأما العربية التي كان الميمني يتحدث أو يكتب بها فهي تشبه في أساليبها عربية المبرد وثعلب، وكانت تزخر حقاً بالمفردات الغريبة الوحشية الثقيلة، كما يتضح من كتابات الأستاذ التي بين أيدينا، وقد انتبه إلى ذلك غير واحد من الكُتّاب العرب الأفاضل ولفتوا الأنظار إليه غير مرة، فمن ذلك أنني شاركت في ندوة عن صناعة المعجم العربي برباط المغرب في ١٩٨٠م تحت إشراف جامعة الدول العربية، وألقيت كلمة مرتجلة

بالعربية في إحدى الجلسات، وعندما انتهت الجلسة سألني الدكتور عبدالله عباس الندوي السؤال نفسه الذي وُجّه إليّ و أنا في مصر، فأجبته مفتخراً: «أنا تلميذ الأستاذ عبدالعزيز الميمني». فقال الدكتور الندوى: «قد رأيت أستاذك وتحدثت معه واستمعت إليه وهو يتحدث بأسلوب المبرد وأضرابه من الأعلام القدماء؛ قد نهج مناهجهم واصطبغ بصبغتهم، أما أسلوبك أنت فلم نجد فيه شيئاً يشبه أسلوب الميمني». فقلت له: «يا سيدي! أنا أقلّد أستاذي في تحقيقي للمخطوطات العربية وإحياء التراث العربي، وذلك مما تعلمته منه وقلدته - ولا أزال أقلده - فيه».

فهذه ذكريات عاطرة عن الميمني، وهي كثيرة طويلة تحتاج إلى وقت وإلى مكان، ولكننا نكتفي هنا بهذا القدر القليل والنزر اليسير، ونعود إلى ما كنا فيه من موضوع الدكتوراه وحماسة الظرفاء، فقد قررت في نفسي واعتزمت أن أمضي في عملي، ولم يعجبني أن أتركه وأتنازل عنه لكيلا يسيء الأستاذ بي الظن، فحاولت جاهداً أن أوطّن نفسي على ذلك العمل الصعب، وبذلت فيه جهداً كبيراً ووقتاً غير قليل، حتى تمكنت من تذليل الصعاب واستأنست إلى الحماسة وإلى ظرفائها من الشعراء العرب القدماء والمحدثين، فإذا بالأستاذ يفاجئني يوماً ويبلغني أن طالبة من تلميذاته في جامعة كراتشي قد سبقتني إلى اختيار الكتاب وتحقيقه، وأنها قد قطعت شوطاً غير قصير من مشوارها، بعد أن سجّلت الموضوع للدكتوراه تحت إشراف زميلنا الفاضل الأستاذ الدكتور سيد محمد يوسف، رحمه الله، من أخص تلاميذ الميمني وأقربهم منه وأحبهم إليه، وهو الذي خلفه رئيساً للقسم العربي بجامعة كراتشي، فلا تسأل عن حزني وأسفي على ذلك، واعتذر الأستاذ قائلاً إنه كان قد أعطاها نسخة للكتاب قبل أن يغادر كراتشي، وقد تم كل ذلك في غيابه ودون علمه، ثم أشار عليّ أن أتحوّل إلى موضوع آخر وأختار كتاباً آخر من بين النوادر التي كان قد عثر عليها الأستاذ الميمني وجلب نسخها المصورة من تركيا، فاتفقنا أخيراً على موضوع جديد، هو كتاب «الهفوات النادرة» لابن غرس النعمة، ولم يمضِ شهر أو أقل من ذلك حتى جاءنا نبأ من دمشق مفاده أن رجلاً فاضلاً من رجال مجمع اللغة العربية بدمشق ومن بين أصدقاء الميمني قد أنهى أو كاد ينهي تحقيق الكتاب، وأنه على وشك الطباعة. فلم يسعنا إلا أن نتنازل عن الكتاب ونمضي في تذليل العقبات التي تحول بيننا وبين ما نريد وتقف في سبيلنا، إلى أن ننتصر في نهاية المطاف، فلنعم ما قيل:

لأستسهلنّ الصعب أو أبلغ المنى ... فما انقادت الآمال إلا لصابر[1]

أو كما يقول الحماسي:

وقد يعقل القُلُّ الفتى دون همِّه ... وقد كان، لولا القُلُّ، طلاَّع أنجُدِ[2]

وأخيراً وليس آخراً، دعاني الأستاذ إلى مكتبه يوماً يتعاطف معي على ما حدث وما حال دوني من العقبات المتنوعة المتكررة ، وقال لي مشجِّعاً: «لديّ نسخة مصورة لكتاب آخر نادر جداً، قد عثرت عليه في مكتبة خاصة في تركيا، وكنت أودُّ أن أقوم أنا بتحقيقه وإحيائه، إلا أن ضعفي وشيخوختي وما أعاني من الأسقام والمتاعب قد حال دون ذلك، فأشرت على الدكتور يوسف بأن يقوم بتحقيق الكتاب، وقد بذل جهداً وأنفق أياماً في قراءة الكتاب وتحقيقه فوجد العمل صعباً عليه، واعتذر قائلاً إنه من شبه المستحيل أن يقوم أحد بإحياء هذا الكتاب الغالي الأغرّ من نسخة وحيدة في العالم قد كُتبت بخط أندلسي، وقد أصابها الماء وطُمست حروفها وكلماتها، إضافة إلى صعوبات أخرى، ولكن الكتاب ثمين ونادر جداً، وهو من كتب التراث العربي الأندلسي، وإنك لو تمكنت من إحيائه وتحقيقه لأصبحت من الخالدين، ألا وهو كتاب القرط على الكامل للمبرد لأبي الوليد الوقشي وابن السيد البطليوسي. وقد جمع الكتاب إلى زيادات من عنده ابن سعد الخير الإشبيلي صاحب الفهرسة المشهورة.

فقلت للأستاذ شاكراً إياه: «يا سيدى لا أبغي الخلود ولا شيء، غير أنني أود أن أحضر رسالة الدكتوراه تحت إشرافك فقط. فذلك كل ما أريده وأتمناه». وهكذا تم اختياري للموضوع، وتم تسجيله بجامعة بنجاب تحت إشراف الأستاذ الميمني، ﷺ، وكلل الله جهودي بمنّه وكرمه فأصبحت من «الخالدين»، وقد طُبع الكتاب في لاهور سنة ١٩٨١م، وطبعته الثانية على وشك الظهور من الرياض بإذن الله تعالى.

وكثيراً ما كنت أختلف إلى منزل الميمني إبان إقامته في لاهور بصفته أستاذاً ورئيساً للقسم العربي، ولم يكن بيني وبينه حجاب أو مانع يمنعني أو كلفة تعترض سبيل

١- كتاب القرط على الكامل، أبو الوليد الوقشي وابن السيد البطليوسي، تحقيق وتقديم: ظهور أحمد أظهر، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، ١٩٨٠، ص: ٥.

٢- حماسة أبى تمام ،طبعة الحلبى، ص:٢٧٣.

الزيارة له، فكنت أزوره في غدواته وروحاته، وفي بعض الأحيان كنت أطرق بابه ليلاً دون إذن سابق أو موعد محدد، وكان يرتاح لرؤيتي دائماً، ويرحب بي كلما زرته في بيته، ولم أره متردداً يوماً عندما كنت أسأله عما يستعصي عليّ من بحث ورسالتي، وكنت أقضي معه ساعات طويلة بصفته مشرفاً على رسالتي للدكتوراه، ولم يبخل عليّ بشيء قط، ولم يتردد في إعارة الكتب أبداً، إلا أنه لم يكن ينسى كتاباً من كتبه المعارة، فقد كان يعدها من أولاد البررة وأصدقائه المخلصين وأحبائه الصادقين، فإذا أعار كتاباً فلابد أن يُعاد إليه في الوقت المحدد، وكان يذكرني بإعادة الكتب المعارة كلما طال عليها الأمد وتقادم بها العهد، وكان يقول: «عد بالقديم لكي تستحق الجديد». وقد أهدى إليّ عدداً من الكتب التي كانت تأتيه من قبل دور النشر العربية أو الجهات الأخرى في البلاد العربية، كما أهدى إليّ القليل من مؤلفاته[1] ومنها نسخة من كتابه «أبو العلاء وما إليه»، وكان مما أهدى إليّ نسخة «الوحشيات» الأولى أرسلتها له دار المعارف في مصر بعد أن ظهرت طبعتها الأولى بتحقيقه، فرجوته أن يعيرني إياها ليلة واحدة على أن أعود بها في صباح الغد من ذلك اليوم، فردّ عليّ بقوله، وكأنه قد تألم وتأثر بعض الشيء من كلامى: «خذها لثلاث ليال تستضفيها عندك، فلا يجوز للضيف أن ينزل عند مضيفه فيطيل الإقامة أكثر من ذلك، وقد طالعت النسخة ونبهت على أخطائها وأقمت عوجها، وأديت زكاتها بما كُتب بهوامشها، وسوف تراها، وهذا من دأبي، كلما قرأت كتاباً أديت زكاته ووفيت حقه. ويجب أن تتذكر دائماً بأنه لا يحب أي مؤلف أو محقق أن يُحرم من النسخة الأولى من عمله تُهدى إليه من قبل الناشر، وأنا أيضاً لا أحب ذلك، ولكنك تستطيع أن تأخذها وتطالعها و تعود بها إليّ، فإذا جاءتني النسخ الأخرى للكتاب فأنت أحقّ بإحداها، أما هذه فهي عارية مؤداة وذمة في عنقك».

وكثيراً ما دعاني، وأنا عنده في بيته، للغداء أو العشاء، إلا أنني لم أتعشّ ولم أتغدّ عنده يوماً وهو في لاهور، وذلك لأنني بصفتي من سكان المدينة لم أكن أودّ ذلك، ولم أرَ مسوغاً له، أو قل: «إنني لم أرد أن أثقل على الأستاذ أبداً». وأما الشاي فكنا نكثر من ذلك عنده، تُعرض علينا (عليّ وعلى أستاذي) أكواب فنفرغها، ويُعاد عرضها علينا مع البسكويت مرات ومرات، وكثيراً ما كان يقول لي: «يا حضرة الحافظ! (هكذا يناديني

١- وهي: ١. الوحشيات لأبي تمام، ٢. المقصور والممدود للفراء، ٣. التنبيهات لعلي بن حمزة البصري.

أستاذي، إذ إنني أحفظ القرآن الكريم بحمد الله ومنّه، ومن التقاليد الدينية المتعارف عليها عند المسلمين في بلادنا أنهم يسمون من يحفظ القرآن الكريم حافظاً، فينادونه بحضرة الحافظ تكريماً واحتراماً) هذه الأشياء من المأكولات التي تراها بائتة قد مر عليها وقت غير قليل، وقد تعجبك. فتعال نذهب معاً إلى محل الخباز في السوق المجاورة القريبة لكي نشتري لنا الحاجات الطازجة ونعود بها، ثم نشرب الشاي ونأكل وندخّن».

وأما السجائر فقد كانت بضاعة مشتركة بيني وبين أستاذي، فكنا نتقاسمهما ونتداولها بيننا، ولم أكن أدخل على الأستاذ إلا ومعي علبة أو علبتان من السجائر، فإذا انتهت أخرج الأستاذ علبته مما كان لديه، أو لجأنا إلى النارجيلة التي كان يحبها الأستاذ ويفضلها على السجائر دائماً، وفي بعض الأحيان كنت آتي له بالتبغ اللاهوري من النوع الخاص الذي كان الميمني مولعاً به، (ولم أزل أزوده به وهو في كراتشي، وأرسله إليه مع السمن البلدي من إقليم بنجاب، الذي يكثر فيه الجواميس والبقر، فإذا نفد عنده أو كاد ذكرني بذلك، وقد سافرت من لاهور إلى كراتشي غير مرة مع التبغ اللاهوري والسمن البلدي لكى أشرف بلقياه). وكان الأستاذ الميمني يرى أن السيجارة أو النارجيلة مما يعين الباحثين المحققين على أعمالهم الممتعة الثقيلة من البحث والتحقيق.

ولم يبخل عليّ الأستاذ بعلمه أبداً، ولم يضنّ عليّ بشيء قط مما كان لديه من المعلومات في مذكراته الغالية أو النسخ المصورة من المخطوطات التي كان قد جاء بها من الخارج، وأنفق عليها من جيبه أموالاً طائلة، كما لم يبخل عليّ بما كان عنده من نفائس الكتب التي كان يحبها كثيراً، وقد رأينا أنه هو الذي أشار عليّ وألحَّ في الإشارة بأن أحضر رسالة الدكتوراه تحت إشرافه دون أن أطلب منه ذلك أو أرجوه. وكان على الرغم من شيخوخته يخصص لي وقتاً غير قليل، ويبذل كثيراً من وقته للإشراف على بحثي ومراجعته، ولم يزل يرشدني وهو في كراتشي بالمراسلة، وكان يزودني بما يطلع عليه من شيء يخص رسالتي وبحثي للدكتوراه، سواء كان ذلك في الكتب حديثة الطبع، التي كانت تأتيه من كل العالم العربي (وما أكثرها!)، أو من المعلومات الثمينة المسجلة في مذكراته أو في ذاكرته (وما أكثرها أيضاً!)، فكان كلما تذكر شيئاً أو عثر على شيء جديد سارع بالكتابة إليّ، وكان يلحّ عليّ دائماً أن أكمل عملي بأسرع ما يمكن، وقد كان من بركاته أنني استطعت أن أنتهي من الرسالة خلال سنة ونصف تقريباً.

ومن جوانب حياة الميمني الخافية المهمة علمه بالكتاب العزيز وعنايته به، واطلاعه

الواسع على معارفه واستيعابه مفرداته اللغوية، وهذا الجانب من حياته العلمية له خلفية، هي أن الأستاذ الميمني كان من تلاميذ الشيخ نذير أحمد الدهلوي، الذي كانت له عناية خاصة بالقرآن وعلومه؛ من الإعجاز والبلاغة ومن الترجمة والتفسير، وأما اهتمام الميمني بالمفردات القرآنية فيرجع إلى ما درس من أضداد القرآن الكريم ومترادفاته خلال تحقيق كتاب «ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن الكريم» لأبي العباس المبرد، وإضافة إلى ذلك فللميمني عناية خاصة بدراسة علوم الكتاب والسنّة، حيث تناول جوانبها اللغوية في كثير من محاضراته وبحوثه، ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ عبدالعزيز الميمني هو أول من اكتشف ظاهرة غريبة تسود كتب الأمالي كلها دون استثناء وانتبه إليها، هي أن كتب الأمالي لأئمة اللغة والأدب تبدأ بمحاضرة أو باب عن غريب الحديث النبوي، وأنت ترى أن أبا العباس المبرد رحمه الله يبدأ حديثه في أول الكتاب بقوله: بعد الخطبة والتمهيد قال رسول الله ﷺ للأنصار في كلام جرى: إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلّون عند الطمع.[1]

وما رأيت أستاذاً من أساتذتنا أو عالماً من علمائنا مطلعاً على مفردات القرآن اللغوية كاطلاعه. كان أستاذنا الميمني، رحمه الله، واسع الاطلاع عليها، كثير الإتقان لها، وقد سألته عن غريب القرآن غير مرة، فرد على كل سؤال وكأنه قد استوعب الموضوع وأحاط به، فعلى الرغم من أنه لم يكن يحفظ القرآن الكريم على الطريقة المتداولة، إلا أنه كان كثيراً ما يدهشني بما لديه من العلم الغزير بالكتاب وبمفرداته اللغوية، التي كان يحفظها بمعانيها خاصة، وقد قال لي غير مرة: «يا حضرة الحافظ! أنت حفظت القرآن الكريم وأما أنا فلم أحفظه، ولكنني أنا أعرف منك بمفرداته اللغوية، وأستطيع أن أجزم القول عن كل كلمة قرآنية هل وردت في الكتاب أم لم ترد؟ أو أين وكم وردت وفي أي سورة من السور؟ كما أستطيع أن أبحث لك عن آية من آياته دون الرجوع إلى المصحف أو فهارسه».

وكنا - أنا وأستاذي - جالسيْن يوماً كالمعتاد في فناء منزله نتشمّس ونتحدث، فإذا الحديث يقودنا إلى البرد القارس المسيطر على مدينة لاهور، المتشبث بها يومذاك، فقلت له: «ياسيدي؛ أما ترى أن وطأة الشتاء أشد ضراوة على الناس هذا العام، فإننا نراهم يعانون بسببها أشد معاناة، ولا يخرجون إلا مغطّيْن في دُثُر وجبات؟». فقال: «نعم! البرد

---

١ - الكامل: ٥.

شديد هذا العام». ثم تذكر شيئاً فقال: «قد تذكرت أستاذي الشيخ نذير أحمد الدهلوي الذي نظم بيتاً من الشعر عن البرد القارس، وعن هذه الجبات، صدرُه بالأردية وعجزه بالعربية، وهو قوله:

گھٹ گیا دن بڑھ گئی رات [1]

جاء البرد مع الجبات

ومعنى صدر البيت أن النهار قد نقص وقصر والليل قد زاد وطال».

ورأيت أن الجو يلائم سؤالاً كثيراً ما كان يراودني، فقلت له: «يا أستاذي الكريم؛ ما رأيكم في الشعر العربي لشبه القارة؟». فقال: «فيه شعر جيّد رصين لا بأس به، ومن الأسف الشديد أنني قد أغمضت عنه إغماضاً، كما أنني أهملت الآداب العربية والإسلامية التي أنتجها علماؤنا في شبه القارة، وقد كان من حقها ومن واجبي أن أهتم بها، فأعرّف بها العالم العربي، وأخشى أن يتهمني مؤرخو المستقبل بالإهمال والترفّع عما أنتجه أبناء وطني وجلدتي». ثم أخذ الأستاذ ينظر في حيرة إلى السماء وقد بدا على وجهه ظلال من الندم والوجوم، فقلت له في شيء من الثقة واليقين: «لاتحزن يا سيدي، فقد ربيت أجيالاً وأعقاباً من تلاميذك وأتباعك، وقد أعددتهم إعداداً جيداً لينوبوا عنك في القيام بما لم تستطع أن تقوم به، وهم قادرون على ذلك بإذن الله، ومن واجبهم أن يدافعوا عنك، ولكن التهمة التي يتهمك بها أعداؤك والمعارضون لك إنما هي تهمة الشح والبخل، وقد سمعتهم يقولون وقرأت لهم ما يكتبون قائلين: إنك تبخل بالمال، وتضنّ بالعلم والكتاب»، فنظر إليّ الشيخ نظرة الغاضب المريب، ثم قال: «إنهم يكذبون ولا يعرفون شيئاً من الحقيقة. أنا لست بخيلاً، ولكنني لا أسخو بكل ما لديّ من المال والعلم أو الكتاب إلا لمن أراه أهلاً لذلك، ويستحقه استحقاقاً صحيحاً. إلا أنني لا أريد أن أضيّع منه شيئاً، فأبيحه لكل من هب ودب. إنني أنفق مالي لمن يعرف قدره، وقليلٌ ما هم، ولا أبيح كتبي لأدعياء العلم، ولا أسخو بعلمي إلا لأهله، أما سمعت زهيراً يقول:

ومن يصنع المعروف في غير أهله ... يعد حمده ذماً عليه ويندم[2]

١- لعله بالأردية: گھٹ گیا دن بڑھ گئی رات. (المحرر)

٢- ديوان زهير مع شرح الشيباني: ٤٤٤.

وذلك مما يذكرنا بما رواه أهل العلم والأدب من قول بزرجمهر بن بختكان الفارسي وهو يرد على من أراد محنته: العلماء أفضل أم الأغنياء؟ فقال: العلماء، فقيل له: فما بال العلماء على أبواب الأغنياء أكثر من الأغنياء على أبواب العلماء؟ فقال بزرجمهر: لمعرفة العلماء بفضل الغنى وجهل الأغنياء بفضل العلم».[1]

وقبل أن يلقى ربه كان، الأستاذ الميمني، رحمه الله، قد تبرّع بما اكتسب بكده وعرق جبينه من المال ووزعه على من يستحقه، فقد تبرّع به لمجامع اللغة العربية كمجمع اللغة العربية بدمشق، وتبرع للمعاهد التعليمية والجامعات، فأعطى ثلاثمئة ألف روبية لندوة العلماء في لكنو الهند، وتبرع بمئة ألف روبية لمكتبة جامعة بنجاب بلاهور (تلك الجامعة التي تنكّر له مرتين بعض أساتيذها من أدعياء اللغة العربية، ولم يعترفوا بما فضّله الله به من مكانة علمية وجحدوا بحقه)، ثم اشترى كتب الحديث والتفسير بما تبقّى عنده من المال، فوزعها على المعاهد الدينية في باكستان وخارجها، وأهدى مكتبته المليئة بما اقتنى طوال عمره من نفائس الكتب العربية مخطوطها ومطبوعها لجامعة السند.

وقد أنفق الميمني حياته كلها في خدمة اللغة العربية وآدابها، بين التدريس والبحث أو التحقيق، وأعد الكثير الكثير من البحوث والمقالات باللغة العربية، وقد أحيا تراثها الغالي، فحقق أكثر من ثلاثين كتاباً، وقد نُشرت كلها أو جلها في العالم العربي، واكتسب بها مبلغاً كبيراً من المال كأجور مقابلة لجهوده، وقد قال لي يوماً: «قد اكتسبت لباكستان بقلمي هذا مبلغاً ضخماً من العملة الصعبة، ما لا يقل عن ثلاثة ملايين من الروبيات، وقد استطعت أن أكتسب ذلك المبلغ الضخم لأنني تعلمت العربية وأتقنتها إتقاناً صحيحاً، وقمت بخدمتها خير قيام. وقد أيقنت بأن عالم اللغة العربية لا يمكن أن يموت جوعاً وفقراً، لأن العربية لغة كتاب الله العزيز ولغة العرب الكرام، والله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من يحسن العمل، وكذلك العرب الكرام الأسخياء، إنهم لا ينسوْن فضل من يقوم بخدمة لغتهم، إنهم يقدّرون جهود العاملين المحسنين المخلصين. وهذه دور النشر في بلدكم لا يدفع أصحابها للكُتّاب والمؤلفين شيئاً، ويتركونهم، لا بل يطردونهم ليتضوروا جوعاً ويموتوا فقراً، وأما أصحاب دور النشر العربية فإنهم لا يبخسون حق المؤلفين أبداً، ويكافئونهم بما يستحقون.

١- القرط على الكامل: ٤٣٥.

وإن أدعياء اللغة العربية هؤلاء في بلادكم يقولون تعلّمنا العربية ونموت جوعاً وفقراً. ولكنهم يكذبون فيما يقولون. إنهم لم يتعلموا اللغة العربية، وإنما أنفقوا سنوات عديدة في المعاهد والجامعات ليكتسبوا بها قطعة من الورق يسمونها شهادة؛ وقد اكتسبوها، وعلى الرغم من ذلك إلا أنهم لم يحصلوا على شيء من اللغة العربية، حتى إن الحاصل منهم على شهادة الدكتوراه لا يقدر على الحديث أو الكتابة بها، حتى لو كانت جملة واحدة، لأنه قد حاز هذه الشهادة من أوروبا من عند المستشرقين، وحضر الرسالة بلغة من لغاتهم، ولم يذهب إلى جامعة عربية للدراسات العليا، فعاد وقد حصل على كل شيء غير العربية. و أقول أنا عبدالعزيز الميمني: إن الذي تعلّم العربية فأتقنها لن يموت جوعاً ولن يواجه فقراً أبداً، إن الله قد وعد أهل الكتاب بأنهم لو أقاموا التوراة والإنجيل لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم. والميمني يقول ويعلن على رؤوس الأشهاد بأنهم– أي أدعياء اللغة العربية – لو تعلموا لغة القرآن وأتقنوها حق الإتقان لأتاهم الرزق من فوقهم ومن تحت أرجلهم ومن يمينهم ومن شمالهم. وأما أنت يا حضرة الحافظ! فأراك لست منهم، وإنك لو مضيت على طريقك هذا من إتقان العربية كتابة وحديثاً فلن تموت جوعاً، ولن تكون في حاجة إلى طلب الرزق في الآفاق، وسوف يأتي رزقك على بابك».

ولقد أصاب أستاذي الميمني، ﷀ، فيما قاله ونصح لي به، فقد نذرت حياتي كلها للغة العربية والنهوض بها في بلدي، وقد وفقني الله في ذلك بعض التوفيق، فقد دخلت مجال الخدمة للغة العربية في جامعة بنجاب (وهي أقدم جامعة في باكستان) وأهلها لا يعرفون كلمة «جواز السفر» باللغة العربية، فضلاً عن أن يتحدثوا أو يكتبوا بها، بل كانوا يرون أن الحديث أو الكتابة بالعربية ليس من واجبهم، بل ذلك مستحيل، إذ كانوا يدرسون العربية ويدرسونها كلغة ميتة كالسنسكريتية، وأما اليوم، والحمد لله، فقد أصبحت الأجوبة عن الأسئلة باللغة العربية إجبارية في جامعة بنجاب نفسها، وتُكتب رسائل الماجستير والدكتوراه بالعربية، إضافة إلى ظواهر أخرى من نهضة العربية ورفع مستواها في باكستان. وإن الله سبحانه وتعالى قد أعزني وأكرمني بما قمت به من خدمة لغة كتابه ولغة شعب نبيه الأبيّ، وأتمنى على الله عز وجل أن يوفقني بالمزيد من الخدمة لها؛ لكي أستمر في طريقي هذا ما دمت حياً.

الدكتور خورشيد الحسن رضوي: رائد الأدب العربي في باكستان[1]

الدكتور الحافظ عبد القدير

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، جامعة بنجاب، لاهور

تمهيد:

هذا البحث كما يظهر من عنوانه، يدور حول قامة أدبية رفيعة - صاحبها الأستاذ الدكتور خورشيد الحسن رضوي - الذي سوف نشير إليه باسمه المختصر "الدكتور رضوي" في الصفحات التالية، وهو - كما يعرفه كثير منا - واسع الاطلاع، كثير الإنتاج، متنوع الإبداع كتابة ونقداً وبحثاً وشعراً وفكراً، وقد جادت براعة قلمه بكثير من الكتب والمقالات العلمية والبحوث الأدبية في العربية والإنجليزية والأردوية. إنه في السبعينات من عمره، وعطاؤه مستمر ليومنا هذا، فالكتابة عن هذا العالم العبقري والإحاطة بكل ما أنتجته قريحته السخية من الشعر والأدب والنقد تحتاج إلى كتاب مبسوط ضخم، ولا يسع هذا المقال الموجز أن يحيط بهذا الموضوع من كل نواحيه، ولكن، إن لم يكن وابل فطل، ففي هذا المقال المتواضع أكتفي بإلقاء الضوء على بعض كتاباته النثرية المتعلقة باللغة العربية وأدبها.

---

١ - نُشرت هذه الورقة البحثية في: الأضواء، المجلد، ٣٢، العدد ٤٥، يونيو ٢٠١٦م

وقد قسّمتُ هذا المقال إلى مبحثين: أما المبحث الأول فقد تناولت فيه حياته بإيجاز، وأما المبحث الثاني فقد ألقيت فيه ضوءاً على نتاجات قلمه المتعلقة بالعربية وأدبها وأصحابها، وهي مكتوبة بثلاث لغات: العربية والإنجليزية والأردوية.

حياة الأستاذ الدكتور رضوي:

وُلد الأستاذُ الدكتور رضوي في اليوم التاسع عشر من شهرِ مايو سنة ١٩٤٢م في مدينة «امروهه» بالهند.[١] إنه ينتسب إلى أسرة «السادة الأشراف» الرضوية السُنِّية الحَنَفِيَة الشهيرة باسم «بير زادكان» (كلمة فارسية معناها سلالة الشيخ)، عاش جده الأعلى الشيخ السيد أبو الفتح عبدالله الكرماني في عصر الإمبراطور جلال الدين أكبر (١٥٤٢م-١٦٠٥م)، وقد جاء ذكره في كتاب «منتخب التواريخ» لعبدالقادر البدايوني.[٢]

وكان والده السيد حليم الدين رضوي موظفاً في شركة تجارية، ولمّا كان الأستاذ رضوي في الرابعة من عمره تُوفي والده، فنشأ نشأة يتيمة في بيت جدته من ناحية الأم. وبعد انقسام الهند واستقلالِ باكستان هاجرت أسرته إلى باكستان، فانتقل مع والدته إليها، وذلك سنة ١٩٤٩م، وجعلَ مدينةَ «منتغمري» (حالياً ساهيوال) مستقرًا له، وبعد دراسته في المرحلة الثانوية التحق بالكلية الحكومية بـــ«منتغمري» وتخرّج فيها، وكان فضل الله عليه عظيماً؛ حيث إنه وجد في هذه الكلية الأستاذ الدكتور صوفي محمد ضياء الحق (م: ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) الذي كان من كبار الأساتذة للغة العربية وأعلام الأدب العربي في باكستان، إنه فتح عليه آفاق اللغة العربية وأبعاد الأدب العربي. كان ذلك من فيض خاطره ومن حسن صحبته أن الطالب الذي كان – في بداية أمره – يميل إلى العلوم الطبيعية كثيراً؛ صار يتذوق حلاوة الأدب العربي ويسير في أوديته الجميلة

١- أحمد إدريس، الدكتور، الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص:٣٩٢.

٢- للتفصيل حول الموضوع راجع: خالد همايون، الدكتور خورشيد رضوي، قومي دائجست، يناير ٢٠٠٤م، المجلد:٢٦، العدد:١، ص:١٦.

الخلابة ويسيح في آفاقه الواسعة. يقول الدكتور رضوي عن ذلك (بالأردوية):

«كنت قد اخترت مادة اللغة العربية في المدرسة بسبب والدتي التي كانت قد أمرتني بسبب حبها للدين أن أدرسها، كانت متدينة ومواظبة على الصلوات الخمس والصيام، وفي الصّغر عندما كنت أفيق من النوم صباحاً يقرع أذني صوتها العذب وهي تتلو القرآن أو تُردد الأدعية المنظومة. كنت قد بدأت دراسة اللغة العربية إطاعة لأمرها وامتثالاً لنصحها... وبمجرد حفظ المقررات كنت أنجح في الامتحانات المدرسية أيضاً، إلا أنه لم يكن لديّ ذوق للغة العربية مطلقاً، فبعد أن تعرّفتُ على الدكتور صوفي محمد ضياء الحق بدأت أتردد إليه كل مساء، وبعد أن مرّت سبعة أو ثمانية أيام على ذلك قال لي يوماً:

«أرى فيك موهبة لتعلّم اللغة العربية، (فلا يغيبنّ عن بالك أنني) لن أدرّسك إن غبت عن الدرس ولو ليوم واحد».[1]

وكان للأستاذ صوفي محمد ضياء الحق منهجان للتدريس، لم يكن يدرّس في الكلية إلا المقررات الدراسية، ولكنه في المساء كان يتجنّب المقررات تجنباً كاملاً، ويعطي طالبه النصوص الأردوية الطويلة لنقلها إلى العربية، وفي ضوء هذه الترجمة كان يصحّح الأخطاء المتواجدة فيها، ويوضّح القواعد النحوية والصرفية المتعلقة بها.

ولما وصل هذا الطالب إلى السنة الثالثة في الكلية انتقل الدكتور صوفي محمد ضياء الحق من الكلية الحكومية بـ «ساهيوال» إلى الكلية الحكومية بلاهور، وحلّ محلّه الدكتور شير محمد زمان (المولود في: ١١ سبتمبر ١٩٣٣م)، ولكن لم تنقطع سلسلة إفادة الدكتور رضوي منه، فكان يرسل إليه يومياً رسالة بالبريد وفيها ترجمة عربية لعبارة أردوية، والأستاذ كان يردّها إليه بعد تصحيحها كل يوم. فلم يزل يسير على هذا الدرب إلى أن نجح في البكالورية والتحق بالكلية الشرقية بلاهور، التي كانت في جنب الكلية الحكومية التي كان الأستاذ صوفي يُوظّف بها.

١- عامر، زاهد منير،الدكتور، ارمغان خورشيد، بنجاب يونيورستي، لاهور، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م، ص:٤٥.

وفي هذه الكلية، التي كانت مركزاً وحيداً في تلك الآونة للدراسات الشرقية في باكستان، تتلمذ الدكتور رضوي على أساتذة كبار أمثال الشيخ الحافظ نور الحسن (١٩١٨م-١٩٨٨م) والبروفيسور عبدالقيوم (١٩٠٩م-١٩٨٩م) والدكتور شيخ عنايت الله (م:١٩٧٧م) والبروفيسور عبدالصمد الصارم (م:٢٠٠٤م) والأستاذ سيد أبي بكر الغزنوي (م: ١٩٧٦م)، وكان الأستاذ صوفي محمد ضياء الحق أيضاً يدرّس في هذه الكلية كأستاذ زائر. فحصل على شهادة الماجستير باللغة العربية بتفوق، وذلك سنة ١٩٦١م.[1]

خاض الدكتور رضوي في معترك الحياة العملية سنة ١٩٦٢م، ففي هذه السنة عُيّن محاضرًا للغة العربية في الكلية الحكومية بمدينة بهاولفور، وفي السنة التالية انتقل إلى الكلية الحكومية بمدينة سرجودها، فحُبِّبت إليه هذه المدينةُ وزُيّنت في قلبه، فقضى أكثرَ من عشرين عاماً من حياته في هذه المدينة، وخلال قيامه بها تمّ له الزواج، وذلك سنة ١٩٦٧م، ورزقه الله بابنين، كما أنه حصل على الدكتوراه سنة ١٩٨١م من جامعة بنجاب.

وفي عام ١٩٨٤م عيّنته الحكومة مديراً لكلية «أنبالة» الحكومية بسرجودها، إلا أنه تركها بعد سنة حيث غادرها إلى مجمع البحوث الإسلامية بإسلام آباد سنة ١٩٨٥م، وبدأ يعمل به كرئيس قسم الترجمة، وبعد قضاء ستِ سنوات في هذا المعهد انتقل إلى مدينة لاهور، وصار رئيساً لقسم اللغة العربية في الكلية الحكومية بلاهور (حالياً جامعة الكلية الحكومية) وذلك سنة ١٩٩١م، واختار الأستاذُ أن يُحال إلى المعاشِ قبل أوانه، وذلك سنة ١٩٩٥م.

وكذلك إنه درّس كأستاذ زائر في قسم اللغة العربية بجامعة بنجاب،[2] ومركز

١- نفس المرجع، ص:٤٧.

٢- ومع أنه تقاعد سنة ١٩٩٥م، إلا أنه لم يزل يُدرّس في القسم العربي لمدة، التحقتُ بالقسم العربي كطالب للماجستير سنة ١٩٩٧م ودرسنا عليه ديوان الحماسة في السنة الثانية من الماجستير.

الشيخ زايد الإسلامي بجامعة بنجاب، وفي جامعات لاهور المختلفة، مثل جامعة «لمز» وجامعة «فاست»[١] خلال فترات مختلفة، والآن يعمل كأستاذ شرف (Distinguished Professor) في جامعة الكلية الحكومية بلاهور، قد منحته الحكومة الباكستانيةُ وسام «نجمة الامتياز» تقديراً لجهوده العلمية واعترافاً بخدماته الجليلة[٢] وذلك سنة ٢٠٠٨م، وهو عضو في عشرات من المؤسسات العلمية واللجان الأدبية داخل باكستان وخارجها، من بينها مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الذي جعله عضوًا مراسلاً له.[٣]

مؤلفات الدكتور رضوي:

إن الأستاذَ الدكتور رضوي عالمٌ نِحريرٌ وكاتبٌ بارعٌ وأستاذٌ قديرٌ وشاعر مفلقٌ، وهو فارسُ ميدانِ التحقيق والتأليف، قد خرج من سنّ قلمه كثير من كتب ومقالات علمية وبحوث أدبية في العربية والإنجليزية والأردوية، وهذا المقال الموجز - كما ذكرنا في بدايته - لا يستطيع الإحاطة بكل كتاباته، فنحن فيما يلي من السطور نتناول بعضاً منها ونترك الباقية لمقال آخر أو لدارس آخر.

تحقيق الجزء السادس من مخطوط «قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان»:

لعل أبرز جهوده تحقيقُ الجزءِ السادسِ من مخطوط "قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان" لابن الشعار كمال الدين أبي البركات المبارك بن أبي بكر الموصلي (٥٩٥هـ/ ١١٩٨م-٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، الذي أنجزه الدكتور رضوي على اقتراح

١- تُعتبر جامعة «لمز» وجامعة «فاست» من أشهر الجامعات الأهلية في باكستان.

٢- تمنح الحكومة الباكستانية هذا الوسام كبار الشخصيات داخل باكستان وخارجها؛ اعترافًا بجهودهم في ميادينهم وتقديرًا لخدماتهم فيها، فعلى سبيل المثال: منحت حكومة باكستان السيدة أم كلثوم - المطربة المصرية الشهيرة الملقبة بكوكب الشرق - هذا الوسام بعد أن غنت قصيدة "حديث الروح" لمحمد إقبال - الشاعر الفيلسوف وشاعر باكستان القومي - فصارت بسبب غنائها بين العرب أشهر من "قفا نبك".

3- http//:www.sis.gov.eg/newVR/acadmy/html/acadmay0503.htm.

جامعة الموصل بالعراق، التي طلبت منه أن يقوم بهذا العمل الجليل.[١]

ومن قصة تأليف هذا العمل أن الدكتور رضوي كان قد جمع أحوال حياة ابن الشعار، وحقّق ستين صفحة أولى من هذا المخطوط للحصول على شهادة الدكتوراه من جامعة بنجاب، وبعد أن أكمل عمله للدكتوراه أعدّ مقالين أحدهما عن الكاتب والآخر عن الكتاب، اللذين نُشرا في مجلة «الدراسات الإسلامية»[٢] فتلقيا بقبول حسن عند أساتذة جامعة الموصل بالعراق، التي كانت قد أعدّت مشروعاً لتحقيق جميع أجزاء المخطوط ونشره بسبب كون صاحبه ابن الشعار من أبناء الموصل، وكانوا قد وزّعوا هذه الأجزاء على فريق من الباحثين، ولم يبق منها إلا الجزء الرابع والجزء السادس، وذلك لرداءة الخط، فاتصلوا بالأستاذ الدكتور رضوي واقترحوا عليه أن يقوم بتحقيق الجزء السادس منه، فذُعر لذلك لأنه كان يعرف من قبل أن هذا الجزء كان أردأ الأجزاء خطاً وأكثرها طمساً وأصعبها قراءة، فلم يزالوا يُلحون عليه حتّى قَبِلَ الأستاذ رضوي اقتراحهم وحمل على كاهليه مهمة تحقيق هذا المخطوط، التي قضمت من حياته قضمة كبيرة لا تقل عن عشر سنوات.[٣] ويتألف هذا الجزء السادس من ٨٢٤ صفحة.

أما ابن الشعار فكان شاعراً ومؤرخاً، عاش في المنتصف الأول من القرن السابع، وقضى ثلاثين سنة من حياته في جمع أحوال أولئك الشعراء الذين عاصرهم والتقى بهم وسمع منهم، فكان نتاج جهوده لهذه المدة المديدة كتابه «قلائد الجمان في فرائد شعراء

١- ابن الشعار، كمال الدين أبو البركات المبارك بن أبي بكر الموصلي، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق: رضوي، خورشيد، الدكتور، جامعة بنجاب، مركز الشيخ زايد الإسلامي، لاهور، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص:ط، ي (كلمة المحقق).

٢- "ابن الشعار وآثاره"، الدراسات الإسلامية، المجلد ٢٢، ١٩٨٧م، العدد:٢، ، ص: ٥٥-٩٨، و"عقود الجمان في شعراء هذا الزمان لابن الشعار"، العدد ٣، ص: ٥-٢٤، وكذلك نشر له بحث ثالث بعنوان: "ابن الشعار والشيخ الأكبر ابن العربي (نص ملتقط من التراث) على صفحات نفس المجلة، عدد خاص (العددان الأول والثاني)، ١٩٩١م، المجلد: ٢٦، ص:٢٣٩-٢٧٤.

٣- ابن الشعار، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، مركز الشيخ زايد الإسلامي، لاهور، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص:ط، ي.

هذا الزمان»، الذي يحتوي على عشرة أجزاء، لعبت بجزأين منها يد الحدثان،[1] هذا الكتاب يشتمل على ترجمة أكثر من ١٠٠٠ شاعر لذلك الزمن مع نماذج من إنتاجهم الأدبي.

هذا الكتاب له فوائد تاريخية جمة وأهمية بالغة، حيث إنه يُعتبر سجلاً صادقاً لشؤون الحياة في ذلك العصر، ومأخذاً أساسياً لكثير من المعلومات التأريخية والأدبية المتعلقة به، التي لا نجدها في مصدر آخر غيره، و«كان جل اعتماده (ابن الشعار) على العيان واللقاء الشخصي، أو على السماع ممن قابل الشاعر شخصياً، أما النقل عن تصانيف الآخرين فهو قليل جداً».[2] إنه تناول الجانب الأدبي من حياة الأمة العربية في النصف الأول من القرن السابع الهجري، كما أنه زوّدنا بمعلومات جديدة حول شخصية ابن خلّكان -المؤرخ- (٦٠٨هـ/ ١٢١١م-٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وكذلك قدّم إلينا كلاً من الإمام فخر الدين الرازي - المفسر- (٥٤٤هـ/ ١١٥٠هـ-٦٠٦هـ/ ١٢١٠م)، ومجد الدين ابن الأثير - المحدث -(٥٤٤هـ/ ١١٥٠م-٦٠٦هـ/ ١٢١٠م)، وابن جبير الأندلسي - الرّحّالة - (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م-٦١٤هـ/ ١٢١٧م) وياقوت الحموي - الجغرافي - (٥٧٤هـ/ ١١٧٨م-٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) وابن عربي - الصوفي - (٥٥٨هـ/ ١١٦٤م-٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)، وابن المستوفي (٥٦٤هـ/ ١١٦٩م-٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) وابن خلكان كشعراء؛ مع أنهم معروفون بغير الشعر.

وكذلك تبيّن لنا بطريق هذا الكتاب أن القصيدة الطويلة لشمس الدين المقدسي (٥٧٥هـ-٦٥٠هـ) التي نظمها في مدح النبي ﷺ، والتي أطلق عليها الدكتور رضوي اسم «القصيدة الشمسية»، لها تقدّم زمني على قصيدة البردة للبوصيري (٦٠٨هـ/ ١٢١٣م-٦٩٦هـ/ ١٢٩٥م)، إذ رأت هذه القصيدة النور أول مرة نتيجة لهذا التحقيق (وسوف

١- وهما الجزء الثاني والجزء الثامن.

٢- رضوي، خورشيد، الدكتور، "ابن الشعار والشيخ الأكبر ابن العربي (نص ملتقط من التراث)"، الدراسات الإسلامية (عدد خاص حول الإسلام في الأندلس)، ١٩٩١م ، المجلد:٢٦، العدد: ١،٢، ص:٢٤٠.

نتكلم عن هذه القصيدة بشيء من التفصيل في الصفحات التالية).

إن كتب التاريخ لا تدلنا على ذلك السبب الذي من أجله مال ابن عربي، الشيخ الأكبر، الذي كان جندياً في الجيش، عن وظيفته، وولّى وجهه شطر التصوف واستمسك بزمامه، ولم يزل يعضّ عليه بالنواجذ إلى أن صار إماماً للمتصوفين وشيخهم الأكبر، وتصانيف الشيخ كلها أيضاً ساكتة عنه. فلم يكن يعرف أحد سبب هذا التقلب الكبير الذي كان قد غيَّر مجرى حياته. هذا اللغز قدّم حلّه هذا الكتاب، وذلك على لسان ابن عربي نفسه الذي يقول:

كان سبب انتقالي عن الجندية ونبذي لها وسلوكي هذه الطريقة وميلي إليها أنني خرجت صحبة مخدومي الأمير أبي بكر يوسف بن عبدالمؤمن بن علي بقرطبة قاصدين المسجد الجامع، فنظرته في ركوع وسجود وخشوع، كثير الابتهال إلى الله عز وجل، فخطر لي خاطر أن قلت في نفسي«إذا كان هذا ملك البلاد خاضعاً متذللاً يصنع هذا بين يدي الله عز وجل فما الدنيا بشيء، ففارقته من ذلك اليوم وما بمدته رأيته أبداً، ثم لزمت هذه الطريقة».[١]

وكذلك نجد في ترجمة ياقوت الحموي تصويراً دقيقاً لملامحه، ربما لا يوجد في أي مصدر آخر:

«شاهدته (ياقوت) بالموصل، وهو كهل، أشقر، أحمر اللون، أزرق العينين، وكانت بينه وبين أخي صداقة وأنس تام، واقتضيته شيئاً من شعره فأجاب إلى ذلك، وجعل يماطلني ويعدني هكذا مدة من الزمن، ثم سافر إلى بلاد الشام، فما عدت رأيته بعد ذلك».[٢]

١- وردت هذه العبارة في الجزء السابع من عقود الجمان في شعراء هذا الزمان، وقد ذكره الأستاذ رضوي في بداية الجزء السادس الذي قام بتحقيقه، راجع: رضوي، خورشيد، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، ص: ٥٥-٥٦. رضوي، خورشيد، "ابن الشعار والشيخ الأكبر ابن العربي (نص ملتقط من التراث)"، الدراسات الإسلامية، (عدد خاص حول الإسلام في الأندلس)، ١٩٩١م، المجلد: ٢٦، العدد: ١،٢، ص: ٢٤٠.

٢- رضوي، خورشيد، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، ص: ٤.

أما المشاقّ التي تحملها الدكتور رضوي في تبييض هذا الكتاب فإنها تتضح لكل من يُمعن النظر في هذا الكتاب ويطالعه، فإنه يدرك مدى مساعي الأستاذ التي بذلها في تحقيق هذا المخطوط النادر الذي لا توجد له إلا نسخة واحدة معلومة في العالم في «كتبخانة أسعد آفندي» المنضمة الآن إلى المكتبة السليمانية بمدينة إسطنبول، وصورتها موجودة في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة، ومنه حصل الدكتور رضوي على صور جميع أجزائه في صورة فليمات، وكان هذا المخطوط (وقد أرفق الدكتور رضوي بعض لوحاته بالكتاب في نهايته) مكتوباً بخط عربي مكسور وغير متضح، والذي زاده تعقيداً هو أنه مطموس من موضع إلى موضع، فقراءته صعبة جداً، إن لم تكن مستحيلة، وقصارى القول أنه يمكن لنا إلقاء الضوء بإيجاز بالغ على عمل الدكتور رضوي في صورة نقاط تالية:

١. جمع الدكتور رضوي أحوال حياة ابن الشعار التي لم تكن متوفرة في مصدر من مصادر تاريخية، وقد التقطها الدكتور رضوي من ثمانية أجزاء للمخطوط، حيث إن معظم هذه الأحوال مأخوذة من تلك الأسفار التي قام بها ابن الشعار في سبيل الحصول على شعر ذلك الزمن، ثم سجّلها مع تحديد التاريخ في كتابه هذا، فبيان هذه الأسفار لابن الشعار مبثوث في ثنايا ثمانية أجزاء للمخطوط، ولست مبالغاً إذا قلت إن جمع أحوال أحد بهذا الطريق ومن مثل هذا المخطوط لم يكن أقل صعوبة من التقاط المِلحِ بالأجفان – حسب التعبير الأردوي –.

٢. قارن الدكتور رضوي في الهوامش المعلومات الموجودة في متن الكتاب مع المصادر الأخرى.

٣. ألحق الدكتور رضوي في نهاية الكتاب الفهارس الفنية الرائجة في الكتب العلمية من فهرس الشعراء الذين أحوالهم مذكورة في الكتاب، وفهرس الأعلام

الواردة في الكتاب، وفهرس الأماكن، وفهرس الكتب، وفهرس كلمات الحضارة والمصطلحات الشائعة في ذلك الزمن، وفهرس القوافي، وفهرس المصادر التي أحال عليها المحقق خلال تحقيق هذا الكتاب.

٤. بسبب كونه فارس ميدان علم العروض، اهتم الدكتور رضوي بذكر البحر العروضي أيضاً قبل كل بيت أو قصيدة وردت أثناء الكتاب.

وقبل أن أنهي الحديث عن هذا الكتاب، أرى من المناسب أن أشير إلى أن جميع أجزاء هذا الكتاب قد نُشرت بمساعي الأستاذ كامل سلمان الجبوري الذي حقق هذا الكتاب، وقامت بنشره دار الكتب العلمية ببيروت، وذلك سنة ٢٠٠٥م، وقد ذكر كامل سلمان الجبوري في مقدمة كتابه أنه انتفع من تحقيق الأستاذ الدكتور خورشيد رضوي قائلاً:

«وأنجزت تحقيق كامل الكتاب، وقبيل تقديمه للمطبعة علمت بصدور الجزء السادس من الكتاب محققاً من قبل الدكتور خورشيد رضوي، الأستاذ الزائر بمركز الشيخ زايد الإسلامي في جامعة البنجاب، لاهور، الباكستان، وتوقفت عن طبع الكتاب ريثما أطلع على نشرة د. رضوي، ولم تكن وسائل البريد أمينة يومذاك في العراق، فقد راسلته عن طريق المركز المذكور من مقر إقامتي في بيروت للحصول على نسخة منه، وتفضل مشكوراً بإرسال نسخة منه. وقد استفدت منها في الاهتداء لبعض القراءات، وصوّبت بعض الكلمات التي وردت فيها بقراءة مغايرة، مشيراً إلى مواضع الانتفاع من تحقيق وتعليق الدكتور الرضوي».[١]

ترجمة عربية لـ«قرار المحكمة الشرعية الفيدرالية الباكستانية بشأن الربا»:

أما الكتاب العربي الثاني للدكتور رضوي فهو عبارة عن ترجمة عربية لـ"قرار المحكمة الشرعية الفيدرالية الباكستانية بشأن الربا"، هذا الكتاب – كما يظهر من

١– الجبوري، كامل سلمان، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، دار المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، الجزء الأول، ص:١٤.

عنوانه - عبارة عن ذلك القرار التاريخي الذي اتخذته المحكمة الشرعية الاتحادية الباكستانية سنة ١٩٩٢م. كان هذا القرار باللغة الإنجليزية، وفي صورة كتاب ضخم، وكان ذا أهمية بالغة، وخطوة مهمة في سبيل اتخاذ الربا محرماً في النظام البنكي، فأراد العلماء السعوديون وأصحاب البنوك الاطلاع على محتوياته والإفادة منه ونقله إلى العربية، فاتصل أصحاب المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب والبنك الإسلامي للتنمية بالمملكة العربية السعودية بالأستاذ رضوي، وطلبوا منه أن يقومَ بهذه المهمة، وقد طُبعت هذه الترجمةُ في المملكة العربية السعودية باسم: "حكم المحكمة الشرعية الاتحادية الباكستانية بشأن الفائدة (الربا)،[١] تحتوي هذه الترجمة على ٥٢٠ صفحة.[٢]

ترجمة أردوية لكتاب «محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية» للدكتور فؤاد سيزكين:

ومن أعماله ترجمةٌ أردويةٌ لـكتاب عربي معنون بـ«محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية» للدكتور فؤاد سيزكين (المولود في ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م) المحقق والباحث الشهير، وهو عبارة عن ثلاث عشرة محاضرةً للدكتور سيزكين، أُلقيَ مُعظمُها في جامعةِ الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ترجمها الأستاذ رضوي باسم «تاريخ علوم ميں تہذيب اسلامى كا مقام».[٣] أما عناوين المحاضرات التي ترجمها الأستاذ رضوي فهي:

١. تأريخ التراث العربي؛ أهدافي ومنهجي في إعداده.

٢. مكانة المسلمين والعرب في تأريخ العلوم.

٣. مكانة العلماء المسلمين والعرب في تاريخ الطب.

---

١ - انظر: حكم المحكمة الشرعية الاتحادية الباكستانية بشأن الفائدة (الربا)، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب - البنك الإسلامي للتنمية، المملكة العربية السعودية، جدة، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. واسم الأصل بالإنجليزية:
Federal Shariat Court Judgment on Interest) Riba ,(P.L.D Publishers1992 ,

٢ - يجدر بي أن أذكر أن المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب لم يكتب اسم المترجم على الغلاف أو داخل الكتاب، ولم يُشر إليه، إلا أنهم أرسلوا إلى الأستاذ المترجم شهادة توثق بأنه قام بهذه المهمة.

٣ - سيزكين، فؤاد (الدكتور)، تاريخ علوم مين تہذيب اسلامي كا مقام، ترجمة: رضوي، خورشيد أحمد (الدكتور)، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، الطبعة الاولى: ١٩٩٤م، مقدمة.

٤. مكانة المسلمين والعرب في تاريخ علم الكيمياء.

٥. مكانة العلماء المسلمين والعرب في تاريخ الرياضيات.

٦. مكانة الفلكيين المسلمين والعرب في تاريخ علم الفلك.

٧. علم الفلك العربي في أوروبا.

٨. مكانة العلماء المسلمين والعرب في تأريخ الآثار العلوية (المترولوجيا).

٩. قضية أثر العلوم العربية والإسلامية في النهضة الأوروبية.

١٠. أهمية الإسناد في العلوم العربية والإسلامية.

١١. مصادر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني.

١٢. الشعر العربي القديم بين الأصالة والانتحال.

١٣. حول قضية أسباب ركود الثقافة الإسلامية.

عربي شاعري (الشعر العربي من بدايته إلى العصر الأموي)

ومن كتبه التي تتعلق بالأدب العربي كتابه "عربي شاعري" (الشعر العربي)، وهو عبارة عن تلك المحاضرات الأردوية التي ألقاها الدكتور رضوي على طلاب البكالورية بجامعة بنجاب، وقام مركز الشيخ زايد للدراسات الإسلامية بجامعة بنجاب بلاهور بنشرها في صورة كتاب، وذلك سنة ٢٠٠١م. ينقسم هذا الكتاب إلى ثلاثة محاور أساسية هي:

١. المعلقات وأصحابها، وتحت هذا العنوان ذكر الدكتور رضوي باختصار أحوال شعراء المعلقات، وهم: امرؤ القيس وطرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمى ولبيد بن ربيعة وعمرو بن كلثوم وعنترة بن شداد والحارث بن حلزة.

٢. الشعراء المخضرمون، وهم: حسان بن ثابت والخنساء وكعب بن زهير رضي الله عنهم.

٣. الشعراء الإسلاميون، وهم أولئك الشعراء الذين أدركوا عصر بني أمية، ذكر الدكتور رضوي أحوال جميل بن معمر وعمر بن أبي ربيعة والأخطل والفرزدق وجرير.

ذكر الدكتور رضوي تحت هذه العناوين تراجم هؤلاء الشعراء، وقدّم أمثلة من شعرهم، ووضّحها باللغة الأردوية، وكما ذكرنا في السطور الماضية فإن هذه المحاضرات كانت قد أُعدّت في بداية الأمر للطلاب. ونجد في نهاية كل عنوان تمارين مشتملة على أسئلة متعلقة بالبحث، تُعين على فهم هذه الدروس.

ومن ميزات هذا الكتاب أن اللغة التي استخدمها الدكتور رضوي فيه سهلة جداً، وأسلوبه جميل أخّاذ ومناسب لمستوى الطلاب، ولذلك يستطيع الطالب الإفادة منه بدون مساعدة أستاذ، كما أننا نرى الدكتور رضوي يستشهد بالآيات القرآنية والأبيات الفارسية والأردوية لتوضيح معاني الأبيات العربية، ولتكون الإفادة منها أكثر، فمثلاً: في شرح البيت التالي لزهير بن أبي سلمى:

وكائن ترى من صامت لك معجب--زيادته أو نقصه في التكلم[1]

قد أورد الدكتور رضوي بيتاً من أبيات الشيخ السعدي - الشاعر الفارسي الشهير - وهو:

تا مرد سخن نگفته باشد عيب وهنرش نهفته باشد

(تبقى معايب الرجل ومحاسنه في الخفاء إلى أن يتكلم)

وكذلك بعد شرح البيت التالي للحارث بن حلزة:

أيها الناطق المُرقِّش عنا عند عمرو وهل لذاك بقاء[1]

يقول الدكتور رضوي:

«قد مدح الشاعر في هذا البيت الملك بأسلوب غير مباشر، (وأشار بطريق خفي إلى) أن الملك رجل محنك وبصير، وهو الذي سوف يُدرك حقيقة الأمر. وكما يقول غالب - الشاعر الأردوي الشهير -:

١- الزوزني، أبو عبدالله الحسين بن أحمد، شرح المعلقات السبع، الدار العالمية، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص: ٨٤.

٢- نفس المرجع، ص: ١٤٩.

جامِ جہاں نما ہے شہنشاہ کا ضمیر   سو گند اور گواہ کی حاجت نہیں مجھے

أي إن ضمير الملك مثل كأس الملك «جمشيد» (الذي كان يرى العالم كله في ذلك الكأس)،[١] ولست في حاجة إلى يمين أو شاهد.

تأليف:

من كتبه المتعلقة بالأدب العربي كتابه "تاليف"، إنه عبارة عن مقالات مختلفة تستبطن معلومات قيمة عن الأدب الأردوي وأصحابه والأدب العربي وأصحابه، نُشرت أولاً في مجلات مختلفة، ثم جُمعت في صورة كتاب، أما المقالات المتعلقة بالعربية[٢] فهي كما يلي:

العلامة عبدالعزيز الميمني (أديب العربية الكبير):[٣]

يرسم لنا هذا المقال صورة حيوية حقيقية للأستاذ الكبير والباحث العربي العظيم العلامة عبدالعزيز الميمني (١٨٨٨م-١٩٧٨م).[٤] وقد سجّل الدكتور رضوي فيه ذكريات تلك الشهور التي قضاها بسبب مرضه في مدينة لاهور في نهاية سنة ١٩٦٤م وبداية سنة ١٩٦٥م، وكان طبيبه قد نصحه بالمواظبة على المشي على الأقدام مرتين يومياً،

١- شخصية أسطورية ورد ذكرها في كثير من الأساطير الفارسية، وخاصة في "الشاهنامة" للفردوسي، والأسطورة تقول إنه كان لهذا الملك كأس يرى به كل أحداث الدنيا.

٢- ومن بحوثه المتعلقة بالعربية بحثه المختصر المعنون بـ"فجوة الأجيال ومظاهر التمرد على آداب العلاقة بين الكبار والناشئة"، وهو عبارة عن كلمة ألقاها الدكتور رضوي بالعربية في ندوة عُقدت في الجامعة الإسلامية العالمية ثم نُشرت على صفحات مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد:٢١، العدد:٣ (يوليو - سبتمبر ١٩٨٦)، ص:٨٩-٩٢. وكذلك قام بترجمة عربية للبحث الإنجليزي لأستاذه الدكتور شير محمد زمان، وذلك تحت عنوان: نظرة عجلى على كتاب معجم السفر ونسخه الخطية. نُشرت هذه الترجمة على صفحات مجلة الدراسات الإسلامية المجلد : ٢١، العدد: ٢(أبريل - يونيو ١٩٨٦)، ص: ١٩-٥٧.

٣- نُشر هذا المقال أولاً سنة ١٩٨٣م في «مجلة فكر ونظر» الأردية، مجمع البحوث الإسلامية بإسلام آباد.

٤- راجع لمعرفة أحواله: الفاروقي، جمال الدين والآخرون، أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الطبعة الأولى: ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٣م، ص: ٣٢٩ - ٣٤١. و أظهر، ظهور أحمد (الدكتور)، "جوانب مجهولة من حياة عبدالعزيز الميمني الراجكوتي"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ٢٠٠٠م، العدد:٢٩-٣٠، ص:١٥٢-١٦٨، و هذا المقال جزء من الكتاب الذي بين يديك. (المحرّر)

صباحاً ومساءً، وفي تلك الأيام تعرّف على الأستاذ الميمني، فقد ذكر في هذا البحث أنه كان يقصد بيت الأستاذ الميمني الذي كان قريباً من بيته بعد تناول العشاء، فكانا يخرجان للمشي في الحديقة ويمشيان نصف ساعة أو أكثر، ويتكلمان حول موضوعات علمية عربية مختلفة، فما هي الموضوعات التي كانت تُناقش في هذه التجولات؟ يُلقي عليها ضوءاً الحوار التالي (بالأردوية):

«ويومًا من الأيام تكلّم «الميمني» عن تضمين قرآني عجيب لشاعر قام به في بيت من أبياته ارتجالاً... وأنا لا أزال أشعر بلذته حتى اليوم... قال الميمني: إن قاضياً كان يعيش في مدينة لوشة بالأندلس، وكانت زوجته ذكية وفطينة جداً، ومرة رُفعت إلى القاضي قضية معقدة متعلقة بالإرث، فلما عاد إلى بيته وجدته زوجته غارقاً في التفكير، فسألته الزوجة عن السبب لكنه رفض الإشعار بالقضية قائلاً بأنك لا تستطيعين فهمها، فلم تزل تُلحّ عليه حتى باح بما كان يُثقل خاطره من تلك القضية، فلم تلبث أن قدّمت حلّاً لها، فتحيّر القاضي من ذكائها وتعجّب من فطانتها، فمنذ ذلك اليوم جعل خلف كرسيه في المحكمة فتحة تجلس زوجته وراءها، وبدأ يستشيرها في حل القضايا ويُفيد من آرائها، ويومًا من الأيام رُفعت إليه قضية شاعر، فلما رآه الشاعر على هذه الحال قال مرتجلاً:

بلوشة قاضٍ له زوجة   وأحكامها في الورى جارية

فياليته لم يكن قاضياً   ويا «ليتها كانت القاضية»

فاقتباس الشاعر الآية القرآنية في الشطر الثاني للبيت الأخير ارتجالاً، وهذا الأسلوب الطريف لم يكن إلا إلهامًا من الله سبحانه وتعالى.[1]

وفي يوم من الأيام ذكر الميمني أن لمصدر «القول» أكثر من معنى في العربية، وأنه يؤدي معنى الإشارة أيضًا، وفي هذا الصدد شنّف أذني بإنشاد هذين البيتين النادرين:

١- رضوي، خورشيد، تأليف، ص:٥٩.

مـــررت بعـطـــار يـــدق قرنـفـــلاً ومـسكـــاً وكـافـــوراً فقـــلت لـــه

فقـــال لي العطـــار رد قـرنـفـــلي ومسـكي وكـــافـوري فقـــلت لـــه

يقول بعد ذلك الدكتور رضوي (بالأردوية):

«ففي نهاية كل بيت وُضعت نقاط، وهي إشارة إلى أن البيت ينقص من ناحية العروض الشعري ما يساوي «سبباً خفيفاً» أو وتداً مجموعاً، أي «علن».[1] وكذلك لا يؤدي هذان البيتان مفهوماً كاملاً، فالسؤال الذي يقرع الذهن فورًا بعد سماعهما هو: ماذا قال الشاعر للعطار؟ فوضّح الأستاذ الميمني بأن معنى «قلت له» في هذا البيت غير الذي يأتي في أذهاننا، فالقول هنا بمعنى الإشارة، أي لما مرّ الشاعر بعطّار أشار بأنفه مستنشقاً، ووضّح الأستاذ الميمني هذه الإشارة عملاً بأن هزّ رأسه مثل الرجل الذي يُعجبه طِيب فيتنفس الصعداء ويحاول أن يشتمّه طويلاً. وفي البيت الثاني، لما طلب منه العطار أن يرد إليه قرنفله ومسكه وكافوره أشار بأنفه مستنثراً، وأعاد ما اشتمّه بإخراجه من أنفه، لأنه كان السبيل الوحيد لإعادة ما اشتمّه، ووضّح الأستاذ الميمني بإخراج الهواء من أنفه بالشدة. وبهذه الإشارة أكمل ما كان ناقصا من وزن الشعر».[2]

بير صاحب:

هذا المقال يدور حول الدكتور بير محمد حسن (٤ مارس ١٩٠٤م - ١٩ أغسطس ١٩٩٩م)، وهو أحد أعلام اللغة العربية في باكستان. قضى حقبة طويلة من حياته في تحقيق معجم العباب الزاخر للصغاني، وكان عالماً بأسرار اللغة العربية وعارفاً بدقائقها، تعرّف عليه الدكتور رضوي خلال تلك السنوات الست التي قضاها في معهد البحوث الإسلامية بإسلام آباد، وسرد الدكتور رضوي في هذا المقال أحوال لقاءاته وألقى

١- جماع القول أن هذين البيتين لا قافية لهما، ويتضح لكل من يقرأ العبارة للدكتور رضوي أن صوت الاستنشاق في البيت الأول وصوت النفث في البيت الثاني يحلان محل القافية.

٢- رضوي، خورشيد، تأليف، ج:٥٩-٦٠.

خلالها ضوءاً على مكانة هذا العالم الفذّ واللغوي الضليع، وتمهره البالغ وتضلعه الشديد في اللغة العربية، كان يلقاه الدكتور رضوي في مكتبة مجمع البحوث الإسلامية ويحاوره حول موضوعات تتعلق باللغة العربية منها (بالأردوية):

«فيوماً من الأيام بينما كنا نتجاذب أطراف الحديث قال إن كلمة «قوم» تختص بالذكور دون الإناث، والدليل على ذلك بيت الشاعر التالي:

ولا أدري ولست أخال أدري   أقوم آل حصن أم نساء؟[1]

وخير دليل عليه الآية المباركة التالية التي يقول فيها الله جلّ وعلا:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾[2]

وفي يوم قال لي إن الكلمات على وزن فِعال تُجمع على وزن أفعلة إذا كانت مذكرة وعلى وزن أفعل إذا كانت مؤنثة، ما عدا كلمة لسان فجمعها يكون ألسنة و ألسن حسب كلا الوزنين، وذلك لأنها تُستخدم مذكرة ومؤنثة معاً.[3]

وإن كُتُب المكتبة التي ظلّت تحت تصرّف الدكتور بير محمد حسن نجد بها ملاحظاته القيمة المكتوبة بخط يده من موضع إلى موضع، وهي إن دلّت فإنما تدل على نبوغه في العلم ودقة نظره في أعماق اللغة، ومدى اجتهاده الذي بذله في هذا الميدان، فمثلاً: كتب ابن منظور الأفريقي في كتابه «لسان العرب» تحت مادة «ذءج» قول الفراء التالي:

«ذئج وضئم وصئب وقئب إذا أكثر من شرب الماء.[4]

وقد كتب الدكتور بير حسن في الهامش مصححاً الخطأ الوارد في النص: صئم

١- زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص:١٧. واللفظ: وما أدري...

٢- الحجرات، ١١.

٣- رضوي، تأليف، ص:٧١.

٤- الأفريقي، ابن منظور، لسان العرب، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج:٥، ص:١٧.

بالصاد المهملة، فتصحيح هذه النقطة الوحيدة بهذا اليقين المحكم يحتاج إلى جهود سنوات وسنوات، كما أنه يدلّ على نبوغه وتضلعه في هذا الميدان.(1)

وكذلك في كتاب تهذيب اللغة تحت مادة «ف ر ش» يُوجد في المتن:

وفي نوادر الأعراب «أفرشت الفرس إذا استأنت».(2)

وكتب الدكتور بير حسن في الهامش:

«الصواب: استأتت، أي: طلبت أن تُؤتى».

وفي نفس المادة بعد سطور نجد العبارة التالية:

وقال الشماخ......

وكتب الدكتور بير حسن في الهامش:

هو لذي الرمة، راجع ديوانه، ص:١٣٧. (3)

الدكتور طه حسين:

هذا البحث الأردوي – كما يظهر من عنوانه – يعرّف أصحاب الأردوية بعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين (نحو ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م-١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، واعتمد الدكتور رضوي في تأليف هذا البحث على كتاب الأيام للدكتور طه حسين، حيث إن معظم المعلومات مستفادة منه، وبعد هذا البحث نقل الدكتور رضوي إلى الأردوية مقال الدكتور طه بعنوان: «إقبال، الشاعر الذي فرض نفسه على الدنيا» الذي ألقاه في مؤتمر عقده الدكتور عبدالوهاب عزام (١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م- ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م) في مصر، وكان موضوع ذلك المؤتمر شاعرنا محمد إقبال، ففي هذا المقال قارن الدكتور طه

١- رضوي، تأليف، ص:٧٥.

٢- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق ابراهيم، محمد أبو الفضل، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ج:١١، ص: ٣٤٧.

٣- والبيت هو : راحت يقحمها ذو أزمل وسقت––له الفرائش والسلب القياديد
انظر: ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، شرح: الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص:٤٧١.

حسين بين إقبال وأبي العلاء المعري، وناقش آراء ونظريات كلٍ منهما، وبحث عن أوجه التشابه والتباين بينهما، كما أنه تناول سيرهما في السماء.

«إقبال» واللغة العربية والعالم العربي:

في بحثه المعنون بـ"إقبال واللغة العربية والعالم العربي" (بالأردوية)؛ تحدّث الدكتور رضوي عن محمد إقبال وولوعه باللغة العربية والعالم العربي،[1] وأخبر قراءه بأن الشاعر محمد إقبال كان يُحبُّ العرب والثقافة العربية الساذجة حباً شديداً، ويولع بأرض الحجاز ولوعاً بالغاً، وكانت أمنيته الشديدة أن يوافيه أجله وهو في الحجاز، وهذا ما تمناه في بعض أبياته أيضاً. وعلى سبيل المثال أنه لما وصل إليه خبر فتح مستشفى جديد في الحجاز قال على التوّ:

اوروں کو دیں حضور ! یہ پیغام زِندگی　　　میں موت ڈھونڈتا ہوں زمینِ حجاز میں [2]

يا حضرة المبشر (الذي يبشرني بافتتاح مستشفى جديد في الحجاز) بَشِّر الآخرين ببشرى الحياة هذه، أما أنا فأتمنّى الموت في أرض الحجاز.

كما أنه في مكان آخر يقول مخاطباً رسول الله ﷺ بما معناه:

حياتي فارغة من زاد العمل

ولا أرى نفسي جديراً بهذه الأمنية

وأشعر بخجل شديد (الآن) وأنا أقدمها إلى حضرتك

إلا أن كرمك ولطفك يمنحني هذه الجرأة

رحمتك وسعت كل العالمين

١- نجد صدى هذا المقال في مقاله الآخر العربي الذي نشرته مجلة الكلية الشرقية باسم "أفكار العلامة محمد إقبال حول عالم العرب واتحاد الأمة المسلمة" في عددها الثالث سنة ٢٠١٢م. تناول الدكتور رضوي في ذلك المقال بعض مباحث هذا المقال.

٢- إقبال، كليات إقبال الأردية، ص:١٩٨.

فأمنيتي أن ألفظ أنفاسي الأخيرة في أرض الحجاز [١]

إنه، ولو لم يقرض الشعر بالعربية وجعل اللغتين الأردوية والفارسية وعاء لما اختلج في صدره، إلا أن مفاهيم شعره عربية وحجازية على حد تعبيره، يقول:

عجمی خم ہے تو کیا، مے تو حجازی ہے مری　　نغمہ ہندی ہے تو کیا، لے تو حجازی ہے مری [٤]

لا بأس إذا كانت الكأس عجمية لأن الخمر التي صببتها فيها هي حجازية ولا حرج إذا كانت الأنشودة هندية ما دامت نغمة صوتي حجازية بحتة.

فهذا الحب الشديد للقرآن وصاحبه ولغته جعل محمد إقبال يُفعم شعره بالمفاهيم المستقاة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأدب العربي، وقد أورد الدكتور رضوي في هذا المقال كثيراً من الأمثلة الشعرية الدالة على ذلك، وحسبنا مثال واحد منها:

كان جذيمة الأبرش – ملك من ملوك العصر الجاهلي – رجلاً مزهوًّا بنفسه، قد نُسبت إليه روايات كثيرة تُعدّ من قبيل الأساطير، فيرُوى أنه كان لا يرى أحداً على وجه الأرض يستحق أن يكون نديماً له، كما أنه كان قد اتخذ الفرقدين، وهما نجمان في السماء، نديمين له، وكلما شرب الخمر أراق على الأرض كأساً باسمهما. هذه الرواية قد جعلها كثير من الشعراء العرب موضوعاً لشعرهم، وتناولوها بأساليب مختلفة، يقول واحد منهم:

شربنـــا وأهرقنا عـلى الأرض جرعــــة　　وللأرض من كـأس الكـرام نصـــيب [١]

١- أما الأبيات الفارسية فهي:-

زندگي را از عمل ساماں نبود- پس مرا اين آرزو شاياں نبود
شرم از اظهار او آيد مرا--شفقت تو جرأت افزايد مرا
هست شان رحمت گيتي نواز--آرزو دارم كه ميرم در حجاز

اقبال، كليات اقبال الفارسية، شيخ غلام علي ايند سنز، لاهور، ص: ١٦٩-١٧٠.

٢- إقبال، كليات إقبال الأردية، ص:١٧٠.

٣- هذا البيت للشاعر عبدالغني النابلسي.

أخذ إقبال تركيب «كأس الكرام» من هذه الرواية واستخدمه في بيته التالي:

عشق کی مستی سے ہے پیکرِ گل تابناک عشق ہے صہبائے خام، عشق ہے کأس الکرام[١]

أي إن هذا الوجود الترابي مضيء بنشوة العشق، والعشق هو الصهباء الخالصة، والعشق هو كأس الكرام.

وبعد ذكر علاقة إقبال باللغة العربية وحبه للعرب، تطرّق الدكتور رضوي إلى سرد علاقة العرب بشعر إقبال، فذكر أولئك الأعلام العرب وغيرهم «الإقباليين» [٢] الذين ينتمون إلى دول عربية وغيرها مختلفة، أمثال الدكتور عبدالوهاب عزام (١٨٩٤م-١٩٥٩م) والعلامة أبي الحسن علي الندوي (١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م-١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩) والدكتور حسين مجيب المصري (١٩١٦م-٢٠٠٤م) والشاعر الصاوي شعلان (١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م-١٤٠٣ه/ / ١٩٨٢م) والدكتور محمود أحمد غازي الباكستاني (١٩٥٠م-٢٠١٠م) ومحمد محمود الزبيري اليمني (١٩١٠م-١٩٦٥م) والدكتور سمير عبدالحميد إبراهيم (المولود في ١٩٤٦م) والدكتور حسن محمود الشافعي (المولود في ١٩٣٠م) ونجيب الكيلاني (١٩٣١م- ١٩٩٥م) وعبدالمعين الملوحي (١٩١٧م-٢٠٠٦م) وغيرهم، الذين أدلوا بدلوهم في نقل شعر إقبال الفريد وفكره المتميز إلى العربية وتقريبهما إلى ذهن القارئ العربي.

نجيب محفوظ (الأديب الحائز على جائزة نوبل):

هذا البحث محاولة ناجحة لتعريف أصحاب الأردوية بنجيب محفوظ (١٩١١م-٢٠٠٦م) - الكاتب المصري الكبير - الذي حاز جائزة نوبل في الأدب العربي سنة ١٩٨٨م. في هذا البحث ألقى الدكتور رضوي ضوءاً على حياة نجيب محفوظ ومكانته بين الأدباء، كما أنه تناول بإيجاز نتاجات قلم نجيب محفوظ في القصة القصيرة والرواية، وكذلك نقل إحدى قصصه القصيرة في النهاية تحت عنوان "حادثة".

١- إقبال، العلامة، كليات اقبال (بالأردية)، شيخ غلام على اينڈ سنز، لاهور، ١٩٨٢م.ص:٣٨٦.

٢- يُطلق هذا اللقب على أولئك العلماء الذين جعلوا محمد إقبال موضوع بحوثهم.

الشعر العربي في الأندلس:

يحتوي هذا البحث على خمسين صفحة من الكتاب، وهو أطول بحث فيه، و«قد أدى الدكتور رضوي حق النقد والتحقيق في هذا الموضوع... إنه فصّل القول في دراسة الشعر العربي الأندلسي، فصار هذا البحث تاريخاً موجزاً لتقدم المسلمين وانحطاطهم في الأندلس». [1]

إنه يرى أن الشعر الأندلسي لم يكن إلا امتداداً للشعر في البلاد الشرقية، وأن المقاييس الشعرية التي كانت قد وُضعت في الزمن الجاهلي معظمها لم تزل رائجة في قرطبة وإشبيلية كما كانت رائجة في بغداد ودمشق، وكان المغاربة يُقلدون الشرق في نظم الشعر في الأسلوب والمعاني، وخير دليل على ذلك أنهم كانوا قد لقّبوا ابن زيدون (٣٩٤هـ/ ١٠٠٤م- ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م) بلقب البحتري (٢٠٦هـ/ ٨٢١-٢٨٤هـ/ ٨٩٨م) وابن هاني (م:٣٦٢هـ/ ٩٦٥م) بلقب المتنبي (٣٠٣هـ/ ٩١٥م -٣٥٤هـ/ ٩٦٥م).

فالشعراء الذين أورد الدكتور رضوي نماذج شعرهم في هذا البحث منهم: عبدالرحمن صقر قريش (١١٣هـ/ ٧٣١هـ -١٧٢هـ/ ٧٨٨م)، وابن عبد ربه (٢٤٦هـ-٣٢٨هـ)، وأبو القاسم محمد بن عباد المعتمد على الله (م٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) وأبو البقاء الرندي (٦٠١هـ-٦٨٤هـ)، وابن خفاجه (٤٥٠هـ-٥٣٣هـ)، وابن اللبانة (م:٥٠٧هـ/ ١١١٣م)، وابن عبدون (٥٢٧هـ/ ١١٣٥م)، وابن زيدون وولادة (م:٤٨٤هـ/ ١٠٩١م)، ومحمد بن هاني، وعلي بن أحمد بن حزم (٣٨٤هـ/ ٩٩٤م- ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) ومحيي الدين محمد بن علي بن محمد بن العربي (م:٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)، ولسان الدين ابن الخطيب محمد بن عبدالله (م:٧٧٦هـ/ ١٣٧٤هـ) وابن الآزمرك أبو عبدالله محمد بن يوسف (٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م- نحو ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م).

١- هذا رأي أحمد نديم قاسمي حوله، وهو من كبار أدباء اللغة الأردية. انظر: قاسمي، أحمد نديم، «نقاد، محقق، شخصيت نگار اور مترجم» مقال ضمن كتاب: زاهد منير عامرالدكتور، أرمغان خورشيد، ص: ٨١.

كان الشعب الأندلسي شعباً شاعراً، فكان أغنياؤهم وفقراؤهم وسادتهم وعبيدهم وخاصة الناس وعامتهم يقرضون الشعر ومشغوفين به، فهذا القزويني قد كتب في كتابه آثار البلاد خلال كتابته حول مدينة شلب التي كانت قريبة من مدينة باجة الشهيرة:

«من عجائبها ما ذكره خلق لا يُحصى عددهم أنه قلّ أن يُرى من أهل شلب من لا يقول شعراً ولا يتعانى الأدب، ولو مررت بالحراث خلف فدانه وسألته الشعر لقرض في ساعته أي معنى اقترحت عليه وأي معنى طلبت منه صحيحاً!».[١]

وكذلك ألقى الدكتور رضوي ضوءاً على صنف الموشح والزجل اللذين يُعدان من مبتكرات الأندلسيين.

وقد أعجبتني جداً تلك السطور الأردوية النهائية التي اختتم بها الدكتور رضوي هذا المقال، ومفادها:

«يُروى أن الصليب لما رفرف بدل الهلال على غرناطة في ثاني يناير سنة ١٤٩٢م، وغادر أبو عبدالله – آخر ملوك غرناطة – تلك الأرض للأبد، بقلب متقطع وخطوات ثقيلة؛ مصاحباً أهله وصحبه، ووصل إلى الجبال، ولىّ هذا الملك المهزوم وجهه شطر غرناطة وألقى نظرة أخيرة على عبارة «لا غالب إلا الله» التي كانت منقوشة على حيطان الحمراء وجدرانها، تأوّه تأوّهاً ملؤه الحزن، وأنشأ يبكي بكاءً مُرًّا. يُسمّى هذا المكان في الأسبانية حتى الآن باسم El último Suspiro del Moro أي «الزفرة الأخيرة للمسلم».[٢] فهذه الزفرة الأخيرة نتصورها مقطعاً للشعر العربي في الأندلس، وهل من اللازم أن يبدو الشعر في حُلّة الألفاظ دائماً؟...».[٣]

١– القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت ١٩٦٠م، ص:٥٤١.

2- Hitti, History of the Arabs, p:555.

٣– رضوي، خورشيد، تأليف، ص:٢٠٦.

أطراف

كذلك نُشر للدكتور رضوي كتاب آخر باسم "أطراف"، وهو يحتوي على بحوثه باللغتين الأردوية والإنجليزية، نُشرت هذه البحوث أولاً في مجلات مختلفة وفي أوقات متباينة، ثم أُلفت وجُمعت في صورة كتاب على نفقة أكاديمية باكستان التابعة لوزارة الإعلام والثقافة لإقليم بنجاب، هذه البحوث متنوعة الموضوعات، أما البحوث التي تتعلق بالأدب العربي في هذا الكتاب فهي:

١ - الأبيات المنقوشة على الحجرة النبوية في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام[١]

هذا البحث ترجمة وشرح بالأردوية لتلك الأبيات المدحية التي حُفرت ونُقشت بحبر ذهبي على الجدران الخارجية للحجرة النبوية الشريفة.

هذه الأبيات مأخوذة من قصيدة السلطان عبدالحميد خان بن سلطان أحمد خان الذي نظمها سنة ١١٩١هـ، فهل من أحد يستطيع أن يُدرك مدى تلك العاطفة وذلك الإخلاص اللذين كان يحملهما هذا الشاعر في طيات قلبه؟ أو تلك الكيفية والحالة الذهنية التي كانت تنتابه حينما نظم هذه القصيدة التي ليست قوية جداً من الناحية الفنية، وقد تكلم فيها بعض النقاد،[٢] ولكنها على رغم ذلك استحقت أن تُنقش على قبر الممدوح - عليه الصلاة والسلام -، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

٢- القصيدة الشمسية (تراث قيم من مديح الرسول ﷺ)[٣]

هذا البحث عبارة عن نقد قصيدة موضوعها مدح رسول الله ﷺ، وهي لشاعر اسمه محمد بن سعد بن عبدالله بن سعد ابن مفلح بن هبة الله بن نمير الأنصاري الصالحي

١- نُشر هذا المقال أولاً سنة ١٩٩٩م.

٢- يقول إبراهيم رفعت باشا في كتابه مرآة الحرمين: ومكتوب على الحجرة في جهاتها المختلفة شعر ركيك أبى قلمي أن يخط منه إلا هذين البيتين، انظر: خورشيد رضوي، أطراف، ص:٢٣ـ إحالة على، باشا، إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، القاهرة، الجزء الأول، ص:٤٧٥.

٣- كتب الدكتور رضوى مقالين حول القصيدة الشمسية، أحدهما باسم «القصدية الشمسية» وهو بالأردية ويتضمنه كتابه «أطراف» وثانيهما باسم «تراث قيم من مديح الرسول ﷺ» و هو بالعربية، راجع مجلة الكلية الشرقية ٢٠١٤ م.

الحنبلي، وكنيته ابن مفلح، واشتهر بلقب شمس الدين المقدسي. وُلد سنة سبع وسبعين وخمسمائة بدمشق، وعمل ككاتب إنشاء في ديوان الملك الصالح أبي الفداء إسماعيل ابن أبي بكر صاحب دمشق، وتُوفي سنة ٦٥٠ هـ. إنه أنشد لابن الشعار قصيدته بمدح النبي ﷺ، وهذه القصيدة مصدرها الوحيد هو الجزء السادس لكتاب «قلائد الجمان في شعراء هذا الزمان»، حيث إنها لم توجد بعد في مصدر آخر من مصادر التاريخ، عثر عليها الدكتور رضوي خلال تحقيق هذا الكتاب، يقول عنها الدكتور رضوي:

«ولم أجد القصيدة ولا بيتاً منها ولا ذكراً لها في أي مصدر من المصادر التي كانت في متناولي، ولا تشتمل «المجموعة النبهانية في المدائح النبوية» ليوسف بن إسماعيل النبهاني رحمه الله على شيء منها، مع أنها تُعتبر من أضخم ما دُوّن في هذا الموضوع».[1]

وهذه القصيدة يراها الدكتور رضوي حلقة مهمة من تلك السلسلة المباركة التي تتكون من مدائح رسول الله ﷺ عبر العصور، أطلق عليها الدكتور رضوي اسم «القصيدة الشمسية» نسبة إلى قائلها شمس الدين المقدسي، ولها تقدم زمني على قصيدة البردة للبوصيري (٦٠٨هـ/ ١٢١٢م-٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م)، حيث إن الثانية نُظمت في عهد بهاء الدين ابن الحنا الوزير، الذي يبدأ زمن وزارته من ثامن ربيع الأول سنة ٦٥٩هـ، بينما أنشد الشاعر شمس الدين لابن الشعار هذه القصيدة في يوم الأربعاء الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة، ومن المتوقع أن يكون قد نظمها قبل ذلك بمدة، رأت هذه القصيدة النور أول مرة نتيجة لهذا التحقيق، وهي تشتمل على ثمانية وثلاثين ومائة بيت، بدأها الشاعر بأبيات الغزل، وقد عدّ الشاعر في هذه القصيدة مناقب رسول الله ﷺ ومعجزاته، وذكر أصحابه وآله، وأنهاها بالدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى:

١- رضوي، خورشيد، الدكتور، تراث قيم من مديح الرسول ﷺ، مجلة الكلية الشرقية، ع:٤، ٢٠١٤م، ص:١٤.

٢- رضوي، خورشيد، أطراف، ص:٦٩.

إلهي أحـاطت بي الذنـوب ولـيــس لي	**من الـبر مـا أرجـو به العفـو والغـفـرا**
ســوى حسـن ظن فيك ثم شهــادتي	**بأنــك وتـر فــاز مـن عبـد الـوتــرا**
وأني محـــب للـــــنبي وآلــــــه	**وأصحـابه، فاجعـله يا رب لي ذخـرا[٢]**

٣- قصيدة للشاعر عبدالعزيز خالد:[١]

قد جعل الأستاذ رضوي موضوع هذا البحث الأردوي قصيدة من قصائد عبدالعزيز خالد (١٩٢٧م-٢٠١٠م) - الشاعر الأردوي المعاصر - الذي اشتُهر بكثرة اقتباساته من الأدب العربي في أشعاره الأردوية، ولا يغيب عن بال القارئ العربي أن الشعر الأردوي قد نبت في أرض ارتوت بماء لم يكن منهله عربياً، ولم تسقها غوادي المزن العربي، فصوغه بالصياغ العربي لم يكن أمراً هيّناً ميسوراً، بل كان صعباً للغاية، وكانت إمكانيات الفشل في مثل هذه المحاولات أكثر بكثير بالنسبة لإمكانيات النجاح فيها، ولهذا السبب لم تنل كل محاولات عبدالعزيز خالد النجاح، فتعقيد اللهجة وغرابة التلميحات والألفاظ مما جعل شعره ثقيلاً على الآذان والأذهان، وأدى إلى انكماش حلقة قرائه.[٢]

فالقصيدة التي اختارها الأستاذ رضوي للحديث عنها مليئة بالتلميحات الأدبية الجاهلية، والقارئ الخبير عندما يقرأ هذه القصيدة ينتقل ذهنه آلياً إلى بعض القصص التي جرت في العصر الجاهلي، فمثلاً يقول:[٣]

نہیں ہے طُرفہ زمانے میں ماجرا طرفہ کا	تم آل عمرو ہو، ہم پر بھی یونہی وار کروگے
ہم ابلہان سخن نغمہ سنج حسن رہیں گے	بزور وحیل ہمیں تم ذلیل وخوار کروگے

١- نُشر أولاً سنة ١٩٧٥م.

٢- رضوي، أطراف، ص:١٧١.

٣- خالد، عبدالعزيز، حديث خواب، الطبعة الأولى، ماروا ببلشرز، راولبندي، ١٩٧٤م، ص:٩٥.

کسی بھی حرف جنون وفسوں کو آڑ بنا کر ہمیں مقید ومصلوب وسنگسار کروگے[٣]

ليست قصة طرفة (الشاعر) بدعاً من القصص، أنتم آل ابن هند ستهجمون علينا مثله.

نحن الشعراء السفهاء، نستمر في مدح الجهال وأنتم لا تزالون تستخدمون كل ما تمتلكونه من الحيل والسلطان لإذلالنا.

تتذرعون بكلمة من كلمات اللهو والعبث وتجعلوننا محبوسين مصلوبين مرجومين.

فنحن عندما نقرأ هذه الأبيات يأتي في أذهاننا توًّا ما جرى بين طرفة وبين عمرو بن هند وقصة قتل طرفة.

أما صحيفة المتلمس فقد صارت في العربية مثلاً لمن لا يعرف أنه يحمل صحيفة موته بيديه، ولمن يُصرّ على رأيه فيكون فيه حتفه، فقد فتحها المتلمس فنجا، ولم يفتحها طرفة فقُتل،[١] وإلى ذلك أشار عبدالعزيز خالد في بيته التالي الأردوي:[٢]

خریطۂ موت کا نکلا صحیفۂ متلمس زبانِ شاہ کا کیا اب بھی اعتبار کرو گے ؟[٢]

كانت صحيفة المتلمس خريطة للموت، فهل بعد ذلك أيضاً تعتمدون على لسان الملوك؟

كما أنه في بيت من أبيات هذه القصيدة يُشير إلى ما جرى بين سيدنا عمر الفاروق ﵁ وبعضِ أبناء هرم بن سنان، يقال إن سيدنا عمر قال له: أنشدني ما قال زهير فيكم، فأنشده، فقال، والله إنه أحسن فيكم القول، فأجاب: وكنا والله لنحسن له العطاء، فقال له عمر: ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم. يقول عبدالعزيز خالد مشيرًا إليه:

زہیر ہم ہیں ہرم بن سنان تم تو ابد تک عمر کی ہے یہ سند ، ہم پہ افتخار کروگے[٣]

1- http://www.alqabas.com.kw/node/737965

٢- خالد، عبدالعزيز، حديث خواب، ص:٩٥.

٣- نفس المرجع ص:٩٦.

أي نحن أتباع زهير وأنتم من أخلاف هرم بن سنان، فقول عمر خير شهادة على أنكم دائماً تفتخرون بنا.

٤- خصوصية ابن خلّكان:

في هذا البحث الإنجليزي الذي يدور حول ابن خلكان - المؤرخ الكبير - أشار الدكتور رضوي إلى ميل من ميوله الخاصة في كتابه وفيات الأعيان. فقد أخبرنا بأن هذا المؤرخ كان قد وضع لنفسه خطوطاً لم يتخطّها وحدوداً لم يتعدّها[١]، أنه عندما يدرج أحوال شخصية من الشخصيات التاريخية لا يتناول إلا محاسنها، أما المعايب المتواجدة في تلك الشخصية فيصرف النظر عنها قصدًا ولا يذكرها في كتابه، وقد أورد الدكتور رضوي أمثلة كثيرة استشهاداً لدعواه، وقارن بين بيانات ابن خلّكان وبيانات المؤرخين الآخرين أمثال ابن الشعار وابن القفطي (٥٦٨هـ/ ١١٧٢م-٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) وغيرهما عن شخصية ياقوت الحموي (٥٧٤هـ/ ١١٧٨م-٦٢٦م/ ١٢٢٩م)، وأورد اقتباسات من كتاب كل واحد منهم، وأوضح بدلائل بأن الكتب التي جعلها ابن خلّكان مصادر لمعلوماته وأخذ منها مادته كانت تضم جوانب الذم لشخصية ياقوت مع جوانب المدح، وكان ابن خلّكان على علم بهذه المعايب في شخصيته، ولكنه حذفها قصداً ولم يُسجّل في كتابه إلا محاسنه. وهذا الاتجاه؛ أي اتجاه الانحيازية، يمكن أن يُعد ميزة حسنة لابن خلّكان من ناحية الأخلاق ويُثبت أنه كان رجلاً نبيلاً جداً ذا أخلاق سامية، ولكنه يشينه كمؤرخ؛ لأن آراءه تصير بهذا السبب غير متوازنة وغير حقيقية، وبالتالي يصبح كتابه كتاب المدح والثناء أكثر من أن يكون كتاب تاريخ.

١- وقد أشار ابن خلّكان إلى مسلكه هذا في مقدمة كتابه حيث يقول: وذكرت من محاسن كل شخص ما يليق به من مكرمة أو نادرة أو شعر أو رسالة ليتفكه به متأمله... انظر: ابن خلّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، الدكتور، دار صادر، بيروت، بدون ذكر السنة، ج:١، ص:٢٠.

٥- ضريح البوصيري [١]

في هذا البحث الإنجليزي المتعلق بضريح الإمام البوصيري ﵀ لفت الأستاذ رضوي أنظار قرائه إلى خطأ وقع ونُشر في دائرة معارف الإسلام بلائيدن، وهذا الخطأ يتعلق بالمدينة التي يُوجد بها ضريح الإمام البوصيري، فقد كتب Rene Basset (ريفان بازيد) في مقاله عن البوصيري في هذه الموسوعة أن ضريحه يوجد قُرب ضريح الإمام الشافعي بالقاهرة [٢]

ونفس الرأي كُرّر في النسخة العربية لدائرة المعارف:

«وكان قبره قريباً من قبر الإمام الشافعي». [٣]

ونفس البيان نجده في دائرة المعارف الإسلامية الأردوية التي تقول:

ثم أقام بالقاهرة، وبها قضى نحبه سنة ٦٩٦هـ.... ودُفن بجوار قبر الإمام الشافعي [٤]

بينما هذا من المعلوم وتؤيده المصادر الأخرى أيضاً أن ضريح البوصيري في الإسكندرية وليس في القاهرة، يقول زكي مبارك (١٨٩٢م-١٩٥٢م):

«تُوفّي البوصيري سنة ٦٩٥هـ وله قبر مشهور في الإسكندرية، يتصل به مسجد كبير تُدرّس به العلوم الدينية». [٥]

ومن مناصري هذا الرأي تاريخ الأدب العربي الشهير بعنوان الوسيط في الأدب العربي وتاريخه (واحد من مؤلفيه من مدينة الإسكندرية):

«وتُوفّي البوصيري سنة ٦٩٥هـ بالإسكندرية وقبره بها مشهور يزار». [٦]

وقد لفت الدكتور رضوي انتباهنا إلى السبب الذي من أجله وقع هذا الخطأ،

١- نُشر هذا المقال أولاً سنة ١٩٨١م.

2- Encyclopedia of Islam, Leyden ,1st Edition, 1911-1938, vol.1, p:804.

٣- دائرة المعارف الإسلامية، مصر، ١٩٣٣م، ج:٤، ص:٣٢٩.

٤- دائرة المعارف الإسلامية الأردوية، لاهور، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م، الجزء:٥، ص:٥٢.

٥- زكي مبارك، الموازنة بين الشعراء، مصر، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ص:١٦٤، هامش رقم:١.

٦- الإسكندري، أحمد والعناني، مصطفي، الوسيط في الأدب العربي وتأريخه، دار المعارف، مصر، ١٩٥٠م، ص:٢٦٠.

وهو أن عالِماً آخر باسم أبي القاسم هبة الله ابن علي بن مسعود الأنصاري الخزرجي المستنصري (م:٥٩٨هـ) أيضاً مشتهر بلقب البوصيري، وذكره ابن خلّكان في كتابه «وفيات الأعيان» قائلاً: «وتُوفّي الليلة الثانية من صفر سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ودُفن بسفح المقطم» [١] وسفح المقطم هو ذلك المكان الذي دُفن به الإمام الشافعي. وبسبب أن الشاعرين المذكورين كانا يشتركان في اللقب، التبس الأمر على Rene Basset فأدرج معلومات متعلقة بأحدهما تحت الآخر.

عربي ادب قبل از إسلام (الأدب العربي قبل الإسلام):

يكتب الدكتور رضوي في هذه الأيام الجزء الثاني لتاريخ الأدب العربي الجاهلي باللغة الأردوية بالتفصيل، وذلك تحت اسم: «عربي أدب قبل از إسلام» (الأدب العربي قبل الإسلام). وقد طُبع منه الجزء الأول المحتوي على ٧٠٣ صفحات[٢]، ويمكن لنا تقسيم هذا الجزء إلى نصفين: أما النصف الأول (من صفحة ١٧ إلى صفحة ٣١٧) فإنه يشتمل على مباحث تمهيدية، بينما النصف الثاني (من صفحة ٣١٨ إلى صفحة ٦٢٩) عبارة عن الحديث عن المعلقات السبع وأصحابها. أما المباحث التمهيدية فهي مكانة الشعب العربي ولسانهم بين الشعوب السامية وألسنتهم، وجغرافية العرب والحياة النباتية والحيوانية في جزيرة العرب وأحوال العرب الاجتماعية وعلاقة العرب القدامى بأمم قديمة وأثر الثقافات الأجنبية فيهم وأنساب العرب وأيام العرب وأسواقهم ومعتقدات العرب القدامى ونظرة على صلاحياتهم الفنية والعلمية وميزات اللغة العربية وميول العرب الذهنية والتراث الأدبي للعصر الجاهلي والنثر الجاهلي والشعر الجاهلي والشعر الجاهلي حقيقة أم اختلاق؟ والمصادر المهمة للشعر الجاهلي.

ولا أكون مبالغاً إذا قلت إنني لم أجد كتاباً آخر - لا في اللغة الأردوية ولا في غيرها

١- ابن خلّكان، وفيات الأعيان، الجزء السادس، ص:٦٧-٦٨.

٢- إنه يحتوي على تلك المقالات التي نُشرت مسلسلة في مجلة سويرا الأدبية بلاهور، ثم جُمعت في صورة كتاب نشره إدارة إسلاميات بلاهور.

- تناول تاريخ الأدب العربي الجاهلي بمثل هذا الاستيعاب، إنه لم يُغادر صغيرة ولا كبيرة ذات أهمية من أحوال العرب وحياة الشعراء والأدباء الجاهليين إلا وقد أحصاها. وهذا لا يعني أن الدكتور رضوي قد جمع في كتابه كل ما وجده من رطبٍ ويابسٍ وغَثّ وسمينٍ في صفحات التاريخ. فكل من يقرأ هذا الكتاب يُدرك مدى جهد الأستاذ في سبيل انتقاء المواد وأخذها من مظانّها، إنه لم يذكر في كتابه معلومة إلا وقد عزاها إلى أصلها وأحالها إلى مصدرها، كما أنه ليس من أولئك الذين يَخِرّون على الروايات الأدبية صُماً وعُمياناً، بل هو عالم خبير يوجّه في كثير من الأحيان نقدًا إلى تلك الروايات الأدبية الشائعة التي نجدها مبثوثة في ثنايا الكتب الأدبية، التي قام بذكرها أولاً أحد من المؤلفين الشهيرين في كتاب من كتبه بدون إحالتها إلى مصدر، والمؤرخون الذين جاءوا بعده أخذوا تلك المعلومة من ذلك الكتاب فحذوا حذوه، وهكذا شاعت تلك الرواية في الأوساط الأدبية ولم يهتم أحد بأن يبحث في صحة تلك الرواية أو سقمها. أما الدكتور رضوي فإنه جعلها موضوع نقده، منها تلك الرواية الشهيرة التي تتعلق بمكانة الشاعر في العصر الجاهلي، ومنبع هذه الرواية القول الشهير لابن رشيق القيرواني - صاحب العمدة - الذي اعتمد عليه كل من جاء بعده وتحدّث عن مكانة الشاعر الجاهلي، وخاصة المستشرقين الذين لعبوا دورهم في رواج هذا القول مثل نيكلسون والسير تشارلس لايل، أما قول ابن رشيق فهو:

«كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصُنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان لأنه (الشاعر) حمايةٌ لأعراضهم وذَبٌ عن أحسابهم وإشادةٌ بذكرهم، وكانوا لا يُهنّأون إلا بغلام يُولد أو شاعرٍ ينبُغ فيهم أو فرس تنتج».[1]

يرى الدكتور رضوي أنه لاشك في أن الشاعر كانت له أهمية عظمى في ذلك المجتمع،

١- القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: الهنداوي، عبدالحميد، الدكتور، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج:١، ص:٥٣.

وكان دوره في ذلك المجتمع مثل دور أصحاب الإعلام في العصر الراهن، كان الناس يحترمونه ويهابون لسانه، ولكن أهميته لم تكن وفق ما رسمه ابن رشيق في كتابه العمدة، فهناك أبيات كثيرة من الشعر الجاهلي تنُافي رأي ابن رشيق، وقد أورد الدكتور رضوي أمثلة من شعر ذلك الزمن استشهاداً لبطلان دعوى ابن رشيق القيرواني.

يقول الدكتور رضوي وهو ينقد هذا القول لابن رشيق (بالأردوية):

«أما ما يتعلق بكون الشاعر «حماية لأعراضهم وذبٌّ عن أحسابهم وإشادة بذكرهم» فلا اختلاف فيه، ولكن عقد حفل لتبادلِ التهاني بمناسبة نبوغ شاعر فيهم الذي تُشير إليه هذه الرواية، فلا يطمئن إليه القلب، إن ابنَ رشيق القيرواني (٣٩٠-٤٦٣هـ/ ١٠٠٠-١٠٧١م) هو أولُ من ذكر هذه الرواية في كتابه «العمدة»، ومنه نقل السيوطي في كتابه المزهر،[١] وقد أخذ منه السير تشارلس لايل وقام بترجمته إلى الإنجليزية وذكرها في كتابه،[٢] ونقل نيكلسون هذه الترجمة الإنجليزية في كتابه،[٣] وقد أشار إلى ذلك «ألطاف حسين حالي»[٤] في كتابه مقدمہ شعر وشاعرى،[٥] كما ذكرها جرجي زيدان أيضاً،[٦] وأغلب الظن أن السير تشارس لايل هو أول من أدى دوره في جعل هذه الروايةَ مقبولة لدى الناس في العصر الحديث، وقَبِل أثره الباقون.

ليس من حق ابن رشيق القيرواني أن يذكر شيئاً عن عادة من عادات العربِ القديمةِ

١- السيوطي، جلال الدين، عبدالرحمن، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، إعداد: محمد أحمد الجاد المولى وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٥٨م، ج:٢، ص:٣٧٣.

2- C.J. Lyall, Translations of Ancient Arabian Poetry, Chiefly Pre-Islamic, London, 1885, Xvii, Introduction.

3- Nicholson,R.A. A Literary History of the Arabs, Cambridge University Press,1956, P: 71.

٤- من أدباء اللغة العربية ونقادها وشعرائها الكبار، ولد سنة ١٨٣٧م وتوفي سنة ١٩١٤م.

٥- حالي، ألطاف حسين، خواجه، مقدمة شعر وشاعري، ترتيب، قريشي، وحيد، الدكتور، مكتبه جديد، لاهور، ١٩٥٣م، ص:١١٦.

٦- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، تحقيق ومراجعة: شوقي ضيف (الدكتور)، دار الهلال، مصر، ١٩٥٧م، ج:١، ص:٩٦-٩٧.

وزمنُه على بُعد خمسةِ قرونٍ من العصر الجاهلي، إنه لم يَذكر المصدر الذي أخذ منه هذه الروايةَ، وكذلك لم نَعثر عليها في مصدر من مصادرَ عربيةٍ قبله، فإذا كان قولُهم «الشعر ديوان العرب» يدل على حقيقة، فلابُدّ من أن يوجد أثر لذلك التقليد في الشعر العربي القديم. إن عدمَ مشارَكةِ أحدٍ من شُعراء ذلك الزمن في مثل هذا الحفلِ المهم، وبالتالي عدم تسجيل أحد منهم أحداثَه في شعره، مما لا يَقبلُه الذهن. لم يَنقل ابن رشيق أيضاً ولو بيتاً واحدًا لشاعر من الشعراء القدامى وهو يُهنِئُ قبيلَتَه بمناسبة نبوغ شاعر فيهم. فلا يكون من المناسب قبول هذه الرواية في حالة عدم وجود شهادة داخلية أو خارجية عليها.[١]

وكذلك نرى من المناسب أن نُنهي حديثنا عن هذا الكتاب القيّم برأي الدكتور رضوي عن أسلوب طه حسين على العموم، وكتابه في الأدب الجاهلي على الخصوص. إنه تناول هذا الكتاب بشيء من التفصيل خلال حديثه عن الشعر الجاهلي وقضية انتحاله. وهذا الرأي ذكره قبل تقديمه ملخّصاً لهذا الكتاب يقول: (بالأردوية)

«... يتبين من المقدمة أن هذا الكتاب ملخص لتلك المباحث التي كانت موضوعَ تلك المحاضرات التي أُلقيت على طلاب السنة الأولى والثانية في كلية الآداب بالجامعة المصرية، وُجّه إلى هذا الكتاب نقد لاذع وأُلفت كتب متعددة ردًا عليه، ونُشرت بحوث ودراسات كثيرة، وبناء على ذلك صار هذا الكتاب حلقة مهمة من سلسلة النقد العربي، إذ بسببه دُرس الأدب الجاهلي دراسة منتظمة عميقة واستبانت جوانب كثيرة كانت مختفية من قبل، ومع أن هذا الكتاب يحتوي على مادة تدعو إلى التفكير، إلا أن مباحثها الأساسية مبنية على الغلو، كان طه حسين مولعًا بالمنهج الفكري لديكارت (١٥٩٦م-١٦٥٠م)، ويريد أن يتوصل إلى اليقين بطريق الشك، إلا أنه بسبب تبني هذا المنهج ورّط نفسه وكذلك الآخرين في شبهات لا مبرر لها ولا أساس، إنه بأسلوبه

١- رضوي، الدكتور خورشيد، عربي ادب قبل از اسلام، اداره اسلاميات، لاهور، الطبعة الأولى:٢٠١٠م، ج:١، ص: ٢٢٦-٢٢٧.

الخلاّب وقلمه القوي قد غيّر الحقائق وفعل معها مثلما نشتكيه من محمد حسين آزاد (١٨٣٠م-١٩١٠م) في الأدب الأردوي،[١] وبالإضافة إلى ذلك نجده - من موضع إلى موضع - ساخرًا ومستهزئاً بأنصار المنهج القديم، كما تُشم منها - أحياناً - رائحة كِبرٍ غير مرضي، فمهاجمة الأفكار الشائعة والمقبولة عند الناس ومفاجأة الناس بشيء غريب وتحويل الاختلاف العلمي إلى نقاش متحمس لم تزل من ديدنته منذ البداية، إنه وجّه في ريعان شبابه إلى المنفلوطي نقدًا تافهاً لمجرد كسب الشهرة لا غير، ولم يزل يشعر بالخجل على ذلك فيما بعد... فمحاولة تلخيص الدلائل الطويلة لطه حسين، والتي هي عبارة عن التكرير والاستطراد والتناقض ليست أمرًا هيناً ميسورًا».[٢]

وبعد تقديم ملخص لهذا الكتاب والرد على ما فيه من دلائل طه حسين حول موقفه عن الأدب الجاهلي، يستنتج منه الدكتور رضوي النتائج التالية (بالأردوية):

«وبالاختصار فإن أسلوب هذا التأليف أسلوب خطابي بدلاً من أن يكون عبارة عن دلائل مرتبة حسبما يقتضيه البحث العلمي، ونرى طه حسين يجنح فيه إلى إطالة المباحث غير المتعلقة بدلاً من أن يركّز على موضوع الكتاب؛ أي الأدب الجاهلي، والتكرير أيضاً عنصر أساسي لأسلوب طه، الذي جماله مُسَلّم به، ولكن طبيعته الاستطرادية والتكريرية لا تنسجم مع الموضوعات العلمية الجادة في كثير من الأحيان، ويخطر للقارئ في كثير من المواضع أن هناك تناقضاً داخلياً في استدلالاته، ونتوصل بعد إمعان النظر في هذا الكتاب إلى أنه:

١. مع كون طه مولعاً بمنهج ديكارت تُوجد لديه نزعة كبيرة إلى البتّ والجزم، وأنه يجنح إلى أن يُحلّ ظنه وقياسه محل الحقائق المعترف بها.
٢. فيما يخص كون الأدب الجاهلي أصيلاً أم منحولاً؛ لم يزد طه حسين من حيث

١- إنه يريد أن يشير إلى أن قارئ كتب طه حسين يبدأ بسبب أسلوبه الأخاذ يؤمن بكل ما يقوله الدكتور طه مع أنه لا يكون في كثير من الأحيان من الصدق على شيء.

٢- رضوي، خورشيد، عربي أدب قبل از اسلام، ص:٢٦٠-٢٦٣.

المجموع شيئًا على معلومات القراء الجادين للأدب العربي، كان هذا من المعلوم والمعترف به من قَبل أن الأدب الجاهلي لم يزل عُرضة للوضع والانتحال، وهو مكون مما هو أصيل وما هو منحول، وبقيت هذه الحقيقة على حالها بعد جميع دلائل طه حسين، ولم يحدث بها أي تغيّر، وكلما جاهد طه حسين أن يتجاوز ذلك متحمّساً في مجال البتّ والجزم ضعف استدلاله، وأفلت منهج ديكارت من يده. إنّ قِسم بحثه الذي تناول فيه طه أسباب وضع الشعر الجاهلي وانتحاله أقوى بكثير من ذلك القسم الذي يتعلق بصحة الأدب الجاهلي وعلته... وجماع القول أن طه قد أمعن النظر بدقة في تحقيق مسألة معترف بها من قبل وتحليلها، وتُوجد لديه بعض الأفكار المضيئة وبعض الاقتراحات القيمة بصدد دراسة تاريخ الأدب».[1]

وقد أثنى على هذا الكتاب أي عربى ادب قبل از اسلام الكبار من علماء اللغة الأردوية وأدبائها، واعتبروه نعمة غير مترقبة، يقول عنه عطاء الحق قاسمي- أحد أعلام الصحافة الباكستانية والأدب الأردوي -:

«منذ وقت طويل كنت أبحث عن كتاب يُسهّل لي طريق الوصول إلى الأدب الجاهلي القديم، لأنني أعتقد أن الفهم الصحيح للتاريخ الإسلامي لا يتأتى إلا بالاطلاع على الثقافة العربية القديمة وتاريخ الأدب العربي، وهذا من حسن حظي أنه وصل إلى متناول يدي هذا الكتاب بدون إنفاق أي جهد، وأنا شاكر للدكتور (صاحب الكتاب) على ذلك، إنه – حقاً – خزانة علمية، وأرى أن الدكتور قد أفنى نصف عمره – على الأقل – في إكمال هذا الكتاب، ومع أن هذا الكتاب كتاب البحث العلمي – وطبعي نفور من كتب البحث – إلا أن الدكتور قد جعله جذّاباً مشوقاً مثل رواية أدبية، والفضل في ذلك يعود إلى أسلوب الدكتور الأخاذ والشعر الباهر للزمن الجاهلي الذي مادته تختلف تماماً عن مادتنا».[2]

١- رضوي، خورشيد، الدكتور، عربي ادب قبل از اسلام، ج:١، ص:٢٧٨-٢٧٩.

٢- عامر، زاهد منير، الدكتور، ارمغان خورشيد، ص:٢١٩-٢٢٠.

وهذا الكتاب بحق موسوعةٌ أدبيةٌ يستحق أن يُترجم إلى لغات أخرى لِتَعُمَّ فائدتُه، فهل من مترجم يُترجِمُه؟ وهل من مُستجيب يستجيب لهذه الدعوةَ؟

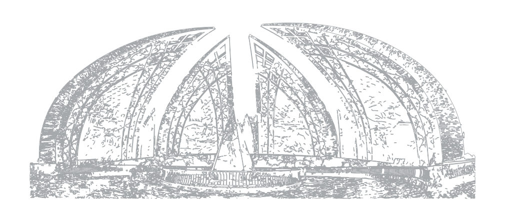
فهرس المحتويات



يعمل مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية على تعزيز خدماته في المجالات المتنوعة لخدمة اللغة العربية وعلومها، إذ ينطلق من رؤية موحّدة في أعماله عامة – ومنها برنامج النشر – وذلك بأن يطلق برامجه ودراساته في المجالات التي تفتقر إلى جهود نوعية، أو التي تحتاج إلى تكثيف العمل فيها.

ومما يجتهد فيه المركز كشف حال اللغة العربية في دول العالم الناطقة بغيرها، وتكوين قواعد معلومات مختلفة عن مؤسسات العربية في تلك الدول، وأبرز علمائها، وجهود المختصين فيها ، ومدى حضورها، وذلك بمجموعة إصدارات متنوعة، في سلسلتي (الأدلة والمعلومات) و(العربية في العالم)؛ هادفين من وراء ذلك إلى تجسير التواصل بين المؤسسات والأفراد المعنيين باللغة العربية في الدول العربية وبين أشقائهم في الدول غير العربية، وممهدين لمشروعات علميّة وعملية يقوم بها المركز، أو تقوم بها الجهات ذات الهدف المشترك.

وتدعو الأمانة العامة الباحثين من أنحاء العالم كافة إلى المساهمة في هاتين السلسلتين، أو في سلاسل المركز الأخرى، وذلك طمعاً في تراكم المعرفة، وثرائها، ولتكوين مرجعيّة موثوقة ترصد حال اللغة العربية في كل أنحاء العالم، وتوفّر المعلومة للمستفيدين، وتكون إرثاً باقياً، وتقديراً للجهود التي بذلها المخلصون في خدمة هذه اللغة الشريفة.







9 786039 089599



ص.ب 12500 الرياض 11473
هاتف:00966112587268 – 00966112581082
البريد الإليكتروني: nashr@kaica.org.sa